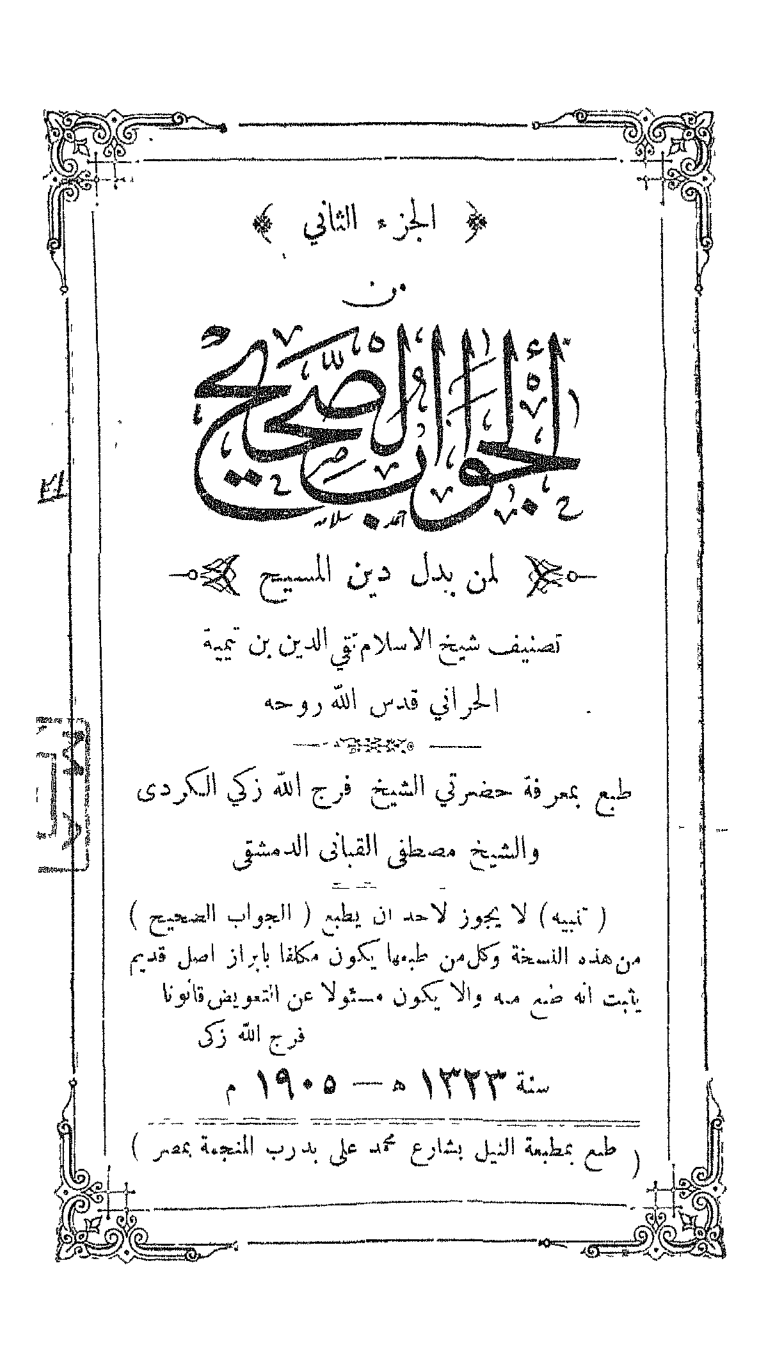


﴿ الجزء الثاني ﴾

من

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تصنيف شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية
الحراني قدس الله روحه

طبع بمعرفة حضرتي الشيخ فرج الله زكي الكردى
والشيخ مصطفى القباني الدمشقي

سنة ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥ م

(طبع بمطبعة النيل بشارع محمد على بدرب المنجمة بمصر)

ان المسلمين يقولون مقالة لايخفى فسادها على من له أدنى عقل ومعرفة والمسلمون فلا يشك احد من الامم انهم أعظم الامم عقولا وافهاماً واتمهم معرفة وبياناً وأحسن قصداً وديانة وتحريا للصدق والعدل وانهم لم يحصل فى النوع الانسانى أمة أكمل منهم ولا ناموس أكمل من الناموس الذى جاء به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وحذاق الفلاسفة معترفون لهم بذلك وانه لم يقرع العالم ناموس اكمل من هذا الناموس وقد جمع الله للمسلمين جميع طرق المعارف الانسانية وانواعها فان الناس نوعان • أهل كتاب وغير أهل كتاب كالفلاسفة والهنود • والعلم ينال بالحس والعقل وما يحصل بهما ويوحى الله الى انبيائه الذى هو خارج عما يشترك فيه الناس من الحس والعقل ولهذا قيل الطرق العلمية البصر والنظر والخبر الحس والعقل • والوحى الحس والقياس والنبوة • فاهل الكتاب امتازوا عن غيرهم بما جاءهم من النبوة مع مشاركتهم لغيرهم فيما يشترك فيه الناس من العلوم الحسية والعقلية . والمسلمون حصل لهم من العلوم النبوية والعقلية ما كان للامم قبلهم وامتازوا عنهم بما لا يعرفه الامم وما اتصل اليهم من عقليات الامم هذّبوه لفظاً ومعنى حتى صار أحسن مما كان عندهم ونفوا عنه من الناموس وضموا اليه من الحق مما امتازوا به على من سواهم . وكذلك العلوم النبوية أعطاهم الله منها مالم يعطه أمة قبلهم وهذا ظاهر لمن تدبر القرآن مع تدبر التوراة والانجيل فانه يجد من فضل علم القرآن ما لايخفى الا على العميان . فكيف يظن مع هذا بالمسلمين ان يخفى عليهم فساد هذا الكلام الذى ظنه بهم هؤلاء الجهال • ويقال ثانيا الجواب من وجوه



٤٣٣

فصل) فحينئذ فقولهم انا نعجب من هؤلآء القوم على علمهم وذكائهم
ومعرفتهم كيف يحتجون علينا بمثل هذا القول وذلك انا ايضاً اذا قلنا
واحتججنا عليهم بمثل هذا القول ان الكتاب الذى بايديهم يومنا هذا
قد غيره وبدلوه وكتبوا فيه ما أرادوا واشتهوا هل كانوا يجوزون
كلامنا .قال الحاكي عنهم فقلت لهم هذا مما لا يجوز ولا يمكن لاحد ان
يقوله ولا يمكن تغيره ولا تبديل حرف واحد منه.فقالوا سبحان الله
العظيم اذا كان الكتاب الذى لهم الذى هو باللسان الواحد لا يمكن
تبديله ولا تغيير حرف واحد منه فكيف يمكن تغيير كتبنا التي هى
مكتوبة باثنين وسبعين لساناً وفى كل لسان منها كذا وكذا الف نسخة
وجاز عليها الى مجيء محمد اكثر من ستماية سنة وصارت فى ايدى
الناس يقرؤنها باختلاف السنتهم على تناسع بلدانهم فمن الذى تكلم باثنين
وسبعين لساناً ومن هو الذى حكم على الدنيا جميعها ملوكها وقساقستها
وغالبها حتى حكم على جميعها في اقطار الارض وجمعها في اربع زوايا
العالم حتى يغيرها وان كان غير بعضها وترك بعضها فهذا لا يمكن ان يكون
لان كلها قول واحد واعظ واحد في جميع الالسن فهذا مما لا يجوز
لقائل ان يقوله ابدا والجواب ان يقال أولا هذا الكلام منهم يدل على
غاية جهلهم بما تقوله المسلمون فى كتبهم وتبين انهم لفرط جهلهم يظنون

أحدها • أن المسلمين لم يدعوا ان هذه الكتب حرفت بعد انتشارها وكثرة النسخ بها ولكن جميعهم متفقون على وقوع التبديل والتغيير في كثير من معانيها وكثير من احكامها. وهذا مما تسلمه النصارى جميعهم في التوراة والنبوات المتقدمة فانهم يسلمون ان اليهود بدلوا كثيراً من معانيها واحكامها ومما تسلمه النصارى فى فرقهم فان كل فرقة تخالف الاخرى فيما تفسر به الكتب المتقدمة وتسلمه اليهود فانهم متفقون على ان النصارى تفسر التوراة والنبوات المتقدمة على الانجيل بما يخالف معانيها وانها بدلت احكام التوراة فصار تبديل كثير من معاني الكتب المتقدمة متفقا عليه بين المسلمين واليهود والنصارى • وأما تغيير بعض الفاظها ففيه نزاع بين المسلمين • والصواب الذى عليه الجمهور انه بدل بعض الفاظها كما ذكر ذلك في مواضعه • الوجه الثاني ان قياسهم كتبهم على القرآن وانه كما لا تسمع دعوى التبديل فيه . فكذلك في كتبهم قياس باطل فى معناه ولفظه. أما معناه فكل ما اجمع المسلمون عليه من دينهم اجماعاً ظاهراً معروفاً عندهم فهو منقول عن الرسول نقلا متواتراً بل معلوماً بالاضطرار من دينه فان الصلوات الخمس والزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت العتيق ووجوب العدل والصدق وتحريم الشرك والفواحش والظلم بل وتحريم الخمر والميسر والربا وغير ذلك منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلا متواتراً كنقل الفاظ القرآن الدالة على ذلك. ومن هذا الباب عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث الى جميع الناس أهل الكتاب وغير اهل الكتاب بل الى الثقلين الانس والجن وانه كان يكفر اليهود والنصارى الذين لم يتبعوا

ما انزل الله عليه كما كان يكفر غيرهم ممن لم يؤمن بذلك وانه جاهدهم وامر بجهادهم. فالمسلمون عندهم منقولا عن نبيهم نقلا متواتراً ثلاثة امور. لفظ القرآن. ومعانيه التي أجمع المسلمون عليها. والسنة المتواترة وهي الحكمة التي انزلها الله عليه غير القرآن كما قال تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (وانزل عليك الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكرنَ ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) وبذلك دعي الخليل حيث قال لما بنى هو واسماعيل الكعبة بارض فاران المذكورة في الكتاب الاول قال تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) وقال صلى الله عليه وسلم الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه. فالمسلمون عندهم نقل متواتر عن نبيهم بالفاظ القرآن ومعانيه المتفق عليها وبالسنة المتواترة عنه مثل كون الظهر والعصر والعشاء اربعا وكون المغرب ثلاث ركعات وكون الصبح ركعتين ومثل الجهر في العشائين والفجر والمخافتة في الظهر والعصر ومثل كون الركعة فيها سجدتان وكون الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة سبعا ورمى الجمرات كل واحدة سبع حصيات وامثال ذلك. وأيضاً فالمسلمون يحفظون القرآن في صدورهم حفظاً

يستغنون به عن المصاحف كما ثبت فى الصحيح الذى رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان ربي قال لي انى منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظاناً. يقول ولو غسل بالماء من المصاحف لم يغسل من القلوب كالكتب المتقدمة فانه لو عدمت نسخها لم يوجد من ينقلها نقلا متواتراً محفوظة فى الصدور. والقرآن ما زال محفوظاً فى الصدور نقلا متواتراً حتى لو أراد مريد ان يغير شيئاً من المصاحف وعرض ذلك على صبيان المسلمين لعرفوا انه قد غير المصحف لحفظهم للقرآن من غير ان يقابلوه بمصحف وانكروا ذلك. واهل الكتاب يقدر الانسان منهم ان يكتب نسخاً كثيرة من التوراة والانجيل ويغير بعضها ويعرضها على كثير من علمائهم ولا يعرفون ما غير منها ان لم يعرضوه على النسخ التي عندهم. ولهذا لما غير من نسخ التوراة راج ذلك على طوائف منهم ولم يعلموا التغيير. وأيضاً فالمسلمون لهم الاسانيد المتصلة بنقل العدول الثقات لدقيق الدين. كما نقل العامة جليله وليس هذا لاهل الكتاب. وأيضا فما ذكروه من ان كتبهم مكتوبة باثنين وسبعين لساناً هو اقرب الى التغيير من الكتاب الواحد باللغة الواحدة فان هذا مما يحفظه الخلق الكثير فلا يقدر أحد ان يغيره. وأما الكتب المكتوبة باثنين وسبعين لساناً فاذا قدر ان بعض النسخ الموجودة ببعض الالسنة غير بعض ما فيها. لم يعلم بذلك سائر اهل الالسن الباقية بل ولم يعلم بذلك سائر أهل النسخ الاخر فالتغيير فيها ممكن كما يمكن فى نظائر ذلك. وما ادعوه من تعذر جمع جميع النسخ هو حجة عليهم فان ذلك اذا كان متعذراً لم يمكن الجزم باتفاق جمع النسخ لواحد حتى

يشهد بأنها كلها متفقة لفظا ومعنى . بل امكان التغيير فيها ايسر من امكان الشهادة باتفاقها . ولهذا لا يمكن احدا تغيير القرآن مع كونه محفوظاً في القلوب منقولا بالتواتر مع انا لا نشهد لجميع المصاحف بالاتفاق بل قد يقع في بعض نسخ المصاحف ماهو غلط يعلمه حفاظ القرآن ولا يحتاجون الى اعتبار ذلك بمصحف آخر . وتلك الكتب لا يحفظ كلا منها قومٌ من اهل التواتر حتى يعتبر النسخ بها . ولكن لما كان الانبياء عليهم السلام فيهم موجودين . كانوا هم المرجع للناس فيما يعتمدون عليه اذا غير بعض الناس شيئاً من الكتب فلما انقطعت النبوة فيهم اسرع فيهم التغيير . فلهذا بدل كثير من النصارى كثيراً من دين المسيح عليه السلام بعد رفعه بقليل من الزمان وصاروا يبدلون شيئاً بعد شيء وتبقى فيهم طائفة متمسكة بدين الحق الى ان بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وقد بقي من اولئك الذين على الحق طائفة قليلة كما فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى صحيحه عن عياض بن حمار المشاجعي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب ماتوا قبيل مبعثه صلى الله عليه وسلم وقد ادرك سلمان الفارسى وكان قد تنصر بعد ان كان مجوسياً طائفة ممن كانوا متبعين لدين المسيح عليه السلام واحد بالموصل . وآخر بنصيبين • وآخر بعمورية • وكل منهم يخبر بانه لم يبق على دين المسيح عليه السلام الا قليل الى ان قال له آخرهم لم يبق عليه احد . واخبره ان يبعث نبي بدين ابراهيم من جهة الحجاز فكان ذلك سبب هجرة سلمان اليه وايمانه به • فالدين الذى اجتمع عليه

المسلمون اجماعا ظاهرا معلوما، هو منقول عن نبيهم نقلا متواتراً نقلوا القرآن ونقلوا سنته، وسنته مفسرة للقرآن مبينة له كما قال تعالى له ﴿ وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ فبين ما انزل الله لفظه ومعناه فصار معاني القرآن التى اتفق عليها المسلمون اتفاقا ظاهراً مما توارثته الامة عن نبيها كما توارثت عنــه الفاظ القرآن فلم يكن ولله الحمد فيما اتفقت عليه الامة شيء محرف مبدل من المعاني فكيف بالفاظ تلك المعاني، فان نقلها والاتفاق عليها اظهر منه فى الالفاظ فكان الدين الظاهر للمسلمين الذين اتفقوا عليه مما نقلوه عن نبيهم لفظه ومعنــاه فلم يكن فيه تحريف ولا تبديل لا للفظ ولا للمعنى • بخلاف التوراة والانجيل فان من الفاظها ما بدل معانيه واحكامه اليهودُ والنصــارى او مجموعهما تبــديلا ظاهراً مشهوراً فى عامتهم كما بدلت اليهود ما فى الكتب المتقدمة من البشارة بالمسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم وما فى التوراة من الشرائع وامره فى بعض الاخبار وكما بدلت النصــارى كثيراً مما فى التوراة والنبوات من الاخبار ومن الشرائع التى لم يغيرها المسيح، فان ما نسخه الله على لسان المسيح من التوراة يجب اتباع المسيح فيه، واما مابدل بعد المسيح مثل استحلال لحم الخنزير وغيره مما حرمه الله ولم يحله المسيح ومثل اسقاط الختان ومثل الصلاة الى المشرق وزيادة الصوم ونقــله من زمان الى زمان واتخاذ الصور فى الكنائس وتعظيم الصليب واتباع الرهبانية فان هذه كلها شرائع لم يشرعهــا نبي من الانبياء لا المسيح ولا غيره خالفوا بها شرع الله الذى بعث به الانبياء من غير ان يشرعها الله على لسان نبي، الوجه الثالث ان القرآن قد ثبت

بالنقل المتواتر المعلوم بالضرورة للموافق والمخالف ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان يقول انه كلام الله لا كلامه وانه مبلغ له عن الله وكان يفرق بين القرآن وبين ما يتكلم به من السنة وان كان ذلك مما يجب اتباعه فيه تصديقاً وعملا • فان الله انزل عليه الكتاب والحكمة وعلم امته الكتاب والحكمة كما قال تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) وقال تعالى (وانزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) وقال تعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) وقال تعالى عن الخليل وابنه اسماعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه فكان يعلم أمته الكتاب وهو القرآن العزيز الذي اخبرهم انه كلام الله لا كلامه وهو الذي قال عنه قال لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وهو الذي شرع لامته ان تقرأه في صلاتهم فلا تصح صلاة الا به وعلمهم مع ذلك الحكمة التي انزلها الله عليه وفرق بينها وبين القرآن من وجوه • منها أن القرآن معجز • ومنها ان القرآن هو الذي يقرأ في الصلاة دونها • ومنها أن الفاظ القرآن العربية منزلة على ترتيب الآيات فليس لاحد ان يغيرها باللسان العربي باتفاق

المسلمين ولكن جوز تفسيرها باللسان العربي وترجمتها بغير العربي • وأما تلاوتها بالعربي بغير لفظها فلا يجوز باتفاق المسلمين بخلاف ماعلمهم من الحكمة فانه ليس حكم الفاظها حكم الفاظ القرآن • ومنها ان القرآن لا يمسه الا المطهرون ولا يقرأه الجنب كما دلت عليه سنته عند جماهير أمته بخلاف ماليس بقرآن • والقرآن تلقته الامة منه حفظاً في حياته وحفظ القرآن جميعه في حياته غير واحد من اصحابه وما من الصحابة الا من حفظ بعضه وكان يحفظ بعضهم مالا يحفظه الآخر فهو جميعه منقول سماعا منه بالنقل المتواتر وهو يقول أنه مبلغ له عن الله وهو كلام الله لا كلامه وفي القرآن مايبين انه كلام الله نصوص كثيرة وكان الذين رأوا محمداً صلى عليه وسلم ونقلوا ماعاينوه من معجزاته وافعاله وشريعته وما سمعوه من القرآن وحديثه الوفا مؤلفة اكثر من مائة الف رأوه وآمنوا به • وأما الاناجيل التى بايدى النصارى فهي اربعة اناجيل انجيل متى ويوحنا ولوقا ومرقس وهم متفقون على ان لوقا ومرقس لم يريا المسيح وانما رآه متى ويوحنا وان هذه المقالات الاربعة التى يسمونها الانجيل وقد يسمون كل واحد انجيلا انما كتبها هؤلاء بعد ان رفع المسيح فلم يذكروا فيها انها كلام الله ولا ان المسيح بلغها عن الله بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح واشياء من افعاله ومعجزاته • وذكروا انهم لم ينقلوا كل ما سمعوه منه وراوه فكانت من جنس مايرويه أهل الحديث والسير والمغازى عن النبي صلى الله عليه وسلم من اقواله وافعاله التى ليست قرآناً • فالاناجيل التى بايديهم شبه كتاب السيرة وكتب الحديث ومثل هذه الكتب وان كان غالبها صحيحاً وما قاله المسيح عليه السلام فهو

مبلغ له عن الله يجب فيه تصديق خبره وطاعة أمره كما قاله الرسول من السنة فهو يشبه ماقاله الرسول من السنة فان منها مايذكر الرسول انه قول الله كقوله يقول الله تعالى من عادى لى وليا فقد اذنته بالحرب ونحو ذلك ومنها مايقوله هو ولكن هو أيضاً مما أوحاه الله اليه فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله فهكذا ماينقل في الانجيل هو من هذا النوع فانه وان كان أمراً من المسيح فامر المسيح امر الله ومن أطاع المسيح فقد أطاع الله • وما اخبر به المسيح عن الغيب فالله أخبره به فانه معصوم ان يكذب فيما يخبر به واذا كان الانجيل يشبه السنة المنزلة فانه قد يقع فى بعض الفاظها غلط كما يقع في كتاب السيرة وسنن ابي داود والترمذى وابن ماجة ثم هذه الكتب قد اشتهرت واستفاضت بين المسلمين فلا يمكن أحد بعد أشتهارها وكثرة النسخ بها ان يبدلها كلها. لكن في بعض الفاظها غلط وقع فيها قبل ان تشتهر فان المحدث وان كان عدلا فقد يغلط لكن ما تلقاه المسلمون بالقبول والتصديق والعمل من الاخبار فهو مما يجزم جمهور المسلمين بصدقه عن نبيهم هذا مذهب السلف وعامة الطوائف كجمهور الطوائف الاربعة وجمهور اهل الكلام من الكلابية والكرامية والاشعرية وغيرهم ولكن ظن بعض اهل الكلام أنه لايجزم بصدقها لكون الواحد قد يغلط اويكذب وهذا الظن انما يتوجه في الواحد الذى لم يعرف صدقه وضبطه • اما اذا عرف صدقه وضبطه اما بالمعجزات كالانبياء • واما بتصديق النبي له فيما يقول • واما باتفاق الامة المعصومة على صدقه واتفاقهم على العمل بخبره او اتفاقهم على قبول خبره واقراره وذكره من غير نكير او ظهور

دلائل وشواهد وقرائن احتفت بخبره ونحو ذلك من الدلائل الدالة على صدق المخبر فهذه يجب معها الحكم بصدقه بانه لم يكذب ولم يغلط وان كان خبره لو تجرد عن تلك الدلائل امكن كذبه أو غلطه كما ان الخبر المجرد لا يجزم بكذبه الا بدليل يدل على ذلك أما قيام دليل عقلي قاطع أو سمعي قاطع على انه بخلاف مخبره فيجزم ببطلان مخبره وحينئذ فالمخبر اما كاذب او غالط قد يعلم احدهما بدليل فالمسلمون عندهم من الاخبار عن نبيهم ما هو متواتر وما اتفقت الامة المعصومة على تصديقه وما قامت دلائل صدقه من غير هذه الجهة مثل ان يخبر واحد أو اثنان أو ثلاثة بحضرة جمع كثير لا يجوز ان يتواطئوا على الكذب بخبر يقولون ان اولئك عاينوه وشاهدوه فيقرونهم على هذا ولا يكذب به منهم أحد فيعلم بالعادة المطردة انه لو كان كاذبا لامتنع اتفاق أهل التواتر على السكوت عن تكذيبه • كما يمتنع اتفاقهم على تعمد الكذب واذا نقل الواحد والاثنان ما توجب العادة اشتهاره وظهوره ولم يظهر ونقلوه مستخفين بنقله لم ينقلوه على رؤس الجمهور • علم أنهم كذبوا فيه ودلائل صدق المخبر وكذبه كثيرة متنوعة ليس هذا موضع بسطها ولكن المقصود هنا أن المسلمين تواتر عنهم عن نبيهم الفاظ القرآن ومعانيه المجمع عليها والسنة المتواترة • وعندهم عن نبيهم أخبار كثيرة معلومة الصدق بطرق متنوعة كتصديق الامة المعصومة ودلالة العادات وغير ذلك وهم يحفظون القرآن فى صدورهم لا يحتاجون في حفظه الى كتاب مسطور فلو عدمت المصاحف من الارض لم يقدح ذلك فيما حفظوه • بخلاف أهل الكتاب فانه لو عدمت نسخ الكتب

لم يكن عنـــدهم به نقل متواتر بالفاظها إذ لا يحفظها الا قليل
لا يوثق بحفظهم فلهـذا كان اهل الكتاب بعد انقطاع النبوة عنهم
يقع فيهم من تبديل الكتب اما تبديل بعض احكامها ومعانيها • وإما
تبديل بعض الفاظها ما لم يقوموا بتقويمه • ولهذا لا يوجد فيهم الاسناد
الذى للمسلمين ولا لهم كلام في نقلة العلم وتعديلهم وجرحهم ومعرفة
احوال نقلة العلم ما للمسلمين، ولا قام دليل سمعي ولا عقلي على أنهم
لا يجتمعون على خطاء بل قد علم انهـم اجتمعوا على الخطأ لما كذبوا
المسيح ثم كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم فاذا كانت الكتب المنقولة
عن الانبياء من جنس الكتب المنقولة عن محمد ولم تكن متواترة عنهم
ولم يكن تصديق غير المعصوم حجة • لم يكن عندهم من العلم بالتمييز بين
الصدق والكذب ماعند المسلمين فهذه الاناجيل التي بايدى النصارى
من هذا الجنس فيها شيء كثير من أقوال المسيح وافعاله ومعجزاته
وفيها ماهو غلط عليه بلا شك والذي كتبها في الاول اذا لم يكن ممن
يتهم بتعمد الكذب فان الواحد والاثنين والثلاثة والاربعة لا يمتنع
وقوع الغلط والنسيان منهم • لاسيما ماسمعه الانسان ورآه ثم حدث به
بعد سنين كثيرة فان الغلط فى مثل هذا كثير ولم يكن هناك امة معصومة
يكون تلقيها لهـا بالقبول والتصـديق موجبا للعلم بها لئلا تجتمع الامة
المعصومة على الخطأ والحواريون كلهم اثنا عشر رجلا • وقصة الصلب مما
وقع فيها الاشتباه وقد قام الدليل على ان المصلوب لم يكن هو المسيح عليه
السلام بل شبهه وهم ظنوا انه المسيح والحواريون لم ير احد منهم المسيح
مصلوبا بل اخبرهم بصلبه بعض من شهد ذلك من اليهود • فبعض الناس
يقولون ان اولئك تعمدوا الكذب واكثر الناس يقول اشتبه عليهم ولهذا

.كان جمهور المسلمين يقولون في قوله ولكن شبه لهم عن أولئك ومن قال بالاول جعل الضمير في شبه لهم عن المسلمين لخبر أولئك فاذا جاز ان يغلطوا فى هذا ولم يكونوا معصومين فى نقله جاز ان يغلطوا فى بعض ماينقلونه عنه وليس هذا مما يقدح فى رسالة المسيح ولافيما تواتر نقله عنه بانه رسول الله الذي يجب اتباعه سواء صلب أو لم يصلب وما تواتر عنه فانه يجب الايمان به سواء صلب أو لم يصلب والحواريون مصدقون فيما ينقلونه عنه لايتهمون بتعمد الكذب عليه لكن اذا غلط بعضهم فى بعض ما ينقله لم يمنع ذلك ان يكون غيره معلوما لاسيما اذا كان ذلك الذى غلط فيه مما تبين غلطه فيه في مواضع اخر وقد اختلفت النصارى فى عامة ماوقع فيه الغلط حتى فى الصلب فمنهم من يقول المصلوب لم يكن المسيح بل الشبه كما يقول المسلمون • ومنهم من يقر بعبوديته لله وينكر الحلول والاتحاد كالاريوسية • ومنهم من ينكر الاتحاد وان اقر بالحلول كالنسطورية . واما الشرائع التي هم عليها فعلماؤهم يعلمون ان اكثرها ليس عن المسيح عليه السلام • فالمسيح لم يشرع لهم الصلاة الى المشرق ولا الصيام الخمسين ولا جعله في زمن الربيع ولا عيد الميلاد والغطاس وعيد الصليب وغير ذلك من أعيادهم بل اكثر ذلك مما ابتدعوه بعد الحواريين مثل عيد الصليب فانه مما ابتدعته هيلانة الحرانيه ام قسطنطين وفي زمن قسطنطين غيروا كثيراً من دين المسيح العقائد والشرائع فابتدعوا الامانة التى هى عقيدة ايمانهم وهى عقيدة لم ينطق بها شىء من كتب الانبياء التي هى عندهم ولا هي منقولة عن أحد من الانبياء ولا عن أحد من الحواريين الذين صحبوا

المسيح بل ابتدعها لهم طائفة من اكابرهم قالوا كانوا ثلاث مائة وثمانية عشر واستندوا في ذلك الى الفاظ متشابهة في الكتب وفي الكتب الفاظ محكمة تناقض ماذكروه كما قد بسط في موضع آخر وكذلك عامة شرائعهم التي وضعوها في كتاب القانون بعضها منقول عن الانبياء وبعضها منقول عن الحواريين • وكثير منها مما ابتدعوه ليست منقولة عن أحد من الانبياء ولا عن الحواريين وهم يجوزون لاكابر أهل العلم والدين ان يغيروا ماراوه من الشرائع ويضعوا شرعا جديداً فلهذا كان اكثر شرعهم مبتدعا لم ينزل به كتاب ولا شرعه نبي

(فصل) واما قولهم كيف يمكن تغيير كتبنا التي هي مكتوبة باثنين وسبعين لسانا وفي كل لسان منها كذا كذا الف مصحف ومضى عليها الى مجيء محمد اكثر من ستمائة سنة • فيقال اما بعد انتشارها هذا الانتشار فلم يقل المسلمون بل ولا طائفة معروفة منهم ان الفاظ جميع كل نسخة في العالم غيرت لكن جمهور المسلمين الذين يقولون ان في الفاظها ما غير انما يدعون تغيير بعض الفاظها قبل المبعث أو تغيير بعض النسخ بعد المبعث لا تغيير جميع النسخ فبعض الناس يقول ان ذلك التغيير وقع في أول الامر ويقول بعضهم ان منها ما غير بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقولون انه غير كل نسخة في العالم بل يقولون غير بعض النسخ دون البعض وظهر عند كثير من الناس النسخ المبدلة دون التي لم تبدل • والنسخ التي لم تبدل هي موجودة عند بعض الناس ومعلوم ان هذا لا يمكن نفيه فانه لا يمكن أحداً ان يعلم ان كل نسخة في العالم بكل لسان مطابق لفظها سائر النسخ لسائر الالسنة الا من أحاط علما بذلك وهم قد سلموا ان أحداً

لايمكنه ذلك • واما من ذكر أن التغيير وقع في اول الامر فهم يقولون انمـا أخذت الاناجيل عن اربعة اثنان منهم لم يريا المسيح بل انما رآه اثنان من نقلة الانجيل متى ويوحنا. ومعلوم امكان التغيير فى مثل ذلك وأما قولهم انها مكتوبة باثنين وسبعين لساناً فمعلوم باتفاق النصارى ان المسيح لم يكن يتكلم الا بالعبرية كسائر انبياء بني اسرائيل وانه كان مختوناً ختن بعد السابع كما يختتن بنو اسرائيل وانه كان يصلى الى قبلتهم لم يكن يصلى الى الشرق ولا أمر بالصلاة الى الشرق • ومن قال ان لسانه كان سريانياً كما يظنه بعض الناس فهو غالط فالكلام المنقول عنه فى الاناجيل انمـا تكلم به عبريا ثم ترجم من تلك اللغة الى غيرها. والترجمة يقع فيها الغلط كثيراً كما وجدنا في زماننا من يترجم التوراة من العبرية الى العربية ويظهر في الترجمة من الغلط مايشهد به الحذاق الصادقون ممن يعرف اللغتين • والنصارى يقولون انمـا كتبت باربع لغات بالعبرية والرومية واليونانية والسريانية • واما قولهم انها كتبت باثنين وسبعين لغة فهـذا ان كان صحيحاً فانما كتبت بعد ان كتبت تلك الاربعة فاذا كان الغلط وقع فى مواضع من تلك الاربعة لم يرفعه بعد ذلك كتابتها باثنين وسبعين لغة • فان المسلمين لايقولون انها كتبت باثنين وسبعين لغة غير لفظها في جميع الالسن الاثنين وسبعين لغة في كل نسخة من ذلك • وانما يقال التغيير وقع قبل ذلك كما يقال في سائر مايرونه عن المسيح وموسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه من الحديث مثل سيرة ابن اسحاق وأحاديث السنن والمساند المأثورة عن النبي صلى الله عليـه وسلم فان فى العالم بكل كتاب منها نسخ كثيرة لايمكن ان يغير منها فصل طويل

ولكن فى نفس السيرة وقع غلط في مواضع واحاديث وقعت في السنن هي غلط في الاصل. فاشتهار النسخ بها بعد ذلك لايمنع وقوع الغلط فى الاصل وهذه كتب التفسير والفقه والدقائق ما من كتاب الا وبه نسخ كثيرة فى العالم لايمكن تغيير فصل طويل منها وفيها احاديث غلط في الاصل. والاناجيل التى بايدى النصارى تشبه هذا ولهذا أمروا ان يحكموا بما فيها فان فيها احكام الله • وعامة مافيها من الاحكام لم يبدل لفظه وانما بدلت بعض الفاظ الخبريات وبعض معاني الامريات كما نؤمر نحن ان نعمل باحاديث الاحكام المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم فان العلماء اعتنوا بضبطها اكثر من اعتنائهم بضبط الخبريات كاحاديث الزهد والقصص والفضائل ونحو ذلك اذ حاجة الامم الى معرفة الامر والنهي اكثر من حاجتهم الى معرفة التفاصيل بالخبريات التي يكتفى بالايمان المجمل بها. وأما الامر والنهى فلا بد من معرفته على وجه التفصيل إذ العمل بالمأمور لا يكون الا مفصلا والمحظور الذي يجب اجتنابه لا بد ان يميز بينه وبين غيره كما قال تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) والنصارى لا يحتاجون عند انفسهم الى هذا فانه لا يجب عندهم ان يتمسكوا بشرع منقول عن المسيح عليه السلام. وعندهم لاكابرهم ان يشرعوا دينا لم يشرعه المسيح ويقولون ما شرعه هؤلاء فقد شرعه المسيح فلم يكن لهم عناية ولا معرفة بشرع المسيح كما للمسلمين عناية ومعرفة بشرع محمد صلى الله عليه وسلم

(فصل) واما التوراة فمن المعلوم عند المسلمين واليهود والنصارى ان

بيت المقدس خرب الخراب الأول وخلا اهله منه وسبوا ولم يكن هناك من التوراة نسخ كثيرة ظاهرة بل انما اخذت عن نفر قليـل كما يقولون ان عزيرا املاها وانهم وجـدوا نسخة أخرى فقابلوها بها. والمقابلة تحصل باثنين وقد يغلط أحدهما وهم يذكرون ان من الملوك من أمر اثنين وسبعين حبرا منهم بنقلها واعتبر بعض تلك النسخ ببعض وهذا اذا كان صدقا لا يمنع ان يكون الغلط وقع في بعض الفاظها قبـل ذلك الا ان يثبت أنهـا ماخوذة عن نبي معصوم أو أقر جميع الفاظها نبي معصوم. فما قاله المعصوم فهو حق. وما ثبت بالنقل المتواتر فهو حق. وهؤلاء القائلون انه وقع التغيير في بعض الفاظها في ذلك الزمان يقولون لم تؤخذ عن نبي معصوم ولا نقلت بالتواتر. ومن نازع من المسلمين واهـل الكتاب يقولون اخذت عن العزير وهو نبي معصوم. وهذا مما يحتـاج المثبت فيه والنافي الى تحقيقه. واذا قالت النصارى فالمسيح عليه السـلام اقرها. قيل المسيح عليه السلام لم يمكن ان يلزمهم بما اوجبـه الله عليهم من الايمان به وطاعته. فكيف كان يمكنه ان يغير نسخ التوراة التى عندهم مع كثرتها وهم قد طلبوا قتله وصلبه لعجزه وضعفه وصلبوا شبيهـه كما يقوله المسلمون او صلبوا نفسه كما يقوله النصارى. فكيف كان يمكنه ان يصلح ما غير منها. وأما من بعد المسيح فليس معصوما. والمسيح غير بعض احكامها واقر أكثرها والاحكام انما يدعي المسلمون فيها النسخ وتبديلها بالاعتقاد بخلاف موجبها والعمل بذلك لا يحتاجون الى دعوى تبديل الفاظها كما بدلوا شريعة الرجم بغيرها وهو مكتوب في التوراة بخلاف الخبريات فان هذه تقول اكثر المسـلمين ان التغيير وقع في بعض الفاظها. وأما

النبوات المنقولة عن الاثنين وعشرين نبياً فهذه لاتعلم منها نبوة واحدة تواترت جميع الفاظها بل أحسن أحوالها ان تكون بمنزلة الانجيل وهو بمنزلة ما ينقل من أقوال الانبياء وسيرهم كسيرة ابن اسحق أو بعض كتب المسانيد والسنن التي ينقل فيها ما ينقله الناقلون من اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأكثره صدق وبعضه غلط ولكن هذه الامة حفظ الله لها ما انزله كما قال تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فما في تفسير القرآن او نقل الحديث او تفسيره من غلط فان الله يقيم له من الامة من يبينه ويذكر الدليل على غلط الغالط وكذب الكاذب فان هذه الامة لا تجتمع على ضلالة ولا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة اذ كانوا آخر الامم فلا نبي بعد نبيهم ولا كتاب بعد كتابهم. وكانت الامم قبلهم اذا بدلوا وغيروا بعث الله نبياً يبين لهم ويأمرهم وينهاهم ولم يكن بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي وقد ضمن الله انه يحفظ ما أنزله من الذكر وان هذه الامة لا تجتمع على ضلالة بل اقام الله لهذه الامة في كل عصر من يحفظ به دينه من أهل العلم والقرآن وينفي به تحريف الغالين وانتحال المضلين وتأويل الجاهلين

(فصل) وأما من قال انه غير بعض الفاظها بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فهؤلاء يقولون انه كان في التوراة والانجيل وغيرهما الفاظ صريحة بامور. منها اسم محمد صلى الله عليه وسلم وانه عمد بعض اهل الكتاب فغيروا بعض الالفاظ في النسخ التي كانت عندهم. لايقولون ان هؤلاء غيروا كل نسخة كانت على وجه الارض لكن غيروا بعض

الفاظ النسخ.وكتب الناس من تلك النسخ المغيرة نسخاً كثيرة انتشرت فصار اكثر ما يوجد عند كثير من أهل الكتاب هو من تلك النسخ المغيرة وفي العالم نسخ أخرى لم تغير فذكر كثير من الناس انه رآها وقرأها وفي تلك النسخ ما ليس في النسخ الاخري . ومما يدل على ذلك انك فى هذا الزمان اذا أخذت نسخ التوراة الموجودة عندالبهود والنصارى والسامرة وجدت بينهما اختلافا في مواضع متعددة .وكذلك نسخ الانجيل وكذلك نسخ الزبور مختلفة اختلافا متبايناً بحيث لايعلم العاقل ان جميع نسخ التوراة الموجودة متفقة على لفظ واحد ولا يعلم ان جميع نسخ الانجيل متفقة على لفظ واحد ولا يعلم ان جميع نسخ الزبور متفقة على لفظ واحد فضلا عن سائر النبوات.ومعلوم انه لايمكن أهل الكتاب اقامة حجة على ان جميع النسخ بجميع اللغات في زوايا الارض متفقة على لفظ واحد في جميع ماهو موجود من جميع النبوات.والحجة التي احتجوا بها على تعذر تغيرها كلها تدل على تعذر العلم بتساويها كلها.فاذا قالوا فمن هو الذى تكلم باثنين وسبعين لساناً ومن هو الذى حكم على الدنيا كلها ملوكها وقساقستها وعلمائها حتى حكم على جميع من باقطار الارض وجمعها من اربع زوايا الارض حتى يغيرها قيل لهم ومن الذى يعلم اثنين وسبعين لغة ومن هو الذى حكم على الدنيا ملوكها وقساقستها وعلمائها حتي حكم على جميع من باقطار الارض وجمعها من اربع زوايا الارض واحضر كل نسخة موجودة فى جميع الارض وقابل كل نسخة موجودة فى جميع الارض بجميع النسخ فوجد جميع الفاظ جميع النسخ التى باثنين وسبعين لساناً من جميع اقطار الارض

لفظاً متفقاً لم يختلف الفاظها فان دعوى العلم بهذا ممتنع أعظم من امتناع دعوى تغييرها فانه ان امكن أحداً ان يجمع جميع النسخ كانت قدرته على تغيير بعض الفاظها كلها أيسر عليه من مقابلة كل مافي نسخة بجميع مافى سائر النسخ .فانا اذا احضرنا بكتاب من الكتب عشرة نسخ كان تغيير بعض الفاظ العشرة أيسر علينا من مقابلة كل واحدة من العشرة بالتسعة الباقية. اذ المقابلة يحتاج فيها الى معرفة جميع الفاظ كل نسخة ومساواتها للاخرى . وأما التغيير فيكتفى فيه ان يغير من كل نسخة مايغيره من الاخرى . فان كان تغيير جميع النسخ ممتنعاً فى العادة فالعلم باتفاقها أشد امتناعاً . وان كان العلم باتفاقها ممكنا فامكان تغيير بعض الفاظها أيسر وايسر . واما قولهم ان قيل انه غير بعضها وترك بعضها فهذا لايمكن ان يكون لانها كلها قول واحد ولفظ واحد في جميع الالسن . فيقال أما إمكان هذا فظاهر لاينازع فيه عاقل وهو واقع فانا قد رأينا التوراة التي عند السامرة تخالف توراة اليهود والنصارى حتى في العشر الكلمات . فذكر السامرة فيها من أمر أستقبال الطور مالا يوجد في نسخ اليهود والنصارى . وكذلك بين نسخ اليهود والنصارى اختلاف معروف ونسخ الانجيل مختلفة ونسخ الزبور مختلفة اختلافا أكثر من ذلك وبكل حال فلا يقدر عاقل ان يقول يمتنع تغيير بعض النسخ ولكن اذا قالوا لم يغير شيء منها لان جميعها قول واحد ولفظ واحد فى جميع الالسن.كانت هذه الدعوى باطلة من وجهين أحدهما ان دعوى العلم بتساوى جميع النسخ ابلغ من دعوى امكان تغييرها فان كان التغيير ممتنعا على جميعها كان علم الواحد بما فى جميعها

وانها مماثلة الالفاظ مع اختلاف الالسن اولى بالامتناع.الثاني ان هـذا دعوى خلاف الواقع فان الاختلاف في نسخ التوراة والانجيل والزبور موجود قد رأينا نحن باعيننا ورآه غيرنا فرأيت عـدة نسخ بالزبور يخالف بعضها بعضاً اختلافاً كثيراً ورأينا بعض الفاظ التوراة التي ينقلها هذه الطائفة وهى مكتوبة عندهم يدعون انها هى التوراة الصحيحـة المنقولة عندهم بالتواتر تخالف بعض الفاظ توراة الطائفة الاخرى وكذلك الانجيل. وبالجملة قولهم هذا لا يمكن ان يكون لانها كلها قول واحـد ولفظ واحد في جميع الالسن تضمن شيئين. تضمن دعوى كاذبة .وحجة باطلة. فان قولهم هذا لا يمكن مكابرة ظاهرة. فان امكان تغيير بعض النسخ مما لا ينازع عاقل في امكانه لكن قد يقول القائل اذا غير بعض النسخ واظهر ذلك شاع ذلك فرأى سائر أهل النسخ تلك النسخـة مغايرة بنسخهم فانكروه فان الهمم والدواعي متوفرة على انكار ذلك كما يوجد اليوم مثل ذلك لو أراد رجل ان يغير كتابا مشهوراً عنـد الناس به نسخ متعددة فاذا غيره فوصلت تلك النسخة الى من يعرف ما في تلك النسخ انكروا ذلك. فيقال هذا يمكن اذا كانت تلك النسخة المغيرة وصلت الى طائفة يمتنع عليهم مواطأتهم على الكذب فانه كما يمتنع في الاخبـار المتواترة التواطىء على الكذب. فيمتنع التواطىء على كتمان ما يتعـذر كتمانه في العادة ومعلوم انه لا يمتنع على الجماعـة القابلة التواطىء على تغيير بعض النسخ. والنسخ انما هي موجودة عند علماء اهل الكتاب وليس عامتهم يحفظ الفاظها كما يحفظ عوام المسلمين الفاظ القرآن فاذا قصد طائفة منهم تغيير نسخة او نسخ عندهم امكن ذلك ثم اذا تواطأت

طائفة اخرى على ان لايذكروا ذلك امكن ذلك ولكن اذا كانت الطوائف من لا يمكن تواطئها على الكذب او الكتمان امتنع ذلك فيهم وقد رأينا عند أهل الكتاب كتباً يدعون انها عندهم من النبي صلى الله عليه وسلم بخط علي بن ابي طالب فيها أمور تتعلق باغراضهم وقد التبس أمرها على كثير من المسلمين وعظموا ما فيها وأعطوا اهل الكتاب ما كتب لهم فيها معتقدين أنهم ممتثلين مافيها فلما وصلت الى من وصلت اليه من علماء المسلمين بينوا كذبها بطرق معلومة بالتواتر مثل ذكرهم فيها شهدبما فيها كعب بن مالك الحبر على النبي صلى الله عليه وسلم يعنون كعب الاحبار . وكعب الاحبار انما اسلم على عهد عمر بن الخطاب لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم واسمه كعب ابن مانع ولكن فى الانصار كعب بن مالك الشاعر الذي انزل الله توبته فى سورة براءة فظن هؤلاء الجهال ان هذا هو ذاك. ومثل ذكرهم شهادة سعد بن معاذ الذى اهتز لموته عرش الرحمن ذكروا شهادته عام خيبر وقد اتفق اهل العلم انه مات عقب غزوة الخندق قبل غزوة خيبر بمدة وامثال ذلك. واما حجتهم الداحضة بقولهم ان جميع كتب النبوات التي في العالم من التوراة والانجيل والزبور والنبوات موجودة باثنين وسبعين لسانا بلفظ واحد وقول واحد. فهل يقول عاقل من العقلاء انه علم ذلك وانه علم ان كل نسخة من النبوات الاربعة وعشرين باحد الالسنة الاثنين وسبعين موافقة لكل نسخة فى سائر الالسنة ولو ادعى مدع ان كل نسخة من التوراة في العالم باللسان العربي او كل نسخة من الانجيل فى العالم باللسان العربى او كل نسخة في العالم من الزبور

باللسان العربي موافقة لجميع النسخ العربية الموجودة في زوايا العالم لكان قد ادعى ما لا يعلمه ولا يمكنه علمه فمن اين له ذلك ؟ وهل راى كل نسخة عربية بهذه الكتب او اخبره من يعلم صدقه ان جميع النسخ العربية الموجودة في العالم موافقة لهذه النسخة. وكذلك اذا ادعى ذلك في اللسان اليوناني والسرياني والرومي والعبراني والهندي فان كان في العالم بكل كتاب من هذه إثنان وسبعون لساناً يدعون اتفاق نسخ كل لسان من جنس دعوى اتفاق النسخ العربية. فكيف اذا ادعى اتفاق النسخ بجميع الالسنة وهب انه يمكن ان يقال ذلك في نسخ لسان نقلها أهله والناطقون به فكيف يمكن دعواه في لسان كثر الناطقون به وانتشر أهله وليس هذا كدعوى اتفاق مصاحف المسلمين بالقرآن فان القرآن لا يتوقف نقله على المصاحف بل القرآن محفوظ فى قلوب الوف مؤلفة من المسلمين لا يحصى عددهم الا الله عز وجل فلو عدم كل مصحف فى العالم لم يقدح ذلك في نقل لفظ من الفاظ القرآن بخلاف الكتب المتقدمة فانه قلّ ان تجد من أهل الكتاب أحداً يحفظ كتاباً من هذه الكتب. فقل ان يوجد من اليهود من يحفظ التوراة . واما النصارى فلا يوجد فيهم من يحفظ التوراة والانجيل والزبور والنبوات كلها فضلا عن ان يحفظها باثنين وسبعين لساناً وان وجد ذلك فهو قليل لا يمتنع عليهم لا الكذب ولا الغلط فتبين ان ماذكروه من انتشار كتبهم بالالسنة المختلفة هو من اقوى الامور في عدم العلم بتماثل ما فيها من الالفاظ وان القرآن اذا كان منقولا بلغة واحدة وذلك اللسان يحفظه خلق كثير من المسلمين فكان ذلك مما يبين ان القرآن لا يمكن أحداً ان

يغير شيئاً من الفاظه وان أمكن تغيير بعض الفاظ التوراة والانجيل عند كثير من أهل الكتاب. والمسلمون لا يدعون انه غير جميع الفاظ جميع النسخ بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم كما ظنه بهم هؤلاء الجهال بل انما ادعوا مايسوغه العقل بل ويظهر دليل صدقه ولكن هؤلاء جهال ادعوا العلم بان جميع النسخ بجميع الالسنة بجميع الكتب بلفظ واحد فادعوا مالا يمكن إحدا علمه وادعوا مايعلم بطلانه

(فصل) وقد ظهر الجواب عن قولهم فمن هو الذى تكلم باثنين وسبعين لساناً او من هو الذى حكم على الدنيا جميعها ملوكها وقساقستها وعلمائها حتى حكم على جميعها من اربع زوايا العالم حتى غيرها وان كان مما أمكنه جمعها كلها او بعضها . فهذا ما لا يمكن إذ جميعها قول واحد ونص واحد واعتقاد واحد وقد ظهر الجواب عن ذلك من وجوه*أحدها انا لم ندع تغييرها بعد أن صارت بهذه الالسن وانتشرت بها النسخ بل لا ندعي التغيير بعد انتشار النسخ فيما ليس من كتب الانبياء مثل كتب النحو والطب والحساب والاحاديث والسنن المنقولة عن الانبياء مما نقل في الاصل نقل آحاد ثم صارت النسخ به كثيرة منتشرة فان أحداً لا يدعي انه بعد انتشار النسخ بكتاب في مشارق الارض ومغاربها حكم انسان على جميع المعمورة وجمع النسخ به وغيرها. ولا ادعى أحد مثل ذلك في التوراة والانجيل وانما ادعى ذلك فيها لما كانت النسخ قليلة اما نسخة واما اثنتين واما أربعة ونحو ذلك . أو ادعى تغيير بعض الفاظ النسخ فان بعض النسخ يمكن تغييرها . ونسخ التوراة والانجيل والزبور موجودة اليوم وفي بعضها اختلاف لكنه اختلاف قليل

والغالب عليها الاتفاق وذلك يظهر بالوجه الثاني ان قولهم ان جميعها قول واحد ونص واحد واعتقاد واحد ليس كما قالوه بل نسخ التوراة مختلفة في مواضع. وبين توراة اليهود والنصارى والسامرة اختلاف وبين نسخ الزبور اختلاف اكثر من ذلك. وكذلك بين الاناجيل فكيف بنسخ النبوات وقد رأيت انا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم باسمه ورأيت نسخة اخرى بالزبور فلم ارَ ذلك فيها وحينئذ فلا يمتنع ان يكون في بعض النسخ من صفات النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس في اخرى. الوجه الثالث ان التبديل في التفسير أمر لا ريب فيه وبه يحصل المقصود في هذا المقام فانا نعلم قطعاً ان ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيما كان موجودا في زمنه من التوراة والانجيل كما قال تعالى (الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) ولا ريب ان نسخ التوراة والانجيل على عهده كانت كثيرة منتشرة في مشارق الارض ومغاربها فلا بد من أحد الامرين اما ان يكون غير اللفظ من بعض النسخ وانتشرت النسخ المغيرة. واما أن يكون ذكره في جميع النسخ كما استخرجه كثير من العلماء ممن كان من احبار اليهود والنصارى. وممن لم يكن من احبارهم استخرجوا ذكره والبشارة به في مواضع كثيرة متعددة من التوراة والانجيل ونبوات الانبياء كما هو مبسوط في موضع آخر. ومن قال ان ذكره موجود فيها اكثر من هذا واصرح في بعض النسخ لا يمكن هؤلاء دفعه بان يقولوا قد اطلعنا على كل نسخة في العالم بالتوراة والانجيل في مشارق الارض ومغاربها فوجدناها على لفظ واحد فان هذا لا يقوله

الاكذاب فانه لا يمكن بشراً ان يطلع على كل نسخة في مشارق الارض ومغاربها كما لا يمكنه ان يغير كل نسخة في مشارق الارض ومغاربها فلو لم يعلم اختلاف النسخ لم يمكنه الجزم باتفاقها في اللفظ فكيف وقد ذكر الناس المطلعون عليها من اختلاف لفظها ما يبين به كذب من ادعى اتفاق لفظها

(فصل) قالوا ثم وجدنا في هذا الكتاب ما هو أعظم من هذا برهاناً قوله في سورة الشورى (وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) واما لغير أهل الكتاب فيقول (قل ياأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد» السورة كلها. والجواب اما قوله وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم فهذه الاية مذكورة بعد قوله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم الآية) فقد اخبر أنه شرع لنا من الدين ما وصى به نوحاً وابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كما قال تعالى في

الآية الاخرى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) ثم أخبر عن تفرق الذين اوتوا الكتاب كتفرق اليهود والنصارى وتفرق فرق اليهود وفرق النصارى كالنسطورية واليعقوبية والملكية ثم قال (ان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم (أولئك المفترقين) لفي شك منه مريب) وهكذا توجد عامة اليهود والنصارى في شك من ذلك مريب وقال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب) وقال تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين إختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما) ثم قال تعالى (فلذلك فادع واستقم كما امرت) الى الدين الذى شرعه الله لنا واستقم كما امرت (ولا تتبع اهواءهم) هذا يتناول اهواء اهل الكتاب كما يتناول اهواء المشركين وقد صرح بذلك في قوله تعالى (وان ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) وقال تعالى (ولئن أتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك

وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم أنك اذاً لمن الظالمين) كما صرح بنهيه عن اتباع اهوآء المشركين في قوله تعالى (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) وقوله تعالى (وقل امنت بما انزل الله من كتاب) حق فان الله أمره وجميع الخلق ان يؤمنوا بجميع ما انزل الله وكذلك قوله وامرت لاعدل بينكم فان الله أمره ان يعدل بين جميع الخلق وقوله الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم هذه برآءة منه لمن يخاطب بذلك من المشركين واهل الكتاب كقوله تعالى (وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما أعمل وانا بريء مما تعملون) ومثله قوله تعالى (قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون وكذلك قوله (قل ياأيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولى دين) فان هذه الكلمة كقوله لى عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون هي كلمة توجب براءته من عملهم وبراءتهم من عمله فان حرف اللام في لغة العرب يدل على الاختصاص فقوله لكم دينكم ولى دين يدل على انكم مختصون بدينكم لا اشرككم فيه وانا مختص بديني لا تشركوني فيه كما قال (لى عملى ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا برىء مما تعملون) ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فى قل ياأيها الكافرون هي برآءة من الشرك وليس في هذه

الآية انه رضى بدين المشركين ولا اهل الكتاب كما يظنه بعض الملحدين ولا انه نهى عن جهادهم كما ظنه بعض الغالطين وجعلوها منسوخة بل فيها براءته من دينهم وبراءتهم من دينه وانه لا تضره اعمالهم ولا يجزون بعمله ولا ينفعهم. وهذا امر محكم لا يقبل النسخ ولم يرض الرسول بدين المشركين ولا اهل الكتاب طرفة عين قط ومن زعم انه رضى بدين الكفار واحتج بقوله تعالى (قل ياأيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ماعبدتم ولا انتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين) فظن هذا الملحد ان قوله لكم دينكم ولى دين معناه انه رضى بدين الكفار ثم قال هذه الاية منسوخة فيكون قد رضي بدين الكفار وهذا من أبين الكذب والافتراء على محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يرض قط الابدين الله الذي أرسل به رسله وانزل به كتبه ما رضي قط بدين الكفار لا من المشركين ولا من أهل الكتاب وقوله لكم دينكم ولى دين لا يدل على رضاه بدينهم بل ولا على اقرارهم عليه بل يدل على براءته من دينهم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه السورة براءة من الشرك. ونظير هذه الاية قوله تعالى (وان كذبوك فقل لى عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون وكذلك قوله تعالى فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما انزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم (وقد يظن بعض الناس ايضاً ان قوله (لكم دينكم ولى دين) الآية انى لا آمر

بالقتال ولا انهى عنه ولا اتعرض له بنفي ولا اثبات وانما فيها ان دينكم لكم انتم مختصون به وأنا بريء منه وديني لى وانا مختص به وانتم برآء منه وهذا أمر محكم لا يمكن نسخه بحال كما قال تعالى عن الخليل (اذ قال لابيه وقومه انني بريء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين) وقد قال تعالى (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه) وهو ما طار عنه من خير وشر وقال تعالى (ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى) وقال تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وقال تعالى (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها) بل قد قال تعالى لنبيه (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انى بريء مما تعملون) فاذا كان قد برّأه الله من معصية من عصاه من اتباعه المؤمنين فكيف لا يبريه من كفر الكافرين الذين هم أشد له معصية ومخالفة

(فصل) واما قوله تعالى (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ماعبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين) فهو أمر بالقول لجميع الكافرين من المشركين واهل الكتاب فان أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بما أنزل اليه من ربه كافرون قد شهد عليهم بالكفر وأمر بجهادهم وكفر من لم يجعلهم كافرين ويوجب جهادهم قال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وقال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولاباليوم الآخر

ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وحرف من في هذه المواضع لبيان الجنس فتبين جنس المتقدم وان كان ما قبلها يدخل في جميع الجنس الذى بعدها بخلاف ما اذا كانت للتبعيض كقوله (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) فإنه يدخل في الذين كفروا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم جميع المشركين وأهل الكتاب . وكذلك دخل في الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق جميع اهل الكتاب الذين بلغتهم دعوته ولم يؤمنوا به وكذلك قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) وان كان جميعهم آمنوا وعملوا الصالحات وهذا اذا كان الجنس يتناول المذكورين وغيرهم لكن لم يبق في الجنس الا المذكورون كما يقول هنا رجل من بنى عبد المطلب وان لم يكن بقى منهم غيره ، ووصفهم بالشرك وبأنهم يعبدون غير الله كما قال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) فاخبر أنهم اتخذوا من دون الله اربابا واتخذوا المسيح ربا وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً وهؤلاء باتخاذهم غيره اربابا عبدوهم فاشركوا بالله سبحانه وتعالى عما يشركون وقال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر

بعد إذ أنتم مسلمون) فقد أخبر أيضاً أنه من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا فانه كافر وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) فقد وبخ اهل التثليث على أنهم يعبدون مالا يملك لهم ضراً ولا نفعا والله هو السميع العليم فدخلوا في قوله (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد) كما دخل في ذلك غيرهم من الكفار لا سيما وقد دخل فى ذلك اليهود وهم أولى بالدخول من غيرهم فان قوله ما تعبدون يتناول صفات المعبود والاله الذى يعبده المؤمنون هو الاله الذى أنزل التوراة والانجيل والقرآن وأرسل موسى وعيسى ومحمداً صلوات الله عليهم وسلامه . والاله المتصف بهذه الصفات لا يعبده اليهود والنصارى وهذا كقوله (قالوا نعبد إلهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل وإسحق إلها واحداً ونحن له مسلمون) فهذا الاله الذى يعبده محمد صلى الله عليه وسلم وامته ليس هو اله المشركين الذى يعبدونه وان كان هو المستحق لان يعبدوه . فانهم يشركون بعبادته ويصفونه بما هو برىء منه فلا يخلصون له الدين فعبدوا معه آلهة اخرى ان لم يستكبروا عن عبادته . واله العبد الذى يعبده بالفعل ليس حاله معه كحاله مع الذى يستحق ان يعبده وهو لا يعبده بل يشرك به

أو يستكبر عن عبادته فهذا هو الذى قال فيه لا اعبد ماتعبدون والشرك غالب على النصارى والكبر غالب على اليهود

(فصل) واما قوله لا حجة بيننا وبينكم الآية فهذا ليس خطابا للنصارى خصوصاً بل هو خطاب للجميع وهؤلاء النصارى ظنوا ان معنى هذا لاتحاجوا أهل الكتاب كما ظنوا في قوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم) ان معناه لاتجادلوا أهل الكتاب النصارى الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا أى اليهود وهذا تحريف كلم الله عن مواضعه وهو تشبيه بتحريفهم لما عندهم من التوراة والانجيل والزبور وسائر النبوات فانهم أعظم تسلطاً على تحريف معانيها منهم على تحريف معاني القرآن. إذ كان القرآن له أمة تحفظه وتعرف معانيه وتذب عنه من يحرف لفظه او معناه. واما تلك الكتب فليس لها من يذب عن لفظها ومعناها فلهذا عظم تحريفهم لها وكان أعظم من تحريفهم للقرآن . ومما يبين ان هذا الخطاب ليس مختصاً بالنصارى ان هذه السورة مكية والسور المكية كانت تتناول من لا يقرأ الكتاب لا تختص باهل الكتاب بل كانت تعم الامم او تختص بالمشركين. والسور المدنية خطابها تارة لاهل الكتاب وتارة تختص بالمؤمنين وتارة تعم وقد قال تعالى (كبر على المشركين ماتدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) وقال تعالى (وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب) فالخطاب اما ان يعم المشركين وأهل الكتاب او يخص المشركين وأهل الكتاب

اليهود والنصارى وبكل تقدير فلا وجه لتخصيص النصارى به . واما قوله تعالى (لا حجة بيننا وبينكم) فهو نظير قوله تعالى (قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون) وقوله (فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ) فالحجة اسم لما يحتج به من حق وباطل كقوله (لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فان الظالمين يحتجون عليكم بحجة باطلة كقول المشركين لما حولت القبلة الى الكعبة قد عاد الى قبلتكم فسوف يعود الى ملتكم فهذه حجة داحضة من الظالمين ومما يبين ذلك قوله بعد ذلك (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) فسماها حجة وجعلها داحضة وهؤلاء الذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له هم الكفار من المشركين وأهل الكتاب . فهم يحاجون المؤمنين ليردوهم عن دينهم وقال عن النصاري (فمن حاجّك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فكان الكفار يحاجون المؤمنين حتى يردوهم عن دينهم كما كانوا يؤذونهم فهؤلاء حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد . ومحاجتهم للمؤمنين من باب الظلم لهم والعدوان عليهم وقول الباطل . فامره تعالى ان يقول لا حجة بيننا وبينكم أي ليس لكم ان تظلمونا وتعتدوا علينا بحجتكم الداحضة . وليس المراد بذلك انا نحن لا نحاجكم وندعوكم الى الحق بالحجج الصحيحة فانه تعالى قال

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) فامره تعالى ان يجادل أهل دعوته مطلقاً من المشركين وأهل الكتاب بالتي هي أحسن وقد قال تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم) فان الظالم باغ معتد مستحق للعقوبة فيجوز أن يقابل بما يستحقه من العقوبة لايجب الاقتصار معه على التي هي أحسن بخلاف من لم يظلم فانه لايجادل إلاّ بالتي هي أحسن وأهل الكتاب اسم يتناول اليهود والنصارى كما فى نظائره من القرآن كقوله تعالى (وطعام الذين اوتوا الكتاب الآية وقوله (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين) وامثال ذلك. والظالم يكون ظالماً بترك ماتبين له من الحق واتباع ماتبين له انه باطل والكلام بلا علم فاذا ظهر له الحق فعندعنه كان ظالماً. وذلك مثل الالد في الخصام قال تعالى(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام) وقال (ويجادلونك في الحق بعد ماتبين)وقال(ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم

(فصل) وقولهم انه لم يقل كونوا له مسلمين ولكن ونحن أى عنه وعن العرب التابعين له ولما اتى به وجاء فى كتابه. فيقال لهم هذا ونظائره كلام من لم يفهم القرآن بل ولا يفهم كلام سائر الناس فانه اذا عرف من صاحب كتاب يقول انه منزل من الله او يقول انه صنفه هو انه يدعو قوما بالاقوال الصريحة الكثيرة والاعمال البينة الظاهرة كان سكوته عن دعائهم فى بعض الالفاظ لا ينافي دعاءهم له. لكن ان

كان حكيما في كلامه كان للسكوت عن دعائهم في بعض المواضع حكمة تناسب ذلك وهذا كقوله تعالى (قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون) أفتراه لما أمر أمته ان يقولوا ونحن له مخلصون لم يكن اهل الكتاب مأمورين بالاخلاص لله وقد ذكر أمر أهل الكتاب بالاخلاص في غير موضع كقوله تعالى (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعدما جاءتهم البينة وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وكذلك دعاهم الى الاسلام وتوعدهم على التولى عنه في مثل (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحداً ونحن له مسلمون) فقد بين سبحانه انه لا يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه اي سفه نفساً

اي كانت نفسه سفيهة جاهلة هذا أصح القولين فى ذلك وهو مذهب الكوفيين من النحاة يجوزون ان يكون المنصوب على التمييز معرفة كما يكون نكرة ثم اخبر عنه انه قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين) وذكر ان ابراهيم وصى بها بنيه. ويعقوب وصى بها بنيه ايضاً كلاهما قال لبنيه (يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) ثم ذكر ان يعقوب عند موته قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق الهاً واحداً ونحن له مسلمون فهؤلاء ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب كلهم على الاسلام وهم يأمرون بالاسلام ثم قال بعد ذلك (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) ثم قال قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ثم قال) فان آمنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانماهم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فقد أخبر انهم ان تولوا عن الايمان بمثل ما امنتم به المتضمن قولكم ونحن له مسلمون فانما هم في شقاق أي مشاقون لله ورسوله كما قال تعالى (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار الى قوله ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله

ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب وقوله تعالى (ونحن له مسلمون في العنكبوت فهو مثل قوله ونحن له مسلمون في البقرة مع دعائهم الى الاسلام وكذلك في سورة آل عمران في قوله (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) فقد دعاهم أولا الى الاسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له وان لا يتخذ بعضهم بعضاً اربابا من دون الله كما قال تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) ثم قال تعالى (فان تولوا فقولوا أشهدوا بانا مسلمون) وهذه الاية التي كتب بها النبي صلى الله عليه وسلم الى قيصر ملك الروم لما دعاه الى الاسلام وقال في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم اسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فانما عليك إثم الاريسين وياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام في كتابه الذى ارسله اليه وقال ايضاً في آل عمران (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين

اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) فذكر التوحيد في هذه الآية وكفر من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً فكيف بمن اتخذ الاحبار والرهبان ارباباً ثم ذكر الايمان بخاتم الرسل (فقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) فقد ذكر انه اخذ الميثاق على النبيين واممهم مهما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وهذا يتناول الامر لكل أهل كتاب اذا جاءهم رسول ثاني ان يؤمنوا به وينصروه وان كان عندهم من الكتاب والحكمة مهما كان. ولا يقولون نحن مستغنون بما عندنا من الكتاب والحكمة لانؤمن بالرسول الذي جاءنا ونخص الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فانه خاتم الرسل وهو آخر رسول جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب فوجب على من جاءه أن يؤمن به وينصره وان كان عنده من الكتاب والحكمة ما كان . وهذا الميثاق اخذه الله على الانبياء واخذوه على اممهم ثم قال (افغير دين الله يبغون) وهذا هو دين الاسلام الذي ارسل به رسله

وانزل به كتبه فمن ابتغى غيره فقد ابتغي غير دين الله وهذا هو دين الاسلام الذى قال (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

(فصل) واما قوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) أمر للمؤمنين ان يقولوا الحق الذى اوجبه الله عليهم وعلى جميع الخلق ليرضوا به الله وتقوم به الحجة على المخالفين فان هذا من الجدال بالتى هي احسن وهو ان يقول كلاماً حقاً يلزمك ويلزم المنازع لك ان يقوله فان وافقك والا ظهر عناده وظلمه كما قال تعالى في الآية الاخرى (قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون) فانا مشتركون في انه ربنا كلنا وان عمل كل عامل له لا لغيره وامتزنا نحن بانا مخلصون له وانتم لستم مخلصين له. فاوجب هذا ان الحق معنا دونكم وان أعمالنا صالحة مقبولة واعمالكم مردودة ويشبه ذلك قوله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) فامره لهم أن يقولوا اشهدوا بانا مسلمون يتضمن اقامة الحجة عليهم كما كان المسيح عليه السلام يقول

(فصل)ثم قالوا فاما الذين ظلموا فما يشك أحد فى انهم اليهود الذين سجدوا لرأس العجل وكفروا بالله مرارا كثيرة ليست واحدة وقتلوا انبياءه ورسله وعبدوا الاصنام وذبحوا للشياطين ليس حيوانات غير

ناطقة فقط. بل بنيهم وبناتهم حسب ما شهد الله عليهم قائلا على لسان
داود النبي عليه السلام في كتاب الزبور في مزمور ماية وخمسة يقول
ذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين وأراقوا دماً زكيا دم بنيهم وبناتهم
الذى ذبحوا للمنحوتات بكنعان وقد تنجست الارض بالدماء
وتنجست أعمالهم وزنوا بضعائنهم وسخط الرب عليهم ورذل
ميراثهم. وقال أيضاً على لسان أشعيا النبي عليه السلام يقول الله في بني
اسرائيل لم يسمعوا وصاياى لم يحفظوا كل ما اوصيتهم به بل غيروا ونقضوا
الميثاق الذى كنت جعلته لهم الى الابد فلذلك اجلستهم على الحزن والخراب
واهلكتهم وانقطع ممن يبقى منهم الفرح والسرور هكذا قال الله على
سكان البيت المقدس من بنى إسرائيل سأبددهم بين الامم وفى تلك
الايام يرفعون الامم أصواتهم ويسبحون الله ويمجدونه باصوات عالية
ويجتمعون من انطار الارض ومن جزائر البحر ومن البلدان البعيدة
ويقدسون اسم الله ويرجعون الى الله اله اسرائيل ويكونون شعبه. واما
بنو اسرائيل فيكونون مبددين في الارض. وقال اشعيا النبي عليه السلام يقول
الله يا بنى اسرائيل نجستم جبلي المقدس فانى سأفنيكم بالحرب وتموتون وذلك
لانى دعوتكم فلم تجيبوا وكلمتكم فلم تسمعوا وعملتم الشيء بين يدى. وقال اشعيا
أيضاً ان الله قد بغض بنى اسرائيل وأخرجهم من بيوتهم ومن بيته
ولا يغفر لهم لانهم لعنة وجعلوا لعنة الناس فلذلك اهلكهم الله وبددهم
بين الامم ولا يعود يرحمهم ولا ينظر اليهم برحمة الى أبد الابدين ولا
يقربون لله قربانا في ذلك اليوم وذلك الزمان ولا يفرح بنوا اسرائيل
لانهم قد ضلوا عن الله عز وجل. وقال أرميا النبي عليه السلام كما ان

الحبشي لا يستطيع ان يكون أبيض فكذلك بنوا اسرائيل لا يتركون عادتهم الخبيثة ولذلك انى لا أرحم ولا أشفق ولا ارق على الامة الخبيثة ولا أرثى لها . وقال حزقيل النبي عليه السلام قال الله انما رفعت يدى عن بني اسرائيل وبددتهم بين الامم لانهم لم يعملوا بوصاياى ولم يطيعوا أمري وخالفونى فنها فيما قلت لهم ولم يسمعوا لى . ومثل هذا القول في التوراة وكتب الانبياء وزبور داود شيء كثير يقرؤنها اليهود فى كنائسهم ويقرّونها ولا ينكرون منها حرفا واحداً ومثل ماهو عندهم وكذلك عندنا في جميع الالسن * والجواب أن يقال اما كون اليهود ظالمين كافرين معتدين مستحقين لعذاب الله وعقابه فهذا معلوم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم منقول بالتواتر كما علم بالاضطرار والنقل المتواتر عنه صلى الله عليه وسلم ان النصارى أيضاً ظالمون معتدون كافرون مستحقون لعذاب الله وعقابه وفي اليهود من الكفر ما ليس في النصارى وفي النصارى ما ليس في اليهود فان اليهود بدلوا شريعة التوراة قبل أن يأتيهم المسيح بن مريم فلما أتاهم كفروا به وكذبوه فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه فباؤا بغضب على غضب كما قال تعالى عنهم (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزآء من يفعل ذلك منكم الاخزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون

وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا مايؤمنون ولما جاءهم
كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على
الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين
بئسما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغياً أن ينزل الله من
فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب
مهين واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون
بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل
ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده
وانتم ظالمون وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم
بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم
قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين) فغضب عليهم اولا بتكذيب
المسيح وثانياً بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى (ضربت
عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب
من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون
عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وقال تعالى (قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم
القردة والخنازير وعبد الطاغوت . فبين ان اليهود لعنهم الله وانهم عبدوا
الطاغوت وانه جعل منهم القردة والخنازير ومثل هذا في القرآن كثير
لكن قول القائل انهم المرادون بقوله (الا الذين ظلموا منهم) في قوله
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا غلط

بيّن ولهذا كان باطلا باتفاق المسلمين فان قوله تعالى (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن. نهى عن مجادلة اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا بالتى هي احسن وقوله الا الذين ظلموا من الطائفتين جميعاً. ولهذا كان الواجب على المسلمين اذا جادلهم اليهودى والنصراني ان يجادلوه بالتي هي احسن الا من ظلم من الطائفتين فانه يعاقب باللسان تارة وباليد اخرى كما امر الله ورسوله بجهاد الظالمين من هؤلاء وهؤلاء فجاهد النبي صلى الله عليه وسلم اليهود الذين كانوا بالمدينة النبوية وحولها وقريباً منها. كما جاهد بنى قينقاع والنضير وقريظة واهل خيبر واهل وادى القرى وغيرهم. وكما جاهد النصارى عام تبوك غزاهم بالشام عربهم وروميهم واغزاهم قبل ذلك نوا به زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبدالله بن رواحة وامر بغزوهم فغزاهم بعده خلفاؤه الراشدون والنبي صلى الله عليه وسلم لما قدم وفد نجران جادلهم صلى الله عليه وسلم في مسجده بالتي هى أحسن ثم أمره الله ان يدعوهم الى المباهلة فامتنعوا عن مباهلته واقروا باداء الجزية عن يدوهم صاغرون كما تقدم ذكر ذلك مفصلا فجادل بعضهم بالتى هي أحسن والظالم منهم عاقبه وجاهده كما عاقب الظالم من اليهود ومن اعجب الاشياء قولهم. واما الذين ظلموا فلا يشك احد انهم اليهود فان هذا من جنس قولهم ثم وجدنا في الكتاب ماهو اعظم من هذا برهانا وهو قوله في سورة الشورى (وقل آمنت بما انزل من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) كما تقدم وهي من جنس قولهم في قوله ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون.

الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) انه عنى بالكتاب الانجيل والذين يؤمنون بالغيب النصارى والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم المسلمون وزعمهم ان قولهم هذا بين ظاهر. وتفاسير النصارى للكتب الالهية فيها من التحريف لكلمات الله والالحاد في اسماء الله واياته ما يطول وصفه ولا ينقضي التعجب منه. لكن اقدامهم على تفسير القرآن بالالحاد والتحريف اعجب واعجب كقولهم ان محمدا صلي الله عليه وسلم ذكر انه لم يرسل اليهم وانه اثنى على الدين الذي هم عليه بعد النسخ والتبديل بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم وان قوله صراط الذين انعمت عليهم اراد به النصارى وقوله لقد ارسلنا رسلنا اراد به الحواريين وقوله وانزلنا معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس اراد به الانجيل فان في هذا من الكذب الظاهر والافترا على محمد صلي الله عليه وسلم بانه اراد هذه الامور. ماهو من جنس افترائهم على الانبياء فانهم اخبروا ان المسيح هو خالق السموات والارض وان التوراة والزبور وغيرهما من الكتب اخبرت بذلك ثم يأتون الى ما يعلم كل عاقل ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يرده فيقولون انه لا يشك فيه واحد وانه قول ظاهر بين وكل من عرف حال محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من القرآن والدين يعلم علما يقينيا ضروريا ان محمدا صلي الله عليه وسلم لم يكن يجعل النصارى مؤمنين دون اليهود بل كان يكفر الطائفتين ويامر بجهادهم ويكفر من لم ير جهادهم واجبا عليه وهذا مما اتفق عليه المسلمون وهو منقول عندهم عن نبيهم نقلا متواترا بل هذا يعلمه من حاله الموافق والمخالف الا من هو مفرط

فى الجهل بحاله او من هو معاند عنادا ظاهرا

(فصل) واما ما نقلوه عن الانبياء مما يدل على كفر اليهود فهذا لا ننازعهم فيه ولا حاجة بنا الى الاستدلال بما نقلوه وان كان فيما يثبت عن الانبياء ما يبين كفرهم لما بدلوا دين موسي عليه السلام كما كفر النصارى لما بدلوا دين المسيح. فهذا حق موافق لما اخبر به خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم فانا قد علمنا كفرهم من جهة لا نشك فى صدقها وما اخبرونا به عن الانبياء إن علمنا صدقهم فيه صدقنا هم فيه وان علمنا كذبهم فيه كذبنا هم فيه وان لم نعلم صدقه ولا كذبه لم نصدقه ولم نكذبه بل نقول آمنا بما انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون. فان الايمان بجميع ما اوتي النبيون حق واجب لكن وجوب التصديق في النبي المعين الذي لم نعلمه من غيرهم يقف على مقدمتين. ان يكون اللفظ قد قاله النبي. وان يكون المعنى الذى فسروه به مراداً للنبي الذي تكلم بذلك القول فلا بد من الاسناد ودلالة المتن وهاتان المقدمتان لا بد منهما في جميع المنقول عن الانبياء. وقد يحتاج الى مقدمة ثالثة في حق من لم يعرف اللغة العبرية فان موسى وداود والمسيح وغيرهم انما تكلموا باللغة العبرية فمن لم يعرف بها وانما يعرف بالعربية او الرومية لا بد ان يعرف ان المترجم من تلك اللغة الى هذه قد ترجم ترجمة مطابقة

(فصل) واما قولهم نحن النصارى فلم نعمل شيئاً مما عملته اليهود فيقال لهم الكفر والفسوق والعصيان لم ينحصر في ذنوب اليهود فان لم

تعملوا مثل اعمالهم فلكم من الاقوال والاعمال ما بعضه اصعب من كفر اليهود وان كنتم انتم الين من اليهود واقرب مودة فانتم أيضاً اجهل واضل من اليهود قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئاً ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى (الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسناً ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا) وقال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقال تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) وقال تعالى (يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس

بالباطل ويصدون عن سبيل الله) وقال تعالى (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العدواة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) وقال تعالى لما قص قصة المسيح عليه السلام (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان الله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)

(فصل) ومن تدبر حال اليهود والنصارى مع المسلمين. وجد اليهود والنصارى متقابلين. هؤلاء فى طرف ضلال. وهؤلاء في طرف يقابله والمسلمون هم الوسط وذلك فى التوحيد والانبياء والشرائع والحلال والحرام والاخلاق وغير ذلك. فاليهود يشبهون الخالق بالمخلوق في صفات النقص المختصة بالمخلوق التى يجب تنزيه الرب سبحانه عنها كقول من قال منهم إنه فقير وانه بخيل وانه تعب لما خلق السموات والارض والنصارى يشبهون المخلوق بالخالق في صفات الكمال المختصة بالخالق التى ليس له فيها مثل كقولهم ان المسيح هو الله وابن الله. وكل من القولين يستلزم الآخر. والنصارى أيضاً يصفون اللاهوت بصفات النقص التى يجب تنزيه الرب عنها ويسبون الله سباً ما سبه أياه أحد من البشر كما كان معاذ بن جبل يقول لا ترحموهم فانهم قد سبّوا الله مسبة

ماسبه اياها احد من البشر. واليهود تزعم ان الله يمتنع منه ان ينسخ مما شرعه كما يمتنع منه مالا يدخل في القدرة او ماينافي العلم والحكمة والنصارى يجوزون لاكابرهم ان ينسخوا شرع الله الذى بعث به رسله فيحللوا ماحرم كما حللوا الخنزير وغيره من الخبائث بل لم يحرموا شيئاً ويحرمون ماحلل كما يحرمون في رهبانيتهم التى ابتدعوها وحرموا فيها من الطيبات ما احله الله ويسقطون ما اوجب كما اسقطوا الختان وغيره وانواع الطهارة من الغسل وازالة النجاسة وغير ذلك. ويوجبون ما اسقط كما اوجبوا من القوانين مالم يوجبه الله وانبيآؤه. والمسلمون وصفوا الرب بما يستحقه من صفات الكمال ونزهوه عن النقص وان يكون له مثل. فوصفوه بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل مع علمهم انه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله وقالوا إله الخلق والامر فكما لايخلق غيره لايأمر غيره بل الدين كله له وهو المعبود المطاع الذى لايستحق العبادة الا هو ولا طاعة لاحد الا طاعته وهو ينسخ ماينسخه من شرعه وليس لغيره ان ينسخ شرعه. واليهود بالغوا في اجتناب النجاسات وتحريم الطيبات. والنصارى استحلوا الخبائث وملابسة النجاسات. والمسلمون احل الله لهم الطيبات خلافاً لليهود وحرم عليهم الخبائث خلافاً للنصارى. واليهود يبالغون في طهارة ابدانهم مع خبث قلوبهم. والنصارى يدعون انهم يطهرون قلوبهم مع نجاسة ابدانهم والمسلمون يطهرون ابدانهم وقلوبهم جميعاً. والنصارى لهم عبادات واخلاق بلا علم ومعرفة ولا زكاء. واليهود لهم علم ومعرفة بلا عبادات ولا اخلاق

حسنة. والمسلمون جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح بين الزكا والذكاء فان الله ارسل رسله بالهدى ودين الحق. فالهدى يتضمن العلم النافع. ودين الحق يتضمن العمل الصالح ليظهره على الدين كله. والظهور يكون بالعلم واللسان ليبين انه حق وهدى. ويكون باليد والسلاح ليكون منصوراً مؤيداً والله اظهره هذا الظهور فهم أهل الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً. غير المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق ولا يعملون به كاليهود. ولا الضالين الذين يعملون ويعبدون ويزهدون بلا علم كالنصارى واليهودُ قتلوا النبيين والذين يأمرون بالقسط من الناس. والنصارى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم. والمسلمون اعتدلوا فآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله ولم يفرقوا بين احد من رسله وآمنوا بجميع النبيين وبكل كتاب انزله الله فلم يكذبوا الانبياء ولا سبّوهم ولا غلوا فيهم ولا عبدوهم وكذلك في اهل العلم والدين لا يبخسونهم حقهم ولا غلوا فيهم. واليهود يغضبون لانفسهم وينتقمون. والنصارى لا يغضبون لربهم ولا ينتقمون. والمسلمون المعتدلون المتبعون لنبيهم يغضبون لربهم ويعفون عن حظوظهم كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له ولا امرأة ولا شيئاً قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه شيء قط فانتقم لنفسه الا ان تنتهك محارم الله فينتقم لله وفي الصحيحين عن أنس رضى الله عنه قال خدمت رسول الله صلي الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى اف قط وما قال لى لشيء فعلته لمَ فعلته ولا لشيء لم أفعله لم

لم تفعله وكان بعض أهله اذا عتبني على شيء يقول دعوه فلو قضي شيء لكان. هذا في حق نفسه. واما في حدود الله ففي الصحيحين عن عائشة ان قريشاً اهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا من يجترىء عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكلمه فيها اسامة فقال يا اسامة اتشفع في حد من حدود الله انما هلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدود والذى نفسي بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. وقد وصف الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بانهم انفع الامم للخلق فقال (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) ففي أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد ما لم يوجد مثله في الامتين

(فصل) ثم قالوا وكذلك جاء في هذا الكتاب يقول (لتجدنّ اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدنّ اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون) فذكر القسيسين والرهبان لئلا يقال ان هذا قيل عن غيرنا فدل هذا على أفعالنا وحسن نياتنا ونفى عنا اسم الشرك بقوله اليهود والذين اشركوا أشد عداوة للذين آمنوا والذين قالوا انا نصارى اقربهم مودة * والجواب ان يقال تمام الكلام (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق

يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) فهو سبحانه لم يعد بالثواب في الآخرة الا هوءلاء الذين منوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذين قال فيهم (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) والشاهدون هم الذين شهدوا له بالرسالة فشهدوا ان لااله الا الله وان محمداً رسول الله وهم الشهدآء الذين قال فيهم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ولهذا قال ابن عباس وغيره واكتبنا مع الشاهدين قال مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ٠ وكل من شهد للرسل بالتصديق فهو من الشاهدين كما قال الحواريون (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) واما قوله فى أول الآية (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) فهو كما اخبر سبحانه وتعالى فان عداوة المشركين واليهود للموءمنين اشد من عداوة النصارى. والنصارى اقرب مودة لهم وهذا معروف من اخلاق اليهود فان اليهود فيهم من البغض والحسد والعداوة

ما ليس فى النصارى .وفى النصارى من الرحمة والمودة ما ليس في اليهود والعداوة اصلها البغض .فاليهود كانوا يبغضون انبياءهم فكيف يبغضهم للمؤمنين.واما النصارى فليس فى الدين الذي يدينون به عداوة ولا بغض لاعداء الله الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا فى الارض فساداً فكيف بعداوتهم وبغضهم للمؤمنين المعتدلين اهل ملة ابراهيم المؤمنين بجميع الكتب والرسل .وليس في هذا مدح للنصارى بالايمان بالله ولا وعد لهم بالنجاة من العذاب واستحقاق الثواب .وانما فيه انهم اقرب مودة وقوله تعالى (ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون) اى بسبب هؤلاء .وسبب ترك الاستكبار يصير فيهم من المودة مايصيرهم بذلك خيراً من المشركين واقرب مودة من اليهود والمشركين ثم قال تعالى (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق)فهؤلاء الذين مدحهم بالايمان ووعدهم بثواب الآخرة والضمير وان عاد الى المتقدمين فالمراد به جنس المتقدمين لا كل واحد منهم كقوله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وكان جنس الناس قالوا لهم ان جنس الناس قد جمعوا ويمتنع العموم فان القائل من الناس والمقول له من الناس والمقول عنه من الناس ويمتنع ان يكون جميع الناس قال لجميع الناس انه قد جمع لكم جميع الناس ومثل هذا قوله تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله) اى جنس اليهود قال هذا لم يقل هذا كل يهودي.ومن هذا ان في النصارى من رقة القلوب التي توجب لهم الايمان ما ليس في اليهود وهذا حق.واما

قولهم ونفى عنا اسم الشرك فلا ريب ان الله فرق بين المشركين وأهل الكتاب فى عدة مواضع ووصف من اشرك منهم في بعض المواضع بل قد ميز بين الصابئين والمجوس وبين المشركين في بعض المواضع وكلا الامرين حق فالاول كقوله تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) وقوله تعالى (ان الذين آمنو والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا) وقال تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) واما وصفهم بالشرك ففي قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) فنزه نفسه عن شركهم وذلك ان أصل دينهم ليس فيه شرك فان الله انما بعث رسله بالتوحيد والنهى عن الشرك كما قال تعالى (واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) فالمسيح صلوات الله عليه وسلامه ومن قبله من الرسل انما دعوا الى عبادة الله وحده لاشريك له وفى التوراة من ذلك مايعظم وصفه لم يأمر أحد من الانبياء بان يُعبد ملك ولا نبي ولا كوكب ولا وثن ولا ان تُسئل الشفاعة الى الله من ميت ولا غائب لانبي ولا ملك فلم يأمر احد من الرسل بان يدعو الملائكة ويقول اشفعوا لنا الى الله ولا يدعو الانبياء والصالحين الموتى والغائبين ويقول اشفعوا لنا الى الله ولا تُصور تماثيلهم لامجسدة ذات

ظل ولا صورة في الحيطان ولا يجعل دعاء تماثيلهم وتعظيمها قربة وطاعة سوآء قصدوا دعاء اصحاب التماثيل وتعظيمهم والاستشفاع بهم وطلبوا منهم ان يسألوا الله تعالى وجعلوا تلك التماثيل تذكرة باصحابها . او قصدوا دعاء التماثيل ولم يستشعروا ان المقصود دعآء اصحابها كما فعله جهال المشركين وان كان في هذا جميعه انما يعبدون الشيطان • وان كانوا لا يقصدون عبادته فانه قد يتصور لهم في صورة ما يظنون انها صورة الذي يعظمونه ويقول انا الخضر انا المسيح انا جرجس انا الشيخ فلان كما قد وقع هذا لغير واحد من المنتسبين الى المسلمين والنصارى . وقد يدخل الشيطان في بعض التماثيل فيخاطبهم وقد يقضي بعض حاجتهم فبهذا السبب وامثاله ظهر الشرك قديماً وحديثاً . وفعل النصارى واشباههم ما فعلوه من الشرك . واما الانبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه فنهوا عن هذا كله ولم يشرع احد منهم شيئاً من ذلك . فالنصارى لا يأمرون بتعظيم الاوثان المجسدة ولكن بتعظيم التماثيل المصورة فليسوا على التوحيد المحض وليسوا كالمشركين الذين يعبدون الاوثان ويكذبون الرسل فلهذا جعلهم الله نوعا غير المشركين تارة وذمهم على ما أحدثوه من الشرك تارة . واذا اطلق لفظ الشرك فطائفة من المسلمين تدخل فيه جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم كقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) فمن الناس من يجعل اللفظ عاما لجميع الكفار لاسيما النصارى ثم من هؤلآء من ينهي عن نكاح هؤلآء كما كان عبد الله بن عمر ينهى عن نكاح هؤلآء ويقول لا اعظم شركا من ان يقول عيسى ربنا . وهذا قول طائفة من

الشيعة وغيرهم • واما جمهور السلف والخلف فيجوزون نكاح الكتابيات ويبيحون ذبائحهم لكن اذا قالوا لفظ المشركين عام قالوا هـذه الآية مخصوصة أو منسوخة بآية المائدة وهو قوله تعالى (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان) وطائفة أخرى تجعلوا لفظ المشركين اذا اطلق لا يدخل فيه أهل الكتاب . واما كون النصارى فيهم شرك كما ذكره الله فهذا متفق عليه بين المسلمين كما نطق به القرآن كما ان المسلمين متفقون على ان قوله (لتجدن أشد الناس عداوة للذين أمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين أمنوا الذين قالوا انا نصارى لان النصارى لم يدخلوا فى لفظ الذين اشركوا كما لم يدخلوا في لفظ اليهود وكذلك قوله (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) ونحو ذلك وهذا لان لفظ الواحد تتنوع دلالته بالافراد والاقتران فيدخل فيه مع الافراد والتجريد مالا يدخل فيه عند الاقتران كلفظ المعروف والمنكر فى قوله تعالى (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) فانه يتناول جميع ما أمر الله به فانه معروف وجميع مانهى عنه فانه منكر وفى قوله (لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس) فهنا قرن الصدقة بالمعروف والاصلاح بين الناس وكذلك المنكر في قوله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) قرن الفحشاء بالمنكر وقوله (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربي وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) قرن الفحشاء بالمنكر والبغي • وكذلك لفظ

البر والايمان واذا افرده دخل فيه الاعمال والتقوى كقوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) الاية وقال (ان الابرار لفي نعيم) وقوله انما المؤمنون ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري وقال (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) وقد يقرنه بغيره كقوله (وتعاونوا على البر والتقوى) وقوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وكذلك لفظ الفقير والمسكين اذا افرد احدهما دخل فيه لفظ الآخر وقد يجمع بينهما في قوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين) فيكونان هنا صنفين وفي تلك المواضع صنف واحد فكذلك لفظ الشرك في مثل قوله (انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) يدخل فيه جميع الكفار أهل الكتاب وغيرهم عند عامة العلماء لانه أفرده وجرده وان كانوا اذا قرن باهل الكتاب كانا صنفين وفي صحيح مسلم عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أرسل أميراً على سرية أو جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وأوصاه بمن معه من المسلمين خيراً وقال لهم اغزوا بسم الله في سبيل الله في دعة قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى احدى خلال ثلاث فانهم ما أجابوك اليها فاقبل منهم وكف عنهم الى الاسلام فان أجابوك الى ذلك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين واخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فان لهم ما للمهاجرين وعليهم ما عليهم فان أبوا ان يتحولوا عنها فاخبرهم أنهم يكونون كاعراب

المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المسلمين وليس لهم في الغنيمة والفىء نصيب الا ان يجاهدوا مع المسلمين فان هم أبوا فاسألهم الجزية فان هم أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم• وهذا الحديث كان بعد نزول آية الجزية وهى انما نزلت عام تبوك لما قاتل النبى صلى الله عليه وسلم النصارى بالشام واليهود باليمن وهذا الحكم ثابت في أهل الكتاب باتفاق المسلمين كما دل عليه الكتاب والسنة ولكن تنازعوا فى الجزية هل تؤخذ من غير أهل الكتاب وهذا مبسوط في موضعه

(فصل) قالوا وقال فى سورة البقرة (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فساوى بهذا القول بين سائر الناس اليهود والمسلمين وغيرهم* والجواب أن يقال أولا لا حجة لكم فى هذه الآية على مطلوبكم فانه يسوى بينكم وبين اليهود والصابئين وأنتم مع المسلمين متفقون على ان اليهود كفار من حين بعث المسيح اليهم فكذبوه •وكذا الصابئون من حين بعث اليهم رسول فكذبوه فهم كفار فان كان فى الآية مدح لدينكم الذى انتم عليه بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ففيها مدح دين اليهود أيضاً وهذا باطل عندكم وعند المسلمين• وان لم يكن فيها مدح لدين اليهود بعد النسخ والتبديل فليس فيها مدح لدين النصارى بعد النسخ والتبديل •وكذلك يقال لليهودى ان احتج بها على صحة دينه وأيضاً فان النصارى يكفرون اليهود فان كان دينهم حقاً لزم كفر اليهود وان كان باطلا لزم بطلان دينهم فلا بد من بطلان أحد الدينين فيمتنع أن تكون الآية مدحتهما

وقد سوت بينهما . فعلم أنها لم تمدح واحداً منهما بعد النسخ والتبديل وانما معنى الآية أن المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم والذين هادوا الذين اتبعوا موسى عليه السلام وهم الذين كانوا على شرعه قبل النسخ والتبديل والنصارى الذين اتبعوا المسيح عليه السلام وهم الذين كانوا على شريعته قبل النسخ والتبديل والصابئين وهم الصابئون الحنفا كالذين كانوا من العرب وغيرهم على دين ابراهيم واسماعيل واسحق قبل التبديل والنسخ فان العرب من ولد اسماعيل وغيره الذين كانوا جيران البيت العتيق الذى بناه ابراهيم واسماعيل كانوا حنفاء على ملة ابراهيم الى ان غير دينه بعض ولاة خزاعة وهو عمرو بن لحي وهو اول من غير دين ابراهيم بالشرك وتحريم مالم يحرمه الله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه أى امعائه فى النار وهو اول من بحر البحيرة وسيب السوائب وغير دين ابراهيم . وكذلك بنوا اسحاق الذين كانوا قبل مبعث موسى متمسكين بدين ابراهيم كانوا من السعداء المحمودين فهؤلاء الذين كانوا على دين موسى والمسيح وابراهيم ونحوهم هم الذين مدحهم الله تعالى فقال (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) فأهل الكتاب بعد النسخ والتبديل ليسوا ممن آمن بالله ولا باليوم الآخر وعمل صالحا كما قال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقد تقدم

انه كفر أهل الكتاب الذين بدلوا دين موسى والمسيح وكذبوا بالمسيح او بمحمد صلى الله عليه وسلم في غير موضع وتلك آيات صريحة ونصوص كثيرة وهذا متواتر معلوم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم ولكن هؤلاء النصارى سلكوا فى القرآن ماسلكوه في التوراة والانجيل يدعون النصوص المحكمة الصريحة البينة الواضحة التى لا تحتمل الا معنى واحداً • ويتمسكون بالمتشابه المحتمل وان فيه مايدل على خلاف مرادهم كما قال تعالى فيهم وفي امثالهم (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب)

(فصل) قالوا ثم مدح قرابيننا وتواعدنا ان اهملنا ما معنا وكفرنا بما انزل الينا ان يعذبنا عذاباً لم يعذبه أحدا من العالمين بقوله ذلك في سورة المائدة (اذ قال الحواريون ياعيسي بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) الى قوله (فمن يكفر بعدُ منكم فاني اعذبه عذاباً لا اعذبه أحداً من العالمين) فالمائدة هي القربان المقدس الذى يتقرب منه فى كل قداس*والجواب ان يقال هذا كذب ظاهر على القرآن في هذا الموضع كما كذبت عليه في غير هذا الموضع فانه ليس في الايات ذكر قرابينكم البتة وانما فيه ذكر المائدة التي انزلها الله تعالى في عهد المسيح عليه السلام وقولهم بالمائدة هى القربان الذى يتقرب به فى كل قداس. هو اولاً قول لادليل عليه وثانياً

هو قول معلوم الفساد بالاضطرار من دين المسلمين الذين نقلوا هذا القرآن عن محمد صلي الله عليه وسلم لفظه ومعناه فانهم متفقون على ان المائدة مائدة انزلها الله على عهد المسيح عليه السلام وقصتها مشهورة في عامة الكتب تعرفها العامة والخاصة ولم يقل أحد انها قرابين النصارى وليس فى لفظ الآية مايدل على ذلك بل يدل على خلاف ذلك فان الآية تبين ان المائدة منزلة من السماء وقرابينهم هى عندهم في الارض لم تنزل من السماء وفي الآية ان عيسى قال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذاباً لا اعذبه أحداً من العالمين) وفى اول الكلام (اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين فاين هذا من قرابينهم الموجودة اليوم؟

(فصل) قالوا ولما تقدم به القول لانه غير لائق عند ذوى الالباب ان نهمل روح القدس وكلمة الله الذى شهد لهما فى هذا الكتاب بالعظائم فقال عن كلمة الله (وان من اهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) والجواب ان الله تعالى لم يبعث محمداً صلى الله عليه وسلم باهمال مايجب من حق المسيح عليه السلام بل امره بالايمان بالمسيح وبما جاء به كما أمر بالايمان بموسى وبما جاء به وكما أمر المسيح بالايمان بموسى وبما جاء به ولكنه أمر باهمال ما ابتدع من الدين

الذى لم يشرعه الله على لسان المسيح عليه السلام وما نسخه الله من شرعه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فيهمل المبدل والمنسوخ كما أمر الله المسيح ان يهمل ما ابتدعته اليهود من الدين الذى لم يشرعه ومانسخه من شرع موسى فكما أمرالمسيح ان يهمل المبدل والمنسوخ من التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام ولم يكن في ذلك اهمال لما يجب من حق التوراة وموسى عليه السلام فكذلك اذا اهمل المبدل والمنسوخ من دين أهل الانجيل لم يكن في ذلك اهمال لما يجب من حق الانجيل والمسيح. بل ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم يتضمن الايمان بجميع الكتب والرسل وان لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون كما قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون) والنصارى كاليهود آمنوا ببعض وكفروا ببعض فايما هو اللائق عند اولى الالباب؟ ان نؤمن بجميع كتب الله ورسله . او نؤمن ببعض ونكفر ببعض؟ وايما هو اللائق عند اولى الالباب ان نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ونعبده بما شرعه على لسان رسوله . او نبتدع من الشرك والعبادات المبتدعة مالم ينزل به الله كتابا ولا بعث به رسولا ونضاهي المشركين عباد الاوثان قال تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل يعنى المشركين قاتلهم الله انى يؤفكون) وقال تعالى (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ

بعضنا بعضاً اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)
فالمسلمون لم يهملوا روح القدس وكلمة الله وقد قال تعالى عن كلمة الله
(وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) بل هم الذين اتبعوا
دينه ودين الرسل قبله فان دين الانبياء عليهم السلام جميعهم واحد لما
ثبت في الصحيحين عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبياء
ديننا واحد وقد قال تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى
أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا
تتفرقوا فيه) فدين المرسلين كلهم دينٌ واحد ويتنوع شرعهم ومناهجهم
كتنوع شريعة الرسول الواحد. فان دين المسيح هو دين موسى وهو
دين الخليل قبلهما ودين محمد بعدهما مع ان المسيح كان على شريعة التوراة
ثم نسخ الله على لسانه ما نسخ منها وهو قبل النسخ وبعده دينه دين
موسى ولم يهمل دين موسى. كذلك المسلمون هم على دين المسيح وموسى
وابراهيم وسائر الرسل وهم الذين اتبعوا المسيح ولهذا جعلهم الله فوق
النصارى الى يوم القيامة . والنصارى الذين بدلوا دين المسيح وكذبوا
محمداً صلى الله عليه وسلم بريئون من دين المسيح. والمسيح بريءٌ منهم
كبراءة موسى ممن بدل وغير دينه وكذب المسيح. والمسلمون أشد تعظيما
للمسيح عليه السلام واتباعاً له بالحق ممن بدل دينه وخالفه من النصارى
فان المسلمين يصدقونه في كل ما أخبر به عن نفسه ولا يحرفون ما قاله
عن مواضعه ولا يفسرون كلامه بغير مراده وكلامَ غيره من الانبياء
كما فعلت النصارى فانهم نقلوا عن المسيح انه قال عمدوا الناس باسم الاب
والابن وروح القدس وهذا اذا قاله المسيح فانه يفسر بلغته وعادته في

خطابه وعادة سائر الانبياء وليس في كلام المسيح ولا في كلام سائر الانبياء ولا كلام غيرهم ان كلمة الله القائمة بذاته سبحانه وتعالى تسمى ابنا ولا روح قدس ولا تسمى صفته القديمة ابنا ولا روح قدس ولا يوجد قط في كلام الانبياء اسم الابن واقعاً الا على مخلوق والمراد فى تلك اللغة انه مصطفى محبوب لله كما ينقلونه انه قال لاسرائيل انه ابنه بكره ولداود أنت ابنى وحبيبي وان المسيح قال للحواريين ابي وابيكم فجعله أبا للجميع وهم كلهم مخلوقون فيكون اسم الابن واقعا على المسيح الذى هو ناسوت مخلوق فعمد هؤلاء الضلال فجعلوا اسم الابن واقعا على اللاهوت قديم ازلى مولود غير مخلوق وزعموا أن الابن يراد به الابن بالوضع وهو المخلوق وهو الابن بالطبع وهو القديم الازلى المولود غير المخلوق وهذا التفريق هم احدثوه وابتدعوه ولا يوجد قط في كلام المسيح ولا غيره انه سمي القديم الازلى ابنا ولا جعل له ابنا قديماً مولودا غير مخلوق ولا سمى شيئاً من صفات الله قط ابنا وكذلك لفظ روح القدس موجود في غير موضع من كلام الانبياء عليهم السلام لا يراد بهذا قط حياة الله ولا صفة قائمة وانما يراد به ما ايد الله به الانبياء والاولياء ويجعله في قلوبهم من هداه ونوره ووحيه وتأييده ومن ينزل بذلك من الملائكة وهذا الذى تسميه الانبياء روح القدس لم يختص به المسيح باتفاق المسلمين واهل الكتاب بل قد أنزله على غيره من الانبياء والصالحين كما هو موجود فى كتبهم ان روح القدس كانت فى داود وغيره وكانت ايضاً عندهم في الحواريين. وهكذا خاتم الرسل كان يقول لحسان بن ثابت ان روح القدس معك مادمت تنافح عن

نبيه ويقول اللهم أيده بروح القدس وقد قال تعالى عن المؤمنين (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) فروح القدس لا اختصاص للمسيح عليه السلام بهما بل ما يفسر به اسم الابن واسم روح القدس وغير ذلك مما وصف به المسيح فهو مشترك بينه وبين غيره من الرسل واذا فسروا الحلول بظهور نور الله وعلمه وهداه في الانبياء فهذا حق وهو مشترك بين المسيح وغيره فاما نفس ذات الله فلم تحل في أحد من البشر • والمسلمون مع شهادتهم للمسيح بانه عبد الله ورسوله يقولون انه مؤيد منصور عصمه الله من اعدائه وطهره منهم ولم يسلطهم عليه • والنصارى يدعون انه اسم المسيح اسم اللاهوت والناسوت وانه اله تام وانسان تام وهذا يمتنع شرعا وعقلا ثم يصفونه بالصفات المتناقضة يصفونه بان طائفة من شرار اليهود وضعوا الشوك على رأسه وبصقوا في وجهه واهانوه وصلبوه وفعلوا به مالايفعل باخس الناس ويقولون مع هذا انه رب السموات والارض وما بينهما

(فصل) قالوا ثم شهد لقرابيننا وذبائحنا انها مقدسة مقبولة لدي الله من كتب اليهود التي في ايديهم يومنا هذا المنزلة من الله على افواه الانبياء المرسلين قال اشعيا قال الله اني اعرف بني اسرائيل وقلوبهم القاسية الخبيثة فاذا انا ظهرت الى الامم فنظروا الى كرامتي • اقيم منهم انبياء وابعث منهم مخلصين يخلصون الامم من البلدان القاصية الذين لم يسمعوا بسماعي ولم يعرفوه من قبل كرامتي ويكون اسمي فيهم ويحابون

اخوتهم من الامم كلها ويجيبون قرابين الله على الدواب والمراكب الى جبل قدسي بيت المقدس فيقربون لى القرابين بالسميد كما كان بنوا اسرائيل من قبل وكذلك باقى الامم ويقرب القرابين بين يدى فهم وزرعهم الى الابد ويحجون فى كل سنة وفى كل شهر ومن سنة الى سنة الى بيت المقدس بيت الله ويقربون لله ربهم فيه قرابين زكية نقية وينظرون الى الامة الخبيثة المارده بنى اسرائيل لا يبلى حرمها ولا ينقطع بلاؤها الى الابد. وقال دانيال عليه السلام وسياتي على بيتك وقرية قدسك سبعون سابوعا وتنقضى الذنوب وتفنى الخطايا وغفران الاثم ويوئتي بالحق الذى لم ينزل من قبل وتتم نبوات الانبياء وكتب الرسل وتبيد قرية القدس وتخرب مع مجي المسيح ويفنى الميثاق العتيق من الناس ومن بعد اسبوع ونصف تبطل ذبائح اليهود وقرابينهم وتصير على كف النجاسة والفساد الى انقضاء الدهر. وقال ميخاالنبي عليه السلام قال الله فى آخر الزمان اذا اتي المسيح يدعوا الامم المبددة ويضمهم شعباً واحدا ويبطل قتال بنى اسرائل وسلاحهم وقرابينهم الى الابد. وقال عاموص النبي لايذبحوا العجول بعد فان الرب سياتى صهيون ويحدث وصية جديدة طاهرة من الخبز النقى والخمر الزكي ويصير بنوا اسرائيل مطرودين * والجواب من وجوه احدها ان ما يحتجون به من النقل عن الانبياء صلوات الله عليهم يحتاجون فيه الى اربع مقدمات. الى ان تعلم نبوة المنقول عنه والى ان يعلم لفظه الذي تكلم به والى ان نعلم ماذكروه ترجمة صحيحة عنه فان اولئك الانبياء لم يتكلمو بالعربية بل ولا بالرومية والسريانية واليونانية وانما

تكلموا بالعبرية كالمسيح عليه السلام. والرابع ان يعلم ان ما ذكروه من كلام الانبياء دليل على ما ادعوه من قبول قرابينهم فى هـذا الزمان ونحن فى هذا المقام نقتصر على منازعتهم فى هذه المقدمة فليس فيما ذكروه دليل على مدح قرابينهم وذبائحهم بعد التبديل والنسخ ولكن غايتها ان يدل على مدحها قبل النسخ والتبديل. وهذا مما لا ينازع فيه المسلمون. الوجه الثانى ان هذه النعوت المذكورة عن اشعيا وغيره من الانبياء لا توافق ما عليه النصارى فان النصارى لا يقربون القرابين بالسميد كما كان بنوا اسرائيل من قبل ولا يحجون في كل شهر ومن سنة الى سنة الى بيت المقدس . ت الله ويقربون لله ربهم فيه قرابين نقية زكية . وانما يحجون الى قمامة الخارجة عن بيت الله الذى كانت الانبياء تقصده وتصلي فيه فان الانبياء انما كانوا يصلون فى بيت المقدس ويزورون بيت المقدس نفسه . واما قمامة فليس لها ذكر فى كتب الانبياء عليهم السلام بل انما ظهرت قمامة فى زمن قسطنطين الملك لما اظهرتها أمه هيلانة الحرانية لما جاءت بيت المقدس واختارت من اليهود ثلاثة وسألتهم أن يدلوها على موضع الصلب فامتنعوا فعاقبتهم بالحبس والجوع فدلوها على موضعه فى مزبلة فاستخرجوه وجعلته في غلاف من ذهب وحملته وبنت كنيسة القمامة فى موضعه كما ذكر ذلك ابن البطريق في تاريخه وغيره كما سيأتى وذلك بعد المسيح باكثر من ثلاث مائة سنة ومن ذلك الوقت اظهروا الصليب وجعلوا عيـد الصليب فلم يشرع ذلك لا المسيح ولا الحواريون وهذا مذكور في كتبهم متفق عليه بين علمائهم كما قـد ذكر في موضع آخر ولا هم يـأتون بقرابين مـة على الدواب

والمراكب الى جبل قدس الله المقدس ٠ الوجه الثالث أنّ ما ذكروه عن
دانيال لا يتضمن مدح دينهم بعد النسخ والتبديل وانما يتضمن ان الله
يبعث المسيح عليه السلام بالحق الذى لم يزل من قبل وهو الدين الذى
بُعثت به الرسل قبله وهو عبادة الله وحده وأن بيت المقدس يخرب
مع مجيء المسيح وينفى الميثاق العتيق يعنى ما نسخ من شرع التوراة
وأنه يبطل ذبائح اليهود وقرابينهم وهذا كله انما يدل على نسخ شرع
التوراة وبطلان دولة اليهود ويدل على أن المسيح جاء بالحق ومن اتبع
المسيح كان على الحق وهذا مما لا ينازع فيه المسلمون فانهم متفقون على
ان من كان متمسكا بما أمر به المسيح فانه من عباد الله الصالحين ولكن
من جاء بشرع لم يات به المسيح أو اراد اتباع شرعه بعد النسخ فهو
بمنزلة اليهود الذى نسخ الله ما نسخه من شرعهم وازال دولتهم وكذلك
فعل بالنصارى لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أزال دولتهم عن
وسط الارض وخيارها وحيث بعثت الانبياء كارض الشام ومصر والجزيرة
والعراق وأرمينية واذربيجان واجلاهم الى طرفي الارض من جهة
الشمال والجنوب وصار الذين فى وسط الارض منهم أحسنُ أحوالهم
إذا لم يسلموا أن يؤدوا الجزية عن يدوهم صاغرون ٠ وكذلك ماذكروه
عن ميخا وعاموص انما يدل على مجيء المسيح عليه السلام وبطلان
ما نسخه الله وأبطله من شرع اليهود وملكهم لا يدل على صحة دين
النصارى الذى لم يشرعه المسيح عليه السلام ولا على صحته بعد أن
نسخ بشرع محمد صلى الله عليه وسلم نسخا هو أبلغ من نسخ بعض
شرع موسى بشرع المسيح ٠ هذا اذا سمي الشرع الموقت بغاية مجهولة

نسخا فان الاول لم يبشر بالثاني وأما اذا كان الاول بشر بالثانى وكانت شريعة الاول موقتة الى مجيء الثانى لم يسم ذلك نسخا فالمسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم لم ينسخا شيئاً بل كان شرع موسى الى مجيء المسيح وشرع المسيح الى مجيء محمد صلى الله عليهما وسلم . وأما ما حكى عن اشعيا عن الله أنه قال فاذا ظهرتُ الى الامم فهذا قد يحتج به النصارى وبامثاله من كلام الانبياء عليهم السلام على الحلول الذى ابتدعوه وهو باطل فان هذا اللفظ مذكور في كتب أهل الكتاب في غير موضع ولا يراد بشيء منها حلول ذات الله في أحد من البشر كما ذكر فى التوراة ان الله عز وجل استعلن لابراهيم وغيره وان الله يأتي من طور سينا ويشرف من ساعير ويستعلن من جبال فاران ومعلوم عند جميع أهل الملل ان الله سبحانه وتعالى لم يحل في موسى ولا غيره لما كلمه ولا يحل في شيء من جبال فاران مع اخباره انه استعلن منها وقال تعالى (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) فاظهره بالعلم والحجة والبيان واظهره باليد والسنان كما قال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء) قال ابي بن كعب وغيره مثل نوره في قلب المؤمن وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به) وقال تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب

ولا الايمان ولـكن جعلناه نوراً نهـدى به من نشآء من عبادنا)وفي الترمذى عن أبي سـعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال الترمذى حديث حسن وقـد جآء عن بعض السلف ان قلوب المؤمنين تضيء لاهل السموات كما تضيء الـكواكب لاهـل الارض كالمخلوق الذى تظهر محبته وذكره وطاعته في بعض البلاد يقال فلان قد ظهر في هـذه الارض فاذا ظهر ذكر الله وذكر اسمائه وصفاته وتوحيده وآياته وعبادته حتى امتلأت القلوب بذلك بعد ان كانت ممتلئة بظلمة الـكفر والشرك •كان ذلك مما أخبر به من ظهوره وهذا أعظم ما يكون في بيوته التي يعبد فيها و يذكر فيها اسمه ولهذا ذكر تعالى آية النور وقال(الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهـدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) قال عقب ذلك فى بيـوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيـه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) وكذلك مافي الـكتب من ظهوره ببيت المقدس فهو كظهوره بطور سينا وبجبل فاران ومع هذا فلم يره موسى ولاغيره لامجرداً ولا حالا فى غيره وقد أخبر المسيح انه لم يره أحـد كما اخبر

غيره وذلك نفي علم يوجب انه لا يرى لا مجردا ولا حالا في دار الدنيا كما قد بسط هذا في موضع آخر • ومعلوم ان ملابسة الشيء ابلغ من رؤيته فاذا كان الرب تعالى لا يراه ناسوت فان لا يلابسه ناسوت بطريق الاولى والاحرى • والنصاري يزعمون انه اتحد هو والناسوت وهـذا اعظم من الرؤية

(فصل) قالوا فما يكون اعظم من هذا برهاناً واقوى شهادة إذ هذه كتب أعدائنا المخالفين لديننا وهم يقرون بذلك ويقرأونه في كنايسهم ولم ينكروا منه كلمة واحدة ولا حرفا واحداً والجواب ان الامر اذا كان على ما قالوه من ثبوت هذه الكلمات عن بعض الانبياء فليس فيها مدح لدينهم بعد التبديل فكيف بعد النسخ والتبديل؛ وانما فيها اخبار بزوال ملك بنى اسرائيل ونسخ ما نسخ من شرعهم بمجيء المسيح عليه السلام وهذا دليل على نبوة المسيح وصدقه وهذا مما اتفق عليه المسلمون • والمسيح عليه السلام عندهم كما اخبر الله عنه بقوله تعالى لمريم (ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهـد وكهلا ومن الصالحين) واما قولهم ان هـذا وغيره موجود في كتب أعـدائنا اليهود؛ فيقال لهم لا ريب ان اليهود يخالفونكم في تفسير الكتب فانتم تفسرونها بشيء وهم يفسرونها بشيء آخر وقد يكون كلا التفسيرين باطلا وحينئذ فيقال لـكم كما ان كتب الانبياء شاهدة للمسيح ولدينه وإن خالفتكم اليهود في تفسيرها فكذلك هي شاهدة لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته وان خالف اهل الـكتاب في تفسيرها كما قد بين الله في كتب الانبياء صفة محمد وامته

فى غير موضع • والواجب في الكتب اذا تنازعت الامم في تفسيرها ان يبين الحق الذى يقوم عليه الدليل الشرعي والعقلى وحينئذ تبين انكم فسرتم كتب الله باشياء تخالف مراد الله فى أمر التثليث والاتحاد وغيره كما فعلت اليهود بتفسير الكتب كما قد بسط فى غير هذا الموضع

(فصل)قالوا وايضاً فى قول هذا الانسان مما أتي في كتابه حيث اتبع القول انه لم يرسل الينا مع تشككه فيما أتي به فى هذا الكتاب فى سورة سبا حيث يقول (وانا أو اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين) وايضاً فى سورة الاحقاف يقول (وما ادرى مايفعل بى ولا بكم) والجواب ان نقلهم انه قال انه لم يرسل اليهم كذب ظاهر عليه • فان كتابه مملوء بدعوتهم وامره لهم بالايمان به واتباعه بل وبعموم رسالته الى جميع الناس بل والى الجن والانس وليس فيه قط انه لم يرسل الى أهل الكتاب بل فيه التصريح بدعوة اهل الكتاب في غير موضع كقوله تعالى (قل يااهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية الى قيصر ملك النصارى الذى اسمه هرقل بالشام وقد تقدم ذكر ذلك وتقدم ايضاً ان قوله تعالى لتنذر قوماً ما أنذر اباؤهم يقتضي انه ينذر الاميين وليس فيه انه لاينذر غيرهم كما ان قوله وانذر عشيرتك الاقربين يقتضى انذار قومه ولا ينافي ان ينذر غيرهم من العرب كما ان قوله في قريش فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف لايمنع أن يكون غير قريش مأمورين بعبادة رب هذا البيت • بل قد امر الله جميع الثقلين

الجن والانس ان يعبدوا رب هذا البيت. فان قيل فقد سكت عن ما وراء الاميين في هذا فيشعر بالنفي بدليل الخطاب الذي يسمى مفهوم المخالفة. قيل ذاك انما يدل اذا لم يكن في التخصيص فائدة سوى الاختصاص بالحكم ولم يكن هنا صريح بان حكم المسكوت كحكم المنطوق وهنا لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وامره ان ينذر عشيرته الاقربين اولا ثم ينذر العرب الاميين ثم اهل الكتاب والمجوس وغيرهم وقد تقدم بسط هذا

(فصل) واما قولهم مع تشككه فيما اتى به فمن الكذب البين فانه تعالى قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم) فانه لما دعاهم الى التوحيد وبين ان ما يدعونه من دون الله لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا هو شريك ولا هو ظهير ولا ينفع شفيع الا باذنه نفى بذلك جميع وجوه الشرك فان مايشرك به اما ان يكون له ملك او شريك في الملك او يكون معيناً فاذا انتفت الثلاثة لم يبق الا الشفاعة التي هي دعاء لك ومسئلة وتلك لا تنفع عنده الا لمن اذن له ثم ذكر بعد هذا انه لا رازق يرزق من السماء والارض الا الله دل بهذا وهذا على التوحيد كما

في قوله (ومابكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجئرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون) فلما ذكر مادل على وجوب توحيده وبيان ان اهل التوحيد هم على الهدى وان اهل الشرك على الضلال قال (وانا أو اياكم لعلي هدى او في ضلال مبين) يقول ان أحد الفريقين أهل التوحيد الذين لايعبدون الا الحق وأهل الشرك لعلى هدى او في ضلال مبين وهذا من الانصاف في الخطاب الذي كل من سمعه من ولي وعدو قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك كما قال العادل الذي ظهر عدله للظالم الذي ظهر ظلمه. الظالم اما أنا واما أنت لا للشك في الامر الظاهر لكن لبيان ان أحدنا ظالم ظاهر الظلم وهو أنت لا أنا . فانه اذا قيل أهل التوحيد الذين يعبدون الله على هدى او في ضلال مبين؟ وأهل الشرك الذين يعبدون مالا يضر ولا ينفع على هدى أو في ضلال؟ تبين ان أهل التوحيد على الهدى. وأهل الشرك على الضلال وهذا مما يعلمه جميع الملل من المسلمين واليهود والنصارى يعلمون ان أهل التوحيد على الهدى وأهل الشرك على الضلال. وفي القرآن في بيان مثل هذا مالا يحصى الا بكلفة بل قطب القرآن وسائر الكتب مدارها على عبادة الله وحده فكيف يقال ان الرسول كان يشك هل المهتدى هم أهل التوحيد أم أهل الشرك وهل يقول هذا الا من هو في غاية الجهل والعناد . ثم الآية خطاب للمشركين ليست خطابا للنصارى خصوصاً

(فصل) وأما قوله تعالى (قل ما أدرى مايفعل بي ولا بكم) فاللفظ

الآية (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الىّ وما انا إلا نذير مبين) وهـذا بعد قوله تعالى (أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم) ونظير هذا قوله (قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن اتبع الا مايوحى إلىّ وما أنا إلا نذير مبين) وهذا قاله نوح عليه السلام اول الرسل وأمر محمداً صلى الله عليه وسلم آخر الرسل ان يقوله ومثل قوله (قل انى لا املك لكم ضراً ولا رشدا قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) وهذا ونحوه يتضمن اعترافه بانه عبد الله ورسول من الله لايتعدى حدّ الرسالة ولا يدعى المشاركة فى الالهية كما أدعته النصارى فى المسيح ولهذا قال تعالى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام) فتبين انه لايتعدى حد الرسالة وهو كقوله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افئن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) ولهذا قال صلي الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته لاتطرونى كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله فقال تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري مايفعل بى ولا بكم) يقول لست أول من أرسل وادعى الرسالة بل قد تقدم قبلى رسل وما ادرى ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا مايوحي الىّ وما أنا الا نذير مبين يقول

لا ادعي علم الغيب ان اتبع الا ما يوحي الىّ وما أنا الا نذير مبين.
(انذركم بما امرني الله ان انذركم به لا اقول لكم عندى خزائن الله
ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك وهذا من كمال صدقه وعدله وعبوديته
لله وطاعته وتمييز مايستحقه الخالق وحده مما يستحقه العبد فان العلم
بعواقب الامور على وجه التفصيل مما أستأثر الله بعلمه فلا يعلمه ملك
مقرب ولا نبي مرسل • وليس من شرط الرسول ان يعلم كلما يكون
وقوله تعالى (وما ادرى مايفعل بي ولا بكم) نفيٌ لعلمه بجميع مايفعل
به وبهم وهذا لايعلمه الا الله تبارك وهذا لاينفي ان يكون عالماً بانه
سعيد من اهل الجنة فان لم يدر تفاصيل ما يجري له في الدنيا من المحن
والاعمال وما يتجدد له من الشرائع وما يكرم به في الآخرة من أصناف
النعيم فانه قد ثبت فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يقول الله تعالى (اعددت لعبادى الصالحين) مالاعين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وأيضاً هذا مأثور عن غيره من الانبياء
عليهم السلام ولا من شرط النبي ان يعلم حال المخاطبين من يؤمن به
ومن يكفر وتفصيل مايصيرون اليه هذا ان قيل انه لم يعلم بعد هذه
الآية مانفي فيها وان قيل انه أعلم بذلك فمعلوم ان الله لم يعلمه بكل شيء
جملة بل أعلمه بالامور شيئاً بعد شيء وقد قال الله بعد ذلك (انافتحنا
لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته
عليك ويهديك صراطاً مستقيما وينصرك الله نصراً عزيزا) وقال تعالى
(هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وكفى بالله شهيداً) وفي القرآن والاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم

بمن الاخبار بما سيكون فى الدنيا وفى الآخرة اضعاف أضعاف مايوجد عن الانبياء قبله حتى انه ينبيء على الشيء الذى يكون بعد ما يبين من السنين خبراً اكمل من خبر من عاين ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الاعين دلف الانوف حمر الخدود ينتعلون الشعر كان وجوههم المجان المطرقة فمن رأى هؤلاء الترك الذين قاتلهم المسلمون من حين خرج جنكزخان ملكهم الاكبر واولاده واولاد اولاده مثل هلاكو وغيره من الترك الكفار الذين قاتلهم المسلمون لم يحسن ان يصفهم باحسن من هذه الصفة وقد اخبر بهذا قبل ظهوره باكثر من ستمائة سنة وقوله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى . وهذه النار ظهرت سنة خمس وخمسين وستمائة بارض الحجاز فكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم ورأى أهل بصرى اعناق الجمال من ضوء تلك النار وكانت منذرة بما يكون بعدها ففى سنة ست وخمسين وستمائة دخل هلاكو ملك الكفار بغداد وقتل فيها مقتلة عظيمة مشهورة وسيأتي ان شاء الله بعض أخبار انه شاهد الناس وقوعها كما أخبر عند ذكرنا معجزاته

(فصل) ثم قالوا مع الامر له في فاتحة الكتاب ان يسال الهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فاعنى بقوله المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين الثلاث امم الذين كانوا في عصره وهم النصارى واليهود وعباد الاصنام ولم يكن فى زمانه غير هؤلاء الثلاث أمم . فالمنعم عليهم نحن النصارى

والمغضوب عليهم فلا يشك انهم اليهود والذين غضب الله عليهم في كتب التوراة والانبياء وهذا الكتاب. والضالين فهم عباد الاصنام الذين ضلوا عن الله فهذا أمر واضح بين ظاهر عند كل احد ولاسيا عند ذوي العقول والمعرفة. والصراط هو المذهب أي الطريق وهذه اللفظة رومية لان الطريق بالرومية اسطراطاً * والجواب اما قولهم المنعم عليهم نحن النصارى فمن العجائب التي تدل على فرط جهل صاحبها. واعجب من ذلك قولهم ان هذا شيء بين واضح عند كل احد لاسيا عند ذوى العقل والمعرفة فيا سبحان الله ألم يعرف العام والخاص علما ضرورياً لاتمكن المنازعة فيه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين أمته الذى تلقوه عنه من تكفير النصارى وتجهيلهم وتضليلهم واستحلال جهادهم وسبي حريمهم وأخذ أموالهم ما يناقض كل المناقضة ان يكون محمد صلى الله عليه وسلم وأمته في كل صلاة يقولون اللهم اهدنا صراط النصارى وهل ينسب محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته الى انهم فى كل صلاة يطلبون من الله أن يهديهم صراط النصارى. الا من هو من اكذب الكذابين واعظم الخلق افتراء ووقاحة وجهلاً وضلالا. ولو كانوا يسئلون الله هداية طريق النصارى لدخلوا في دين النصارى ولم يكفروهم ويقاتلوهم ويضعوا عليهم الجزية التي يؤدونها عن يد وهم صاغرون ولم يشهدوا عليهم بانهم من اهل النار. وأمته أخذوا ذلك جميعه عنه منقولا عنه بالنقل المتواتر باجماعهم لم يبتدعوا ذلك كما ابتدعت النصارى من العقائد والشرائع مالم يأذن به الله فلا يلام المسلمون في اتباعهم لرسول الله الذى جاء بالبينات والهدى. ومحمد صلى الله عليه وسلم

ان كان رسولاً صادقاً فقد كفر النصارى وأمر بجهادهم وتبرأ منهم ومن دينهم. وان كان كاذباً لم يقبل شيء مما نقله عن الله عز وجل وقد تقدم غير مرة قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) فمن يقول عن النصارى مثل هذه الاقوال هل يأمر أمته فى كل صلاة ان يقولوا اهدنا طريقهم، ثم يقال أى شيء في الآية مما يدل على ان قوله صراط الذين أنعمت عليهم هم النصارى وانما المنعم عليهم هم الذين ذكرهم الله فى قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً) فهؤلاء الذين امر الله عباده ان يسألوا هداية صراطهم. واما النصارى الذين كانوا على دين المسيح قبل النسخ والتبديل فهم من المنعم عليهم كما ان اليهود الذين كانوا على دين موسى قبل النسخ والتبديل كانوا من المنعم عليهم واما النصارى بعد النسخ والتبديل فهم من الضالين لا من المنعم عليهم عند الله ورسوله كما قال تعالى (قل يااهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) وقال تعالى(اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) وعباد الاصنام من الضالين المغضوب عليهم وقد قال النبي صلى الله

عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون رواه الامام احمد والترمذى عن عدى بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الترمذى هذا حديث صحيح. وسبب ذلك ان اليهود يعرفون الحق ولا يعملون به والنصارى يعبدون بلا علم وقد وصف الله اليهود باعمال. والنصارى باعمال فوصف اليهود بالكبر والبخل والجبن والقسوة وكتمان العلم وسلوك الغي وهو سبيل الشهوات والعدوان وذكر عن النصارى الغلو والبدع في العبادات والشرك والضلال واستحلال محارم الله فقال تعالى (يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له مافي السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً اليما ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا) وقال (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) اى لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله لم نكتب عليهم الرهبانية بل هم ابتدعوها ومع ابتداعهم اياها فما رعوها حق رعايتها وكل بدعة ضلالة فهم مذمومون على ابتداع الرهبانية وعلى انهم لم يرعوها حق رعايتها فاما ما كتب عليهم من ابتغاء رضوان الله فيحصل بفعل ما شرعه الله لهم من واجب ومستحب فان ذلك

هو الذي يرضاه • ومن فعل ما يرضاه الله فقد فعل ما كتب عليه ويحصل رضوان الله أيضا بمجرد فعل الواجبات وهذا هو الذي كتب على العباد فاذا لم يكتب عليهم الا ابتغاء رضوان الله كان ابتغاء رضوانه واجباً فما ليس بواجب لايشترط في حصول ما كتب عليهم • ولهذا ضعف احمد بن حنبل وغيره الحديث المروى، اول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله فان من صلي في آخر الوقت كما أمر فقد فعل الواجب وبذلك يرضى الله عنه وان كان فعل المستحبات والمسابقة الى الطاعات ابلغ في ارضاء الله عنه ويحصل له بذلك من رضوان الله ومحبته ما لايحصل بمجرد الواجبات كما قال موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبد بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي فلئن سألني لاعطينه ولئن استعاذ بي لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه فقوله حتى أحبه يريد المحبة المطلقة الكاملة • واما أصل المحبة فهي حاصلة بفعل الواجبات فان الله يحب المتقين والمقسطين وقال تعالى فيهم (وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم

أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون)وقال تعالى لهم(قل يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل)وهو سبحانه خاطب النصارى بهذا لان النصارى يعتمدون في دينهم على مايقوله كبراؤهم الذين وضعوا لهم القوانين والنواميس ويسوغون لاكابرهم الذين صاروا عندهم عظماء في الدين ان يصنعوا لهم شريعة وينسخوا بعض ما كانوا عليه قبل ذلك لايردون ما يتنازعون فيه من دينهم الى الله ورسله بحيث لايمكنون احداً من الخروج عن كتب الله المنزلة كالتوراة والانجيل وعن اتباع ماجاء به المسيح ومن قبله من الانبياء عليهم السلام ولهذا قال تعالى (قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) بل ماوضعه لهم اكابرهم من القوانين الدينية والنواميس الشرعية بعضها ينقلونه عن الانبياء وبعضها عن الحواريين وكثير من ذلك ليس منقولا لا عن الانبياء ولا عن الحواريين بل من وضع اكابرهم وابتداعهم كما ابتدعوا لهم الامانة التي هي أصل عقيدتهم وابتدعوا لهم الصلاة الى الشرق وابتدعوا لهم تحليل لحم الخنزير وسائر المحرمات وابتدعوا لهم الصوم وقت الربيع وجعلوه خمسين يوماً وابتدعوا لهم اعيادهم كعيد الصليب وغيره من الاعياد وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لما سمعه يقرأ هذه الآيه اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فقال لم يعبدوهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انهم احلوا لهم الحرام فاطاعوهم

وحرموا عليهم الحلال فاطاعوهم فكانت تلك عبادتهم ولهذا قال تعالى
لاتتبعوا اهوآء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء
السبيل) فانهم يتبعون اهوآء اكابرهم الذين مضوا من قبلهم واولئك
ضلوا من قبل هؤلاء واضلوا اتباعهم وهم كثيرون وضلوا عن سواء
السبيل وهو وسط السبيل وهو الصراط المستقيم فاذا كانوا هم واتباعهم
ضالين عن الصراط المستقيم فكيف يجوز ان يأمر الله عباده ان يهديهم
الصراط المستقيم ويعني به صراط هؤلاء الضالين المضلين الضالين عن
سواء السبيل وهو الصراط المستقيم وقد قال سبحانه ولا تتبعوا أهوآء
هؤلآء لان اصل ابتداعهم هذه البدعة كان عن هوى من انفسهم مع
ظن كاذب فكانوا ممن قيل فيهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس
ولقد جآءهم من ربهم الهدى وممن قيل فيه ومن أضل ممن اتبع هواه
بغير هدى من الله) وسبب ذلك ان المسيح صلى الله عليه وسلم لما رفع
الى السماء وعاداه اليهود وعادوا اتباعه عداوة شديدة وبالغوا في اذاهم
واذلالهم وطلب قتلهم ونفيهم صار في قلوبهم من بغض اليهود وطلب
الانتقام منهم مالا يوصف فلما صار لهم دولة وملك مثل ماصار لهم في
دولة قسطنطين صاروا يريدون مقابلة اليهود كما جرت العادة في مثل
ذلك بين الطوائف المتقابلة المتنازعين في الملك والمتنازعين في البدع
كالخوارج والروافض والجبرية مع القدرية والمعطلة مع الممثلة وكالدولتين
المتنازعتين على الملك والاهواء بمنزلة قيس ويمن وأمثال ذلك اذا ظهرت
طائفة على الاخرى بعد ما آذتها الاخرى وانتقمت منها تريد ان تأخذ
بثارها ولا تقف عند حد العدل بل تتعدى على تلك كما اعتدت تلك

عليها فصار النصارى يريدون مناقضة اليهود فاحلوا ما يحرمه اليهود كالخنزير وغيره وصاروا يمتحنون من دخل في دينهم باكل الخنزير فان اكله والا لم يجعلوه نصرانياً وتركوا الختان وقالوا ان المعمودية عوض عنه وصلوا الى قبلة غير قبلة اليهود وكان اليهود قد اسرفوا في ذم المسيح وزعموا انه ولد زنا وانه كذاب ساحر ففعلوا هؤلاء في تعظيم المسيح وقالوا انه الله وابن الله وامثال ذلك وصار من يطلب ان يقول فيه القول العدل مثل كثير من علمائهم وعبادهم يجمعون لهم مجمعاً ويلعنونه فيه على وجه التعصب واتباع الهوى والغلو فيمن يعظمونه كما يجرى مثل ذلك لاهل الاهواء كالغلاة في بعض المشايخ وبعض اهل البيت وبعض العلماء وبعض الملوك وبعض القبائل وبعض المذاهب وبعض الطرائق فانما كان مصدر ضلالهم اهوآء نفوسهم قال تعالى للنصارى الذين كانوا فى وقت النبى صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) واما قولهم ان الصراط هو المذهب اى الطريق وهذه لفظة رومية لان الطريق بالرومية اسطراطا • فيقال لهم الصراط في لغة العرب هو الطريق يقال هو الطريق الواضح ويقال هو الطريق المحدود بجانبين الذي لا يخرج عنه ومنه الصراط المنصوب على جهنم وهو الجسر الذى يعبر عليه المؤمنون الى الجنة واذا عبر عليه الكفار سقطوا في جهنم ويقال فيه معنى الاستواء والاعتدال الذى يوجب سرعة العبور عليه وفيه ثلاث لغات هي ثلاث قرآآت الصراط والسراط والزراط وهي لغة عربية عرباء ليست من

العرب ولا مأخوذة من لغة الروم كما زعموا ويقال أصله من قولهم سرطت الشيء اسرطه سرطاً اذا ابتلعته واسترطته ابتلعته فان المبتلع يجرى بسرعة في مجرى محدود ومن أمثال العرب لاتكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعفى من قولهم اعفيت الشيء اذا ازلته من فيك لمرارته ويقال فلان يسترط ما يأخذ من الدين وحكى يعقوب بن السكيت الاخذ سريط والقضاء ضريط والسرطاط الفالوذج لانه يسترط استراطا وسيف سراطي اى قاطع فانه ماض سريع المذهب فى مضربه . فالصراط هو الطريق المحدود المعتدل الذى يصل سالكه الى مطلوبه بسرعة وقد ذكر الله لفظ الصراط فى كتابه في غير موضع ولم يسم الله سبل الشيطان صراطا بل سماها سبلا وخص طريقه باسم الصراط كقوله تعالى (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وفي السنن عن عبد الله بن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه. من اجابه قذفه فى النار ثم قرأ (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) فسمى سبحانه طريقه صراطاً وسمى تلك سبلا ولم يسمها صراطاً كما سماها سبيلا وطريقه يسميه سبيلا كما يسميه صراطاً وقال تعالى عن موسى وهرون (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم) وقال تعالى (انا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصراً عزيزا) وهذه الهداية خاصة التى أعطاه اياها

بعد فتح الحديبية أخص مما تقـدم فان السالك الى الله لايزال يتقرب اليه بشيء بعد شيء ويزيده الله هدى بعد هدى. واقوم الطريق واكملها الطريق التي بعث الله بها نبيه محمداً صلي الله عليه وسلم كما قال تعالى (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم)

(فصل) قال الحاكى عنهم فقلت انهم ينكرون علينا في قولنا اب وابن وروح قدس وأيضاً في قولنا انهم ثلاث اقانيم وأيضاً في قولنا ان المسيح رب واله وخالق وايضاً يطالبون منـا أيضاح تجسد تجسم كلمـة الله الخالق بانسان مخلوق اجابوا قائلين لو علموا قولنا هذا انما نريد به القول الذي ان الله شيء حي ناطق لما انكروا علينا ذلك لاننا معشر النصارى لما رأينا حدوث الاشياء علمنا ان شيئاً غيرها احدثها اذ لايمكن حدوثها من ذواتها لما فيه من التضاد والتقلب فقلنا انه شيء لا كالاشياء المخلوقة اذ هو الخالق لكل شيء وذلك لننفي عنه العدم ورأينا الاشياء المخلوقة تنقسم قسمين شيء حي وشيء غير حي فوصفناه باجلهما فقلنا هو شيء حي لننفي الموت عنه ورأينا الحي ينقسم قسمين حي ناطق وحي غـير ناطق فوصفناه بافضلهـما فقلنا هو شيء حي ناطق لننفي الجهل عنـه والثلاثة اسماء وهي اله واحد مسمى واحد ورب واحد خالق واحد شيء حي ناطق أى الذات والنطق والحياة والذات عندنا الاب الذى هو ابتداء الاثنين والنطق الابن الذى هو مولود منه لولادة النطق من العقل والحياة روح القدس وهذه اسماء لم نسم نحن بها * والجواب من وجوه احدها قولهم اما قولنا اب وابن وروح قدس فلو علموا قولنا هـذا انما نريد به تصحيح القول بان الله حي ناطق لما انكروا ذلك

علينا فيقال ليس الامر كما ادعوه فان النصارى يقولون ان هذا القول تلقوه عن الانجيل وان في الانجيل عن المسيح صلوات الله عليه أنه قال عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس فكان أصل قولهم هو مايذكرونه من انه تلقى من الشرع المنزل لا انهم أثبتوا الحياة والنطق بعقولهم ثم عبروا عنها بهذه العبارات كما ادعوه في مناظرتهم ولو كان الامر كذلك لما احتاجوا الى هذه العبارة ولا الى جعل الاقانيم ثلاثة بل معلوم عندهم وعند سائر أهل الملل ان الله موجود حي عليم قدير متكلم لا تختص صفاته بثلاثة ولا يعبر عن ثلاثة منها بعبارة لا تدل على ذلك وهو لفظ الاب والابن وروح القدس فان هذه الالفاظ لا تدل على مافسروها به في لغة احد من الامم ولا يوجد في كلام احد من الانبياء انه عبر بهذه الالفاظ عما ذكروه من المعانى بل اثبات ماادعوه من التثليث والتعبير عنه بهذه الالفاظ هو مما ابتدعوه لم يدل عليه شرع ولا عقل وهم يدعون ان التثليث والحلول والاتحاد انما صاروا اليه من جهة الشرع وهو نصوص الانبياء والكتب المنزلة لا من جهة العقل وزعموا ان الكتب الالهية نطقت بذلك ثم تكلفوا لما ظنوه مدلول الكتب طرقاً عقلية فسروه بها تفسيراً ظنوه جائزاً فى العقل ولهذا تجد النصارى لا يلجأون في التثليث والاتحاد الا الى الشرع والكتب وهم يجدون نفرة عقولهم وقلوبهم عن التثليث والاتحاد والحلول فان فطرة الله التي فطر الناس عليها وما جعله الله في قلوب الناس من المعارف العقلية التى قد يسمونها ناموساً عقلياً طبيعياً يدفع ذلك وينفيه وينفر عنه لكن يزعمون ان الكتب الالهية جاءت بذلك

وان ذلك أمر فوق العقل وان هذا الكلام من ظور ورآء طورالعقل فينقلونه لظنهم ان الكتب الآلهية أخبرت به لا لان العقول دلت عليه مع انه ليس في الكتب الالهية مايدل على ذلك بل فيها مايدل على نقيضه كما سنذكره ان شاء الله تعالى ولا يميزون مايحيله العقل ويبطله ويعلم انه ممتنع وبين مايعجز عنه العقل فلا يعرفه ولا يعلم فيه بنفي ولا أثبات وان الرسل أخبرت بالنوع الثاني ولا يجوز ان تخبر بالنوع الاول فلم يفرقوا بين محالات العقول ومحارات العقول وقد ضاهوا في ذلك من قبلهم من المشركين الذين جعلوا لله ولداً وشريكاً قال تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله اني يؤفكون) وقد ضاهاهم في ذلك أهل البدع والضلال المشبهون لهم من المنتسبين الى الاسلام الذين يقولون بنحو قولهم من الغلو فى الانبيآء وأهل الكتب والمشائخ وغيرهم ومن يدعي الوحدة والحلول او الاتحاد الخاص المعين كدعوى النصارى ودعوى الغالية من الشيعة في علي وطائفة في أهل البيت كالنصيرية ونحوهم ممن يدعي الهية علي وكدعوى بعض الاسماعيلية الالهية في الحاكم وغيره من بني عبد الله بن ميمون القداح المنتسبين الى محمد بن اسمعيل بن جعفر ودعوى كثير من النـاس نحو ذلك فى بعض الشيوخ اما المعروفين بالصلاح واما من يظن به الصـلاح وليس من أهله فان لهـم اقوالاً من جنس اقوال النصارى وبعضها شر من أقوال النصارى. وعامةهؤلآء اذا خوطبوا ببيان فساد قولهم قالوا من جنس قول النصارى هذا أمر فوق العقل ويقول بعضهم ما كان يقوله

التلمساني لشيخ اهل الوحدة يقول ثبت عندنا في الكشف ماينافض صريح العقل ويقولون لمن اراد ان يسلك سبيلهم دع العقل والنقل او أخرج عن العقل والنقل وينشدون فيهم

مجانين الا ان سرّجونهم عزيز على اقدامه يسجد العقل
هم معشر حلوا النظام وحرقوا السياج فلا فرض لديهم ولا نفل

وهؤلاء مقلدون لمشايخهم متبعون لهم فيما يخرجون به عن شريعة الرسول وما ابتدعوه مما لم يأذن به الله باتخاذ البدع عبادات واستحلال المحرمات كتقليد بعض النصارى لشيوخهم فاذا اعترضوا على أحد منهم يقولون الشيخ يسلم له ولا يعترض عليه كما يقوله النصاري لشيوخهم ومن هؤلآء من يقول نحن اولاد الله ويقول الشيخ هو ولد لله وينطق بلفظ الشهوة فيقول انهم اولاد شهوة ويقول انه زوج مريم كما يقول ذلك من يقوله من النصارى وغاية ماعندهم انهم يحكون عن شيوخهم نوعا من خرق العادات قد يكون كذباً وقد يكون صدقا واذا كانت صدقا فقد يكون من احوال اوليآء الشيطان كالسحرة والكهان وقد تكون من أحوال اوليآء الرحمن لم يكن في ذلك ما يوجب تقليد الولى في كل ما يقوله اد الولى لايجب ان يكون معصوما ولا يجب اتباعه في كل مايقوله ولا الايمان بكل مايقوله وانما هذا من خصائص الانبيآء الذى يجب الايمان بكل مايقولونه فيجب تصديقهم في كل مايخبرون به من الغيب وطاعتهم فيما اوجبوه على الامم ومن كفر بشيء مما جآؤا به فهو كافر ومن سب نبياً واحداً منهم وجب قتله وليس هذا لغير الانبيآء من الصالحين فهؤلآء المبتدعة الغلاة المشركون القائلون بنوع من الحلول هم مضاهئون للنصارى

بما شابهوهم فيه وخالفوا فيه دين المسلمين ومنهم من تكون موافقته لدين المسلمين اكثر واما الغلاة منهم فموافقتهم للنصارى اكثر ومنهم من هو اكفر من النصارى ولما كان مستند النصارى هو ماينقلونه اما عن الانبياء واما عن غيرهم ممن يوجبون اتباعه كانوا اذا اوردوا على علمائهم ما يقتضي امتناع ذلك قالوا هكذا في الكتاب وبهذا نطق الكتاب وهذه الكتب جاءت بها الرسل يعنون المؤيدين بالمعجزات ويعنون بالرسل الحواريين فاعتصامهم بهم انما هو لما ظنوه مذكوراً في الكتب الالهية وان رأوه مخالفاً لصريح المعقول ولهذا ينهون جمهورهم عن البحث والمناظرة في ذلك لعلمهم بان العقل الصريح متى تصور دينهم علم انه باطل فدعوى المدعين انا انما قلنا أب وابن وروح قدس لتصحيح القول بان الله حي ناطق كذب ظاهر وهم يعلمون انه كذب وتصحيح القول بان الله حي متكلم لا يقف على هذه العبارة بل يمكنه تصحيح ذلك الشرعية والسمعية والعقلية والتعبير عنه بالعبارات المبينة كما يقوله المسلمون وغيرهم بدون قولنا اب وابن وروح قدس. ومما يبين ذلك الوجه الثاني وهو ان النصاري المقرون بان هذه العبارة في الانجيل المأخوذ عن المسيح مختلفون في تفسير هذا الكلام فكثير منهم يقول الاب هو الوجود والابن هو الكلمة وروح القدس هو الحياة ومنهم من يقول بل الاب هو الوجود والابن هو الكلمة وروح القدس هو القدرة وبعضهم يقول ان الاقانيم الثلاثة جواد حكيم قادر فيجعل الاب هو الجواد والابن هو الحكيم وروح القدس هو القادر ويزعمون ان جميع الصفات تدخل تحت هذه الثلاثة ويقولون انا استدللنا على وجوده باخراجه الاشياء

من العدم الى الوجود وذلك من جوده وقد رأيت في كتب النصارى هذا وهذا وهذا . ومنهم من يعبر عن الكلمة بالعلم فيقولون موجود حي عالم او موجود عالم قادر كما يقول بعضهم ناطق ومنهم من يقول موجود حي حكيم ومنهم من يقول قائم بنفسه حي حكيم وهم متفقون على ان المتحد بالمسيح والحال فيه هو اقنوم الكلمة وهو الذى يسمونه الابن دون الاب ومن انكر الحلول والاتحاد منهم كالاريوسية يقول ان المسيح عليه السلام عبد مرسل كسائر الرسل صلوات الله عليهم وسلامه فوافقهم على لفظ الاب والابن وروح القدس ولا يفسر ذلك بما يقوله منازعوه من الحلول والاتحاد كما ان النسطورية يوافقونهم أيضاً على هذا اللفظ وينازعونهم في الاتحاد الذي يقوله اليعقوبية والملكية فاذا كانوا متفقين على اللفظ متنازعين في معناه علم انهم صدقوا اولا باللفظ لاجل اعتقادهم مجيء الشرع به ثم تنازعوا بعد ذلك في تفسير الكتاب كما يختلفون هم وسائر أهل الملل في تفسير بعض الكلام الذي يعتقدون انه منقول عن الانبياء عليهم السلام وعلم بذلك ان أصل قولهم الاب والابن وروح القدس لم يكن لاجل تصحيح القول بان الله موجود حي ناطق الذى علموه اولا بالعقل بوضح هذا الوجه الثالث وهو قولهم انا لما رأينا حدوث الاشياء علمنا ان شيئاً غيرها احدثها ان كان المتكلم بها طائفة معينة من النصارى فيقال لهؤلاء القول بالاب والابن وروح القدس موجود عند النصارى قبل وجودكم وقبل نظركم هذا واستدلالكم فلا يجوز أن يكون نظركم هو الموجب لقول النصارى هذا وان كان المراد به ان جميع النصارى من حين قالوا هذا الكلام نظروا واستدلوا حتى قالوا ذلك فهذا كذب

بين فان هذا الكلام يقول النصارى انهم تلقوه عن الأنجيل وان المسيح عليه السلام قال عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس. والمسيح والحواريون لم يأمروهم بهـذا النظر الموجب لهـذا القول ولا جعل المسيح هذا القول موقوفاً عندهم على هذا البحث فعلم ان جعلهم هذا القول ناشئاً عن هـذا البحث قول باطل يعلمون هم ببطلانه الوجه الرابع ان هذا القول ان كان المسيح لم يقله فلا يجوز ان يقال ولو عنى به الانسان معنى صحيحاً فان هذه العبارة انما يفهم منها عنـد الاطلاق المعانى الباطلة ولهذا يوجد كثير من عوام النصارى يعتقدون ان المسيح ابن الله البنوة المعروفة فى المخلوقات ويقولون ان مريم زوجـة الله وهـذا لازم لعامة النصارى وان لم يقولوه فان الذي يلد لابد له من زوجة ولهذا قال تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شئ عليم) وجعل الرب والد المولود انكر في العقول من اثبات صاحبة له سواء فسرت الولادة بالولادة المعروفة او بالولادة العقلية التي يقولها علماء النصارى فان من أثبت صاحبة له يمكنه تأويل ذلك كما تأولوا هم الولد ويقولون ان الاب ولدت منـه الكلمة ومريم ولد منها الناسوت واتحد الناسوت باللاهوت فكما انّ الاب أب باللاهوت لا بالناسوت ومريم أم للناسوت لا للاهوت فكذلك هى صاحبة للاب بالناسوت واللاهوتُ زوج مريم بلاهوته كما انه اب للمسيح بلاهوته واذا اتحد اللاهوت بناسوت المسيح مدة طويلة فلماذا يمتنع أن يجتمع اللاهوت بناسوت مريم مدة قصـيرة واذا جعل الناسوت الذي ولدته ابناً للاهوت فلاي شئ لا تجعل هى صاحبة وزوجة

للاهوت فان المسيح عندهم اسم لمجموع اللاهوت والناسوت وهو عندهم إله تام وانسان تام. فلاهوته من الله وناسوته من مريم فهو من أصلين لاهوت وناسوت فاذا كان أحد الاصلين اباه والآخر أمه فلماذا لاتكون أمه زوجة أبيه بهذا الاعتبار مع ان المصاحبة قبل النبوة فكيف يثبت الفرع الملزوم بدون ثبوت الاصل اللازم وليس في ذلك من المحال على أصلهم الا ماهو من جنس اثبات نبوة المسيح وأقل امتناعاً وان كان المسيح عليه السلام قال هذا الكلام فقد علمنا ان المسيح عليه السلام وغيره من الانبياء معصومون لا يقولون الا الحق واذا قالوا قولاً فلا بد له من معنى صحيح ويمتنع أن يريدوا بقولهم مايمتنع بطلانه بسمع او عقل فاذا كانت المعقول ونصوص الكتب المتقدمة مع نصوص القرآن تناقض ما ابتدعته النصارى في المسيح علم ان المسيح لم يرد معنى باطلاً يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول بل نقول في الوجه الخامس ان صحت هذه العبارة عن المسيح المعصوم عليه الصلاة والسلام فانه اراد بذلك مايناسب سائر كلامه وفي الموجود في كتبهم تسمية الرب اباً وتسمية عباده ابناً كما يذكرون انه قال في التوراة ليعقوب اسرائيل أنت ابني بكري وقال لداود في الزبور أنت ابني وحبيبي وفي الانجيل في غير موضع يقول المسيح أبي وأبيكم كقوله اني أذهب الى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم فيسميه اباً لهم كما يسميهم ابناً له فان كان هذا صحيحاً فالمراد بذلك انه الرب المربي الرحيم فان الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها والابن هو المربى المرحوم فان تربية الله لعبده أكمل من تربية الوالدة لولدها فيكون المراد بالاب الرب والمراد بالابن

عبده المسيح الذي رباه . واما روح القدس فهي لفظة موجودة في غير موضع من الكتب التي عندهم وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم بل روح القدس عندهم تحل في ابراهيم وموسى وداود وغيرهم من الانبياء والصالحين والقرآن قد شهد ان الله ايد المسيح بروح القدس كما قال تعالى واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس في موضعين من البقرة وقال تعالى ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ان روح القدس معك مادمت تنافح عن نبيه وقال اللهم أيده بروح القدس كما تقدم ذكر هذا كله مبسوطاً • وروح القدس قد يراد بها الملك المقدس كجبريل ويراد بها الوحي والهدى والتأييد الذي ينزله الله بواسطة الملك او بغير واسطته وقد يكونان متلازمين فان الملك ينزل بالوحي والوحي ينزل به الملك والله يؤيد رسله بالملائكة وبالهدى كما قال تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها في موضعين من سورة براءة وقال تعالى فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وقال تعالى (اذيوحي ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا) الآية وقال تعالى لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه وقال تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده وقال تعالى يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق وقال وكذلك اوحينا اليك روحا من

أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا واذا كان روح القدس معروفاً في كلام الانبياء المتقدمين والمتأخرين انها أمر ينزله الله على انبيائه وصالحي عباده سواء كان ملائكة تنزل بالوحي والنصر او وحياً وتأييداً مع الملك وبدون الملك ليس المراد بروح القدس انها حياة الله القائمة به كان قال عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس مراده مروا الناس ان يؤمنوا بالله ونبيه الذي ارسله وبالملك الذي انزل عليه الوحي الذي جاء به فيكون ذلك امراً لهم بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول فتفسير كلام المعصوم بهذا التفسير الذي يوافق سائر الفاظ الكتب التي عندهم ويوافق القرآن والعقل اولى من تفسيره بما يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول وهذا تفسير ظاهر ليس فيه تكلف ولا هو من التأويل الذي هو صرف الكلام عن ظاهره الى ما يخالف ظاهره بل هو تفسير له بما يدل ظاهره عليه باللغة المعروفة والعبارة المألوفة في خطاب المسيح وخطاب سائر الانبياء • واما تفسير النصارى بان الابن مولود قديم ازلى هو العلم او كلمة الله فتفسير للفظ بما لم يستعمل هذا اللفظ فيه لا في كلام أحد من الانبياء ولا لغة أحد من الانبياء - وكذلك تفسير روح القدس بحياة الله فالذي فسر النصارى به ظاهر كلام المسيح هو تفسير لا تدل عليه لغة المسيح وعادته في كلامه ولا لغة غيره من الانبياء والامم بل المعروف في لغته وكلامه وكلام سائر الانبياء تفسيره بما فسرناه وبذلك فسره اكابر علماء النصارى • واما ضلال

النصارى المحرفون لمعانى كتب الله عز وجل فسروه بما يخالف معناه الظاهر وينكره العقل والشرع وتمام هذا بالوجه السادس وهو ان النصارى لما كان عندهم فى الكتب تسمية المسيح عليه السلام ابناً وتسمية غيره من الانبيآء ابنا كقوله ليعقوب انت ابنى بكرى وتسمية الحواريين ابناقالوا هو ابنه بالطبع وغيره ابنه بالوضع فجعلوا لفظ الاب مشتركا بين معنيين واثبتوا لله طبعاً جعلوا المسيح ابنه باعتبار ذلك الطبع وهذا يقرره قول من يفهم منهم انه ابنه البنوة المعروفة في المخلوقين وان مريم زوجة الله وكذلك جعلوا روح القدس مشتركة بين حياة الله وبين روح القدس التى تنزل على الانبيآء والصالحين ومعلوم ان الاشتراك على خلاف الاصل وان اللفظ اذا استعمل فى عدة مواضع كان جعله حقيقة متواطئاً فى القدر المشترك اولى من جعله مشتركا اشتراكا لفظياً بحيث يكون حقيقة فى خصوص هذا وخصوص هذا او يكون مجازاً في احدهما فان المجاز والاشتراك على خلاف الاصل هذا ان قدر ان لفظ الابن وروح القدس استعمل في نطق الله وحياته كما يزعم النصارى فكيف اذا لم يوجد فى كلام الانبيآء انهم قالوا لفظ الابن ولفظ روح القدس وارادوا به شيئاً من صفات الله لا كلامه ولا حياته ولا علمه ولا غير ذلك بل لم يوجد استعمال لفظ الابن في كلام الانبيآء الا في شىء مخلوق ولم يوجد استعمال روح القدس بما هو فى صفات الله القائمة به ونحن اذا فسرنا الاب وروح القدس ببنوة التربية وروح القدس بما ينزل على الانبيآء كنا قد جعلنا اللفظ مفرداً متواطئاً وهم يحتاجون ان يجعلوا اللفظ مشتركا او مجازاً في احد المعنيين فكان تفسيرهم مخالفاً لظاهر اللغة

التى خوطبوا بها ولظاهر الكتب التي بايديهم وتفسيرنا موافقاً لظاهر لغتهم وظاهر الكتب التي بايديهم وحينئذ فقد تبين انه ليس معهم بالتثليث لا حجة سمعية ولا عقلية بل هو باطل شرعا وعقلا يؤيد هذا الوجه السابع وهو انهم في امانتهم اثبتوا من المعاني ولفظ الاقانيم وغير ذلك مالا تدل عليه الكتب التى بايديهم البتة بل فهموا منها معنى باطلا وضموا اليه معاني باطلة من عند انفسهم فكانوا محرفين لكتب الله فى ذلك مفترين على الله الكذب وهذا مبسوط فى موضع آخر. الوجه الثامن ان قولهم بالاقانيم مع بطلانه في العقل والشرع لم ينطق به عندهم كتاب ولم يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الانبياء التى بايديهم ولا في كلام الحواريين بل هى لفظة ابتدعوها ويقال انها رومية وقد قيل الاقنوم فى لغتهم معناه الاصل ولهذا يضطربون فى تفسير الاقانيم تارة يقولون اشخاص وتارة خواص وتارة صفات وتارة جواهر وتارة يجعلون الاقنوم اسما للذات والصفة معا وهذا تفسير حذاقهم. الوجه التاسع قولهم في المسيح عليه السلام انه خالق قول مع بطلانه فى الشرع والعقل لم ينطق به شيء من النبوات التى عندهم ولكن يستدلون على ذلك بما لا يدل عليه كما سنبينه ان شاء الله تعالى • الوجه العاشر قولهم فى تجسد اللاهوت ايضاً هو قول مع بطلانه فى العقل والشرع لا يدل عليه شيء من كلام المعصوم من النبيين والمرسلين • الوجه الحادى عشر انا نقول لاريب ان الله حى عالم قادر متكلم وللمسلمين على ذلك من الدلائل العقلية التى دل الرسول عليها وارشد اليها فصارت معروفة بالعقل مدلولا عليها بالشرع ماهو مبسوط فى موضعه وانتم مع دعواكم

انكم تثبتون ذلك بالعقل لم تذكروا على ذلك دليلا عقليا . فقولكم لما رأينا حدوث الاشياء علمنا ان شيئاً غيرها احدثها اذ لايمكن حدوثها من ذواتها لما فيها من التضاد والتقلب كلام قاصر لوجوه . أحدها انكم لم تروا حدوث جميع المخلوقات وانما رأيتم حدوث ما يشهد حدوثه كالسحاب والمطر والحيوان والنبات ونحو ذلك فاين دليلكم على حدوث سائر الاشياء . الثاني انه كان ينبغي ان تقولوا لما علم حدوث المحدثات أو حدوث المخلوقات أو حدوث ماسوى الله ونحو ذلك مما يبين المحدث ماسوى الله . فاما اطلاق حدوث جميع الاشياء فباطل فان الله يسمى عندكم وعند جمهور المسلمين شيئاً من الاشياء . وهذا بخلاف قوله تعالى (الله خالق كل شيء) فان هذا التركيب يبين ان الخالق غير المخلوق خلاف قول القائل حدوث الاشياء . الثالث ان العلم بالمحدث لابد له من محدث علم فطرى ضرورى ولهذا قال تعالى فى القرآن (ام خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) قال جبير بن مطعم لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في صلاة المغرب أحسست بفؤادي قد انصدع يقول تعالى (اخلقوا من غير خالق خلقهم أم هم الخالقون) لانفسهم ومعلوم بالفطرة التي فطر الله عليها عباده بصريح العقل ان الحادث لايحدث الا بمحدث احدثه . وان حدوث الحادث بلا محدث احدثه معلوم البطلان بضرورة العقل وهذا أمر مركوز في بنى آدم حتى الصبيان لو ضرب الصبي ضربة فقال من ضربني فقيل ما ضربك أحد لم يصدق عقله ان الضربة حدثت من غير فاعل ولهذا لو جوز مجوز ان يحدث كتابة أو نساجة أو غراساً ونحو ذلك من غير محدث لذلك لكان عند العقلا اما

مجنوناً واما مُسَفْسِطاً كالمنكر للعلوم البديهية والمعارف الضرورية وكذلك معلوم انه لم يحدث نفسه فان كان معدوما قبل حدوثه لم يكن شيئاً فيمتنع ان يحدث غيره فضلا عن ان يحدث نفسه • فقولكم لم يكن حدوثها من ذواتها لما فيها من التضاد والتقلب تعليل باطل فان علمنا حدوثها لم يكن من ذواتها ليس لاجل مافيها من التضاد والتقلب بل سوآء كانت متماثلة اومختلفة أو متضادة نحن نعلم بصريح العقل ان المحدث لايحدث نفسه وهذا من أظهر المعارف وابينها للعقل كما نعلم ان العدم لايخلق موجوداً وان المحدث للحوادث الموجودة لايكون معدوما. الوجه الرابع انكم ذكرتم حجة على انها لم تحدث نفسها وهي حجة ضعيفة ولم تذكر حجة على انها حدثت بلا محدث لا انفسها ولا غيرها فان كان امتناع كونها احدثت نفسها محتاجا الى دليل فكذلك امتناع حدوثها بلا محدث وان كان معلوما ببديهة العقل وهو من العلوم الضرورية فكذلك الآخر فذكر الدليل على أحدهما دون الآخر خطأ لو كنتم ذكرتم دليلا صحيحاً فكيف اذا كان الدليل باطلا. ومن يكون مبلغهم من العلم بالادلة العقلية التي يثبتون بها العلم بالصانع وصفاته هذا المبلغ ثم يريدون مع ذلك ان يثبتوا معاني عقلية ويزعمون انها موافقة لفهمهم الباطل من الكتب الالهية • فهم ممن قال الله فيه (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) الوجه الثاني عشر قولكم فقلنا انه شيء لا كالاشياء

المخلوقة اذ هو الخالق لكل شيء لننفي عنه العدم . فيقال لهم لاريب ان الله كما وصف نفسه بقوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقوله (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) أي مثلا يستحق ان يسمى باسمائه وقوله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) وقد دل على ذلك العقل فان المثلين اللذين يسد احدهما مسد الآخر يجب لاحدهما مايجب للآخر ويمتنع عليه مايمتنع عليه ويجوز عليه ما يجوز عليه فلو كان للخالق مثل للزم ان يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع والخالق يجب له الوجود والقدم ويمتنع عليه العدم فيلزم ان يكون المخلوق واجب الوجود قديماً ازلياً لم يعدم قط وكونه محدثا مخلوقا يستلزم ان يكون كان معدوما فيلزم ان يكون موجوداً معدوما قديماً محدثا وهو جمع بين النقيضين يمتنع في بداية العقول . وأيضاً فالمخلوق يمتنع عليه القدم ويجب له سابقة العدم فلو وجب للخالق القديم مايجب له لوجب كون الواجب القدم واجب الحدوث بعدم العدم وهذا جمع بين النقيضين فالعقل الصريح يجزم بان الله ليس كمثله شيء والكلام على هذا مبسوط في موضع آخر لكن انتم لم تذكروا على هذا حجة على انه خالق كل شيء اذ كان عمدتكم على ماشهدتم حدوثه وليس ذلك كل شيء ولم تذكروا حجة مع كونه خالق كل شيء على انه ليس كمثله شيء بل قلتم لاننا معشر النصارى لما رأينا حدوث الاشياء علمنا ان شيئاً غيرها أحدثها لما فيها من التضاد والتقلب فقلنا انه شيء لا كالاشياء المخلوقة اذ هو الخالق لكل شيء وذلك لننفي العدم عنه . ودليلكم لو دل على العلم بالصانع لم يدل الا على انه خالق

فكيف اذا لم يدل • ولا ريب إن الخالق سبحانه يجب ان يكون موجودا لا معدوما وهذا معلوم بالضرورة لايحتاج الى دليل عند جمهور العقلاء والنظار وان كان بعضهم أثبت وجوده بالدليل النظري لكن ليس في دليلكم مايدل على انه ليس كالاشياء المخلوقة وقولكم اذ هو الخالق لكل شيء يتضمن انه خالق لكل ماسواه ليس فيه بيان نفي المماثلة عنه ولكن بينتم بهذا الكلام جهلكم بالدلائل العقلية كجهلكم بالكتب المنزلة وكذلك أخبر تعالى عن أهل النار انهم يقولون لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير

(فصل)واما قولكم ورأينا الاشياء المخلوقة تنقسم قسمين شيء حي وشيء غير حي فوصفناه باجل القسمين فقلنا انه حي لننفي الموت عنه فيقال لاريب ان الله حي كما نطقت بذلك كتبه المنزلة التي هي آياته القولية ودلت على ذلك آياته كمخلوقاته التي هي آياته الفعلية قال تعالى (سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) أي القرآن حق وقد تقدم ذكر القرآن في قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو فى شقاق بعيد فالله تعالى يُري عباده من آياته المشاهدة المعاينة الفعلية مايبين صدق آياته المنزلة المسموعة القولية قال تعالى (الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم وقال تعالى وتوكل على الحي الذي لايموت) والدلائل على حياته كثيرة • منها انه قد ثبت انه عالم والعلم لايقوم الا بحي وثبت انه قادر مختار يفعل بمشيئته والقادر المختار لايكون الا حياً. ومنها انه خالق الاحياء وغيرهم والخالق اكمل من المخلوق فكل كمال ثبت للمخلوق فهو من الخالق فيمتنع أن يكون

المخلوق اكمل من خالقه وكماله اكمل منه . والمتفلسفة القائلون بالموجب بالذات يسلمون هذا ويقولون كمال المعلول مستفاد من علته فاذا كان خالقاً للاحياء كان حياً بطريق الاولى والاحرى • ومنها ان الحي اكمل من غير الحي كما قال تعالى (وما يستوي الاحياء ولا الاموات فلو كان الخالق غير حي لزم ان يكون الممكن المحدث المخلوق اكمل من الواجب القديم الخالق فيكون انقص الموجودين اكمل من اكملهما وهذا الوجه يتناول ماذكروه من الدليل وان كانوا لم يبينوا بياناً تاماً لكن قولهم قلنا انه حي لننفي الموت عنه كلام مستدرك فان الله موصوف بصفات الكمال الثبوتية كالحياة والعلم والقدرة فيلزم من ثبوتها سلب صفات النقص وهو سبحانه لايمدح بالصفات السلبية الا لتضمنها المعاني الثبوتية فان العدم المحض والسلب الصرف لامدح فيه ولا كمال اذ كان المعدوم يوصف بالعدم المحض والعدم نفي محض لا كمال فيه وانما الكمال في الموجود ولهذا جاء كتاب الله على هذا الوجه فيصف سبحانه نفسه بالصفات الثبوتية صفات الكمال وبصفات السلب المتضمنة للثبوت كقوله الله لا إله إلاَّ هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم) فنفي أخذ السنة والنوم يتضمن كمال حياته وقيوميته اذ النوم أخو الموت ولهذا كان أهل الجنة لاينامون مع كمال الراحة كما لايموتون • والقيوم القائم المقيم لما سواه فلو جعلت له سنة أو نوم لنقصت حياته وقيوميته فلم يكن قائماً ولا قيوماً كما ضرب الله المثل لبني اسرائيل لما سألوا موسى هل ينام ربك فارقه ثلاثاً ثم اعطاه قوارير فاخذه النوم فتكسرت . بين بهذا المثل ان خالق العالم لو نام لنفد العالم ثم قال تعالى (له ما في السموات وما في

الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) فانكاره ونفيه ان يشفع أحد عنده الا باذنه يتضمن كمال ملكه لما في السموات وما في الارض وانه ليس له شريك فان من شفع عنده غيره بغير اذنه وقبل شفاعته كان مشاركاً له اذ صارت شفاعته سبباً لتحريك المشفوع اليه بخلاف من لا يشفع عنده احد الاّ باذنه فانه منفرد بالملك ليس له شريك بوجه من الوجوه ثم قال تعالى (يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولايحيطون بشيء من علمه الا بما شآء) فنفى ان يعلم أحد شيئاً من علمه الا بمشيئته ليس الا انه منفرد بالتعليم فهو العالم بالمعلومات ولا يعلم أحد شيئاً الا بتعليمه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العلم الحكيم ثم قال تعالى (وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما) أي لايكرثه ولا يثقل عليه فبين بذلك كمال قدرته وانه لا يلحقه ادنى مشقة ولا أيسر كلفة فى حفظ المخلوقات كما قال تعالى في الآية الاخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) بين بذلك كمال قدرته وانه لايلحقه اللغوب فى الاعمال العظيمة مثل خلقه السموات والارض كما يلحق المخلوق اللغوب اذا عمل عملاً عظيماً واللغوب الانقطاع والاعيا وهذا باب واسع مبسوط في موضع آخر • والمقصود هنا انه موصوف بصفات الكمال التي يستحقها بذاته ويمتنع اتصافه بنقائضها وادا وصف بالسلوب فالمقصود هو اثبات الكمال • وهؤلاء قالوا قد وصفناه بالحياة لننفي عنه الموت كما قالوا هو شيء لننفي العدم عنه والحياة صفة كمال يستحقها بذاته والموت مناقض لها فلم يوصف بالحياة لاجل نفي الموت بل وصفه بالحياة يستلزم نفي

الموت فينفى عنه الموت لانه حي لايثبت له الحياة لنفي الموت وكذلك لتثبت له انه شيء موجود • وذلك يستلزم نفي العدم عنه لا ان اثبات وجوده لاجل نفي العدم بل نفى العدم عنه لاجل وجوده كما ان نفى الموت عنه لاجل حياته وكذلك قولهم قولنا انه شئ لا كالاشياء المخلوقة وذلك لننفي العدم عنه لكن كان مرادهم والله أعلم وان كانت عبارتهم قاصرة اثبات الوجود ونفي العدم واثبات الحياة ونفي الموت

(فصل) ثم قالوا و راينا الحيّ ينقسم قسمين حياً ناطقاً وحياً غير ناطق فوصفناه بافضل الوصفين فقلنا انه ناطق لننفي الجهل عنه . فيقال لهم لاريب ان الرب سبحانه موصوف بانه حي عليم قدير متكلم مختار لكن قولهم فقلنا انه ناطق لننفي الجهل عنه يقتضى انكم اردتم النطق المناقض للجهل . وهذا هو العلم فان العلم يناقض الجهل لم تريدوا بذلك النطق الذي هو العبارة والبيان ولم يريدوا بذلك ما جعله بعض النظار كلاما وهي معاني قائمة بالنفس ليست من جنس العلوم ولا من جنس الارادات وحينئذ فيقال لكم ليس في الاحياء الا ما هو شاعر فكل حي فله شعور بحسبه . وكلما قويت الحياة قوى شعورها وشعور الحيوان قد يعبر عنه بلفظ العلم كما يقول الناس علم الفهد والبازى والكلب ويقال كلب معلم وغير معلم وبازى معلم وقال تعالى (وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله) وقال النبي صلي الله عليه وسلم اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فقتل فكل . ولاريب ان العلم صفة كمال فالعالم اكمل من الجاهل والدلائل الدالة على علم الله كثيرة مثل انه سبحانه خالق كل شيء بارادته • والارادة تستلزم تصور المراد فلابدان

يعلم المخلوقات قبل ان يخلقها . وكل ما وجد في الخارج فهو موجود وجودا معيناً يمتاز به عن غيره فاذا خلقها كذلك فلا بد ان يعلمها علماً مفصلا يمتاز به كل معلوم عما سواه ولو قدر انه علمها على وجه كلي فقط لم يكن علم منها شيئاً لان الكلي انما يكون كلياً في الاذهان. واما ما هو موجود في الخارج فهو معين مختص بعينه ليس بكلي . وكل واحد من الافلاك معين فلو لم يعلم الا الكليات لم يكن عالماً بشيء من الموجودات وقد بسط في غير هذا الموضوع تمام الكلام على هذا وبين فساد شبه نفاة ذلك بما ادعوه من لزوم التغير او التكثر وبين انه لا يلزم من ثبوت علم الله بالاشياء كلها على وجه التفصيل محذور ينفيه دليل صحيح . فان التكثر فيما يقوم به من المعاني هو مدلول الادلة العقلية والسمعية فانه عالم قادر حي وليس العلم هو القدرة ولا القدرة هي الحياة ولا الصفة هي الموصوف ومن جعل كل صفة هي الاخرى وجعل الصفات هو الموصوف فهو قول في غاية السفسطة. وايضاً فانه خالق العالمين من الملائكة والجن والانس وجاعلهم علماء فيمتنع ان يجعل غيره عالماً من ليس هو في نفسه بعالم فان العلم صفة كمال ومن يعلم اكمل ممن لا يعلم وكل كمال للمخلوق فهو من الخالق فيمتنع ان يكون المخلوق اكمل من الخالق وايضاً فان في الممكنات المحدثة المخلوقة ما هو عالم والواجب القديم الخالق اكمل من الممكن المحدث فيمتنع ان يتصف بالكمال الموجود الناقص الخسيس دون الموجود الكامل الشريف وهذا يتناول معنى حجتهم وأيضاً فانه حي والحياة مستلزمة لجنس العلم واذا كانت حياته اكمل من كل حياة فعلمه اكمل من كل علم لكن يقال اكمل كما انه

حي عالم فهو أيضاً قادر فيما ذكرتم بان الموجودات او الاحياء تنقسم الى قادر وغير قادر فيجب ان يوصف باجل القسمين وهو القدرة لا سيما ودلائل كونه قادرا اظهر من دلائل كونه عالماً فان نفس كونه خالقا فاعلا يستلزم كونه قادرا فان الفعل بدون القدرة ممتنع حتي اذا قيل ان الجماد يفعل فانما يفعل بقوة فيه كالقوى الطبيعية التي في الاجسام الطبيعية فيمتنع فى خالق العالم ان لا يكون له قوة ولا قدرة قال تعالى (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقال تعالى (اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) وفي صحيح البخارى حديث الاستخارة اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب وكثير من نظار المسلمين المصنفين فى اصول الدين الذين يقيمون الدليل على كونه قادرا قبل كونه عالماً وحياً ويقولون العلم بذلك اسبق فى السلوك الاستدلالي النظرى لدلالة الاحداث والفعل على قدرة المحدث الفاعل فيجب ان يثبتوا له صفة القدرة مع العلم وكذلك يقولون ان الحي لما كان ينقسم الى سميع وغير سميع وبصير وغير بصير وصفناه باشرف القسمين وهو السميع والبصير وكذلك في النطق اذا اريد به البيان والعبارة ولم يرد به مجرد العلم او معنى من جنس العلم فان الحي ينقسم الى متكلم ومبين معبر عما فى نفسه والى ما ليس كذلك فيجب ان تصفوه باشرف القسمين وهو الكلام المبين المعبر عما فى النفس من المعانى ومما يستدل به على ثبوت جميع صفات الكمال انه لولم يوصف بكونه حياً عالماً قادرا سميعاً بصيراً متكلما الوصف.

بضد ذلك كالموت والجهل والعجز والصمم والبكم والخرس ومعلوم وجوب تقدسه عن هذه النقائص بل هذا معلوم بالضرورة العقلية فانه اكمل الموجودات واجلها واعظمها ورب كل ما سواه وخالقه ومالكه وجاعل كل ما سواه حيا عالما قادرا سميعا بصيرا متكلما فيمتنع ان يكون هو شيئا عاجزا جاهلا اصم ابكم اخرس بل من المعلوم بضرورة العقل ان المتصف بهذه النقائص يمتنع ان يكون فاعلا فضلا عن ان يكون خالقا لكل شيء ولبعض الملاحدة من المتفلسفة ومن اتبعهم هنا سؤال مشهور وهو انه انما يلزم اذا لم يتصف بصفات الكمال ان يوصف باضدادها اذا كان قابلا لها فاما اذا لم يكن قابلا لها لم يلزم. قالوا وهذه الصفات متقابلة تقابل العدم والملكة وهو عدم الشيء عما من شانه ان يكون قابلا له كعدم الحياة والسمع والبصر والكلام عن الحيوان الذى هو القابل له فاذا لم يكن قابلا له كالجماد فلا يسمى مع عدم الحياة والسمع والبصر والكلام ميتا ولا اصم ولا اعمى ولا اخرس * وجواب ذلك من اوجه. احدها انه اما ان يكون قابلا للاتصاف بصفات الكمال واما ان لا يكون. فان لم يكن قابلا لزم ان يكون انقص ممن قبلها ولم يتصف بها. فالجماد انقص من الحيوان الذى لم يتصف بعد بصفات كماله وان كان قابلا لها لزم اذا عدمها ان يتصف باضدادها. وهؤلاء قد يقولون في اثباتها تشبيه له بالحيوان. فيقال لهم وفي نفيها تشبيه له بالجماد الذى هو انقص من الحيوان فاذا لم يكن في نفيها تشبيه له بالجماد فكذلك لا يكون في اثباتها تشبيه له بالحيوان وان كان في ذلك تشبيه بالحيوان فهو محذور فالمحذور فى تشبيهه بالجماد اعظم وان لم يكن مثل هذا التشبيه محذورا

في ذلك فان لا يكون محذورا فى هذا بطريق الاولى . الوجه الثانى ان جعلهم سلب الموت والصمم والبكم على الجماد ولزعمهم انه غير قابل لها اصطلاح محض فانه موجود في كلام الله تسمية الجماد ميتا كما قال تعالى (في الاصنام اموات غير أحياء) الثالث انه يكفى عدم هذه الصفات فان مجرد عدم الحياة والعلم والقدرة صفة نقص سوآء قدر الموصوف قابلا لها أو غير قابل بل اذا قدر انه غير قابل لها كان ذلك ابلغ في النقص • فعلم ان نفى هذه الصفات عنه ونفي قبولها يوجب ان يكون انقص من الحيوان الاعمى الاصم الذى يقبلها وان لم يتصف بها . الوجه الرابع ان الكمال فى الوجود والنقص في العدم فنفس ثبوت هذه الصفات كمال • ونفس نفيها نقص وان لم يتصف بها لزم نقصه وان يكون المفعول اكمل من الفاعل وان يكون المحدث الممكن اكمل من القديم الازلي الواجب الوجود الخالق وهذا ممتنع في بداية العقول وهذه الامور مبسوطة في غير هذا الموضع ولكن نبهنا عليها هنا لبيان بعض الطرق التي بها تعرف صفات الرب وبيان ان هؤلاء القوم من اجهل أهل الملل بالرب والطرق التي يعرف بها كماله في العقلية والسمعية وان القوم عندهم من الفاظ الانبياء مالم يفهموا كثيرا منه وما حرفوا كثيراً منه وعندهم من المعقول فى ذلك ما يفضلهم اليهود فيه لكن اليهود وان كانوا اعظم منهم فهم اعظم عنادا وكبرا وجحداً للحق والنصارى اجهل واضل من اليهود ولكن هم أعبد وازهد واحسن أخلاقاً ولهذا كانوا اقرب مودة للذين آمنوا من اليهود والمشركين

(فصل) قالوا والثلاثة أسماء فهى اله واحد ورب واحد وخالق واحد

ومسمى واحد لم يزل ولا يزال شيئاً حياً ناطقاً اى الذات والنطق والحياة فالذات عندنا الاب الذى هو ابتداء الاثنين والنطق الابن الذى هو مولود منه كولادة النطق من العقل والحياة هى الروح القدس والجواب عن هذا من وجوه الاول ان اسماء الله تعالى متعددة كثيرة فانه (الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق الباريء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) وقال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) وقال تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة وهذا معناه فى أشهر قولى العلماء واصحهما ان من اسمائه تعالى تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة والا فاسماؤه تبارك وتعالى اكثر من ذلك كما في الحديث الآخر الذى رواه أحمد فى مسنده وابو حاتم فى صحيحه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك ابن عبدك بن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل فى قضائك

اسألك بكل اسم هولك سميت به نفسك أو انزلته في كتابك أوعامته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمي إلا أذهب الله همه وغمه وابدله مكانه فرحا قالوا يارسول الله افلا نتعلمهن قال بلى ينبغي لمن سمعهن ان يتعلمهن واذا كانت اسماءالله كثيرة كالعزيز والقدير وغيرها فالاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل وأى شئ زعم الزاعم في اختصاص هذه الاسمآء به دون غيرها فهو باطل كما قد بسط في موضع آخر .الوجه الثاني قولهم الاب الذى ابتداء الاثنين والابن النطق الذى هو مولود منه كولادة النطق من العقل كلام باطل فان صفات الكمال لازمة لذات الرب عز وجل اولا وآخراً لم يزل ولا يزال حياً عالماً قادراً لم يصر حياً بعد ان لم يكن حياً ولا عالماً بعد ان لم يكن عالماً فاذا قالوا ان الاب الذى هو الذات هو ابتداء الحياة والنطق اقتضى ذلك ان يكون الاب قبل الحياة والنطق وان يكون فاعلا للحياة والنطق فان ما كان ابتداء لغيره يكون متقدما عليه أو فاعلا له وهذا في حق الله باطل .وكذلك قولهم ان النطق مولود منه كولادة النطق من العقل فان المولود من غيره متولد منه فيحدث بعد ان لم يكن كما يحدث النطق شيئاً فشيئاً سوآء اريد بالنطق العلم او البيان فكلاهما لم يكن لازما للنفس الناطقة بل حدث فيها واتصفت به بعد ان لم يكن وان كانت قابلة له ناطقة له بالقوة فاذا مثلوا قوله النطق من الرب كتولده عن العقل لزم ان يكون الرب كان ناطقاً بالقوة ثم صار ناطقاً بالفعل فيلزم انه صار عالماً بعد ان لم يكن عالماً

وهذا من أعظم الكفر وأشده استحالة بانه لاشئ غيره لجعله متصفاً بصفات الكمال بعد ان لم يكن متصفاً بها اذ كل ماسواه فهو مخلوق له وكماله منه فيمتنع ان يكون هو جاعل الرب سبحانه وتعالى كاملاً وذلك دور ممتنع في صريح العقل إذ كان الشئ لايجعل غيره متصفاً بصفات الكمال حتى يكون هو متصفاً بها فاذا لم يتصف بها حتى جعله غيره متصفاً بها . لزم الدور الممتنع مثل كون كل من الشيئين فاعلاً للآخر وعلة له او لبعض صفاته المشروطة في الفعل فتبين بطلان كون نطقه متولداً منه كتولد النطق من العقل كما بطل ان يكون لصفاته اللازمة له ماهو مبدء لها متقدم عليها او فاعل لها . الوجه الثالث ان قولهم فى الابن انه مولود من الله ان أرادوا به انه صفة لازمة له فكذلك الحياة صفة لازمة لله فيكون روح القدس أيضاً ابناً ثانياً وان أرادوا به انه حصل منه بعد ان لم يكن لزم ان يكون صار عالما بعد ان لم يكن عالما وهذا مع كونه باطلاً وكفراً فيلزم مثله في الحياة وهو انه صار حيًا بعد ان لم يكن حيًا. الوجه الرابع ان تسمية حياة الله روح القدس امر لم ينطق به شئ من كتب الله المنزلة فاطلاق روح القدس على حياة الله من تبديلهم وتحريفهم. الوجه الخامس انهم يدعون ان المتحد بالمسيح هو الكلمة الذى هو العلم وهذا ان أرادوا به نفس الذات العالمة الناطقة كان المسيح هو الاب وكان المسيح نفسه هو الاب وهو الابن وهو روح القدس وهذا عندهم وعند جميع الناس باطل وكفر ، وان قالوا المتحد به هو العلم فالعلم صفة لاتفارق العالم ولا تفارق الصفة الاخرى التي هي حياة فيمتنع ان يتحد به العلم دون الذات ودون

الحياة . الوجه السادس ان العلم أيضاً صفة والصفة لاتخلق ولا ترزق والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء وأيضاً فهو عندهم خالق السموات والارض فامتنع ان يكون المتحد به صفة فان الاله المعبود هو الاله الحي العالم القادر وليس هو نفس الحياة ولا نفس العلم والكلام . فلو قال قائل ياحياة الله او ياعلم الله او ياكلام الله اغفر لى وارحمنى واهدني كان هذا باطلاً في صريح العقل ولهذا لم يجوز احد من أهل الملل ان يقال للتوراة او الانجيل وغير ذلك من كلام الله اغفر لي وارحمنى وانما يقال للاله المتكلم بهذا الكلام اغفر لي وارحمنى والمسيح عليه السلام عندكم هو الاله الخالق الذى يقال له اغفر لنا وارحمنا فلو كان هو نفس علم الله وكلامه لم يجز ان يكون إلهاً معبوداً فكيف اذا لم يكن هو نفس علم الله وكلامه بل هو مخلوق بكلامه حيث قال له كن فيكون فتبين من ذلك ان كلمات الله كثيرة لانهاية لها وفي الكتب الالهية كالتوراة انه خلق الاشياء بكلامه وكان فى اول التوراة انه قال ليكن كذا ليكن كذا ومعلوم ان المسيح ليس هو كلمات كثيرة بل غايته ان يكون كلمة واحدة اذ هو مخلوق بكلمة من كلمات الله عزّوجل . الوجه السابع ان امانتكم التى وضعها اكابركم بحضرة قسطنطين وهي عقيدة ايمانكم التى جعلتموها اصل دينكم تناقض ماتدعونه من ان الاله واحد وتبين انكم تقولون لمن يناظركم خلاف ماتعتقدونه وهذان امران معروفان في دينكم تناقضكم واظهاركم فى المناظرة خلاف ماتقولونه من أصل ايمانكم فان الامانة التى اتفق عليها جماهير النصارى يقولون فيها نؤمن باله واحد اب ضابط الكل خالق

السموات والارض كل مايرى وما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق من جوهر ابيه مولود غير مخلوق مساو للاب فى الجوهر الذى به كان كل شيء الذى من اجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذرا وتانس وصلب وتالم وقبر وقام في اليوم الثالث على مافى الكتب المقدسة وصعد الى السماء وجلس عن يمين الاب وايضاً سيأتى بمجده ليدين الاحياء والاموات الذى لافناء لملكه وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب الذى هو مع الاب والابن المسجود له وبمجد ناطق فى الانبياء كنيسة واحدة جامعة رسولية واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وابن جاءلقيامة الموتى وحياة الدهر العبيد كونه امين ففى هذه الامانة التي جماتموها أصل دينكم ذكر الايمان بثلاثة اشياء باله واحد خالق السموات والارض خالق مايرى وما لا يرى فهذا هو رب العالمين الذى لااله غيره ولا رب سواه وهو اله ابراهيم واسحق ويعقوب وسائر الانبياء والمرسلين وهو الذى دعت جميع الرسل الى عبادته وحده لاشريك له ونهوا ان يعبد غيره كما قال تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لااله الا أنا فاعبدن) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ثم قلتم وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق من جوهر ابيه مولود غير مخلوق مساو الاب فى الجوهر فصحتم بالايمان مع خالق

السموات والارض برب واحد مخلوق مساو الاب ابن الله الوحيد وقلتم
هو اله حق من اله حق من جوهر أبيه وهذا تصريح بالايمان بالهين
أحدهما من الآخر وعلم الله القائم به أو كلامه او حكمته القائمة به الذى
سميتموه ابناً ولم يسمّ احد من الرسل لصفة الله ابناً ليس هو اله حق
من اله حق بل اله واحد وهذا صفة الاله وصفة الاله ليست باله كما ان
قدرته وسمعه وبصره وسائر صفاته ليست بالهة ولان الاله واحد وصفاته
متعددة. والاله ذات متصفة بالصفات قائمة بنفسها والصفة قائمة بالموصوف
ولانكم سميتم الاله جوهرا وقلتم هو القائم بنفسه والصفة ليست جوهراً
قائما بنفسه وهم في هذه الامانة قد جعلوا الله والداً وهو الاب ومولوداً
وهو الابن وجعلوه مساويا له في الجوهر وقد نزه الله نفسه عن الانواع
الثلاثة فقالوا مولود غير مخلوق مساو الاب في الجوهر فصرحوا بانه مساو
له فى الجوهر والمساوى ليس هو المساوي ولا يساوي الاب فى الجوهر
الا جوهر فوجب ان يكون الاب جوهرا ثانياً وروح القدس جوهراً
ثالثاً كما سيأتي وهذا تصريح باثبات ثلاثة جواهر ثلاثة آلهة ويقولون مع
ذلك انما نثبت جوهراً واحداً وإلها واحداً وهذا جمع بين النقيضين
فهو حقيقة قولهم يجمعون بين جعل الآلهة واحدا واثبات ثلاثة آلهة
وبين اثبات جوهر واحد وبين اثبات ثلاثة جواهر وقد نزه الله نفسه
عن ذلك بقوله (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفواً أحد) فنزه نفسه ان يلد كما يقولون هو الاب وان يولد
كما يقولون هو الابن وان يكن له كفواً أحد كما يقولون ان له من
يساويه في الجوهر ٭ واذا قلتم نحن نقول احديّ الذات ثلاثيّ الصفات

قيل لكم قد صرحتم باثبات اله حق من اله حق وانه مساوى للاب في الجوهر وهـذا تصريح باثبات جوهر ثاني لا بصفة فجمعتم بين القولين بين اثبات ثلاثة جواهر وبين دعوى اثبات جوهر واحـد ولا ينجيكم عن هـذا اعتذار من اعتذر منكم كيحيي بن عدى ونحوه حيث قالوا هـذا بمنزلة قولك زيد الطبيب الحاسب الكاتب ثم تقول زيد الطبيب وزيد الحاسب وزيد الكاتب فهو مع كل صفة له حكم خلاف حكمه مع الصفة الاخرى وقد يفسرون الاقنوم بهذا فيقولون الاقنوم هو الذات مع الصفة فالذات مع كل صفة اقنوم فصارت الاقانيم ثلاثة لان هـذا المثال لايطابق قولكم فان زيداً هنا هو جوهر واحـد له ثلاثة صفات الطب والحساب والـكتابة وليس هنا ثلاثة جواهر ولكن لكل صفة حكم ليس للاخرى ولا يقول عاقل ان الصفة مساوية للموصوف فى الجوهر ولا ان الذات مع هذه الصفة تساوى الذات مع الصفة الاخرى فى الجوهر لان الذات واحدة والمساوي ليس هو المساوى ولان الذات مع الصفة هى الاب فان كان هذا هو الذى اتحد بالمسيح فالمتحد به هو الاب ولانكم قلتم عن هـذا الذى قلتم انه اله حق من اله حق من جوهر ابيـه الذى هو مساو الاب في الجوهر الذى نزل وتجسد من روح القدس ومن مريم العذرا وتانس وصلب وتالم . اقتضى ذلك ان يكون الاله الحق المساوى للاب في الجوهر صلب وتالم فيكون اللاهوت مصلوباً متألماً وهذا تقر به طوائف منكم وطوائف تنكره لكن مقتضى امانتكم هو الاول وايضاً فاذا كان تجسد من روح القدس ومريم فاذا كان روح القدس هو حياة الله كما زعمتم فيكون المسيح كلمة الله وحياته فيكون

لاهوته اقنومين من الاقانيم الثلاثة وعندهم انما هو اقنوم الكلمة فقط وان كان روح القدس ليس هو حياة الله بطل تفسيركم لروح القدس فانه حياة الله. وقيل لكم لايجب ان يكون روح القدس صفة الله ولا اقنوما ثم ذكرتم في عقيدة امانتكم انكم تؤمنون بروح القدس الرب المحي فاثبتم رباً ثالثاً قائم المنبثق من الاب. والانبثاق الانفجار كالاندفاق والانصباب ونحو ذلك يقال بثق السيل موضع كذا يبثقه بثقاً أي خرقه وشقه فانبثق أي انفجر فاقتضى ذلك ان يكون هذا الرب المحي انفجر من الاب واندفق منه. ثم قلتم هو مع الاب مسجود له وممجد ناطق فى الانبياء فجعلتموه مع الاب مسجوداً له فاثبتم إلهاً ثالثاً يسجد له ومعلوم ان حياة الله التي هي صفته ليست منبثقة منه بل هي قائمة به لاتخرج عنه البتة وهي صفة لازمة له لاتتعلق بغيره فان العلم يتعلق بالمعلومات والقدرة بالمقدورات والتكليم بالمخاطبين. بخلاف التكلم فانه صفة لازمة يقال علم الله كذا وقدر الله على كل شيء وكلم الله موسى واما الحياة فاللفظ الدال عليها لازم لايتعلق بغير الحي يقال حى يحيا حياة ولا يقال حي كذا ولا بكذا وانما يقال احيا كذا. والاحياء فعل غير كونه حياً كما ان التعليم غير العلم والاقدار غير القدرة والتكليم غير التكلم ثم جعلتم روح القدس هذا ناطقا فى الانبياء عليهم السلام وحياة الله صفة قائمة به لاتحل في غيره وروح القدس الذي تكون في الانبياء والصالحين ليس هو حياة الله القائمة به ولو كان روح القدس الذي فى الانبياء هو احد الاقانيم الثلاثة لكان كل من الانبياء إلهاً معبوداً قد اتحدنا سوته باللاهوت كالمسيح عندكم فان المسيح لما اتحد به احد

الاقانيم صار ناسوتاً ولاهوتاً فاذا كان روح القـدس الذي هو احد الاقانيم الثلاثة ناطقاً في الانبياء كان كل منهـم فيه لاهوت وناسوت كالمسيح وأنتم لاتقرون بالحلول والاتحاد الا للمسيح وحده مع اثباتكم لغيره ما ثبت له وهم تارة يشبهون الاقنومين العلم والحياة التي يسمونها الكلمة وروح القدس بالضياء والحرارة التي للشمس مع الشمس. ويشبهون ذلك بالحياة والنطق الذي للنفس مع الشمس وهذا تشبيه فاسد فانهم ان أرادوا بالضـيا والحرارة ما يقولم بذات النفس فذلك صفة للشمس قائمة بها لم تحل بغـيرها ولم تحد بغـيرها كما ان صفة الشمس كذلك هذا ان قيل ان الشمس تقوم بها حرارة والا فهـذا ممنوع والمقصود هنا بيان فساد كلامهـم وقياسهم وان أرادوا ماهو بائن عن الشمس قائم بغيرها كالشعاع القائم بالهواء والارض والحرارة القائمة بذلك كان هذا دليلاً على فساد قولهم من وجوه منها ان هذه اعراض منفصلة بائنة عن الشمس قائمة بغيرها لا بها ونظير هذا مايقوم بقلوب الانبياء من العلم والحكمة والوحي الذى انذروا به وعلى هذا التقدير فليس في الناسوت شيء من اللاهوت وانما فيـه آثار حكمته وقدرته ومنها ان الحرارة والضوء القائم بالهواء والجدران اعراض قائمة بغير الشمس .والكلمة وروح القدس عندهم هما جوهران. ومنها ان هذا ليس هو الشمس ولا صفة من صفات الشمس وانما هو اثر حاصل في غير الشمس بسبب الشمس ومثل هـذا لاينكر قيامه بالانبياء والصالحين ولكن ليس للمسيح عليه السلام بذلك اختصاص فـما حل بالمسيح حل بغيره من المرسلين ومالم يحل بغيره لم يحل به فلا اختصاص.

له بامر يوجب ان يكون إلهاً دون غيره من الرسل ولا هنا اتحاد بين اللاهوت والناسوت كما لم تتحد الشمس ولا صفتها القائمة بها بالهواء والارض التي حصل بها الشعاع والحرارة

(فصل) قالوا وهـذه الاسماء لم نسمه نحن معشر النصارى بها من ذات أنفسنا بل الله سمي لاهوته بها وذلك انه قال على لسان موسى النبي في التوراة مخاطباً لبنى اسرائيل قائلا أليس هذا الاب الذى صنعك وبراك واقتناك وعلى لسانه أيضا قائلاً وكان روح الله ترف على الماء وقوله على لسان داود النبي روحك القدس لاتنزع منى وأيضا على لسانه بكلمة الله تشددت السموات والارض وبروح فاه جميع قواهن وقوله على لسان اشعيا ييبس القتاد ويجف العشب وكلمة الله باقية الى الابد . وعلى لسان أيوب الصـديق روح الله خلقنى وهو يعلمنى وقال السيد المسيح في الانجيل المقدس للتلاميذ الاطهار اذهبوا الى جميـع العالم وعمدوهم باسم الاب والابن وروح القدس إله واحد وعلموهم ان يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وقد قال في هـذا الكتاب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال أيضا ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس وقال أيضا وكلم الله موسى تكليما وقال في سورة التحريم ومريم ابنـة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين وسائر المسلمين يقولون ان الكتاب كلام الله ولا يكون كلام الا لحي ناطق وهذه صفات جوهرية تجري مجرى الاسماء وكل صفة منها غير الاخرى والاله واحد لايتبعض ولا يتجزى والجواب

من وجوه احدها ان نقول أولاً ان كلام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لايكون الا حقاً وصدقا ولا يكون فيه شيء يعلم بطلانه بصريح العقل وان كان فيه ما يعجز العقل عن معرفته بدون أخبار الانبياء ولا يكون كلام النبي الذى يخبر به مناقضاً لكلامه في موضع آخر ولا لكلام سائر الانبياء بل كل ما أخبرت به الانبياء فهو حق وصدق يصدّق بعضه بعضاً وقد أوجب الله علينا ان نؤمن بكل ما أخبروا به وأخبروا بكفر من آمن ببعض ذلك وكفر ببعضه فما علم بصريح العقل لا يناقض ما علم بالنقل الصحيح عن الانبياء وما علم بالنقل الصحيح عن بعضهم لايناقض ما علم بالنقل الصحيح عن غيره ولكن قد يختلف بعض الشرع والمناهج فى الامر والنهي . فاما ما يخبرون به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وغير ذلك فلا يجوزان يناقض بعضه بعضاً واذا كان كذلك مما ينقلونه عن الانبياء انما تتم الحجة به اذا علم اسناده ومتنه فيعلم انه منقول عنهم نقلا صحيحا ونعلم ان ترجمته من العبرية الى اللسان الآخر كالرومية والعربية والسريانية ترجمة صحيحة ويعلم بعد ذلك انهم أرادوا به ذلك المعنى وليس مع النصارى حجة عن الانبياء تثبت فيها هذه المقدمات الثلاث ونحن في هذا المقام يكفينا المنع والمطالبة لهم بتصحيح هذه المقدمات فانهم ادعوا ان التثليث أخذوه عن الانبياء فنحن نطالبهم بتصحيح هذه المقدمات والجواب الثانى انا نبين تفسير ما ذكروه من الكلمات ٠ أما قوله على لسان موسى عليه السلام مخاطباً لبنى اسرائيل قائلا أليس هذا الاب الذى صنعك وبراك واقتناك فهذا فيه انه سماه ابا لغير المسيح عليه

السلام وهذا نظير قوله لاسرائيل أنت ابني بكري ولداود ابني وحبيبي وقول المسيح أبي وأبيكم وهم يسامون • ان المراد بهذا في حق غير المسيح بمعنى الرب لا معنى التولد الذى يخصون به المسيح • الثالث ان هذا حجة عليهم فاذا كان في الكتب المتقدمة تسميته ابا لغير المسيح وليس المراد بذلك الا معنى الرب علم ان هذا اللفظ في لغة الكتب يراد به الرب فيجب حمله في حق المسيح على هذا المعنى لان الاصل عدم الاشتراك في الكلام • الرابع ان استعماله في المعنى الذى خصوا به المسيح انما يثبت اذا علم انه أريد المعنى الذى ادعوه في المسيح فلو اثبت ذلك المعنى بمجرد اطلاق لفظ الاب لزم الدور فانه يعلم انه أريد به ذلك المعنى من حيث يثبت انه كان يراد به في حق الله هذا المعنى ولا يثبت ذلك حتى يعلم انه أريد به ذلك المعنى في حق المسيح فاذا توقف العلم بكل منهما على الآخر لم يعلم واحد منهما فتبين انه لا علم عندهم بانه أريد في حق المسيح بلفظ الاب ماخصوه به في محل النزاع • الوجه الخامس انه لا يوجد في كتب الانبياء وكلامهم اطلاق اسم الاب والمراد به أب اللاهوت ولا اطلاق اسم الابن والمراد به شئ من اللاهوت ولا كلمته ولا حياته بل لا يوجد لفظ الابن الا والمراد به المخلوق فلا يكون لفظ الابن الا لابن مخلوق وحينئذ فيلزم من ذلك ان يكون مسمى الابن في حق المسيح هو الناسوت وهذا يبطل قولهم ان الابن وروح القدس انهما صفتان لله وان المسيح اسم للاهوت والناسوت فتبين ان نصوص كتب الانبياء تبطل مذهب النصارى وتناقض امانتهم فهم بين أمرين بين الايمان بكلام الانبياء و بطلان دينهم • وبين تصحيح دينهم

وتكذيب الانبياء وهذا هو المطلوب

(فصل) قالوا وعلى لسانه أيضا قائلا وكان روح الله ترف على الماء فيقال هذا فى السفر الاول سفر الخليقة فى أوله لما ذكر انه فى البدء خلق السموات والارض وانه كانت الارض مغمورة بالماء وكانت روح الله ترف على الماء أخبر انه كان الماء فوق التراب والهواء فوق الماء وروح الله هى الريح التي كانت فوق الماء هذا تفسير جميع الامم من المسلمين واليهود وعقلاء النصارى ولفظ الكلمة بالعبرية روح بضم الراء وتشديد الواو وهى الروح والريح تسمي روحا وجمعها أرواح ولم يرد بذلك ان حياة الله كانت ترف على الماء فان هذا لا يقوله عاقل فان حياة الله صفة قائمة به لا تفارقه ولا تقوم بغيره فيمتنع أن تقوم بماء أو غيره فضلا عن ان ترف على الماء والذى يرف على الماء جسم قائم بنفسه وهذا أخبار عن الريح التي كانت تحرك فوق الماء ومثل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الريح فانها من روح الله تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب فلا تسبوها ولكن تعوذوا بالله من شرها وسلوا الله خيرها وقوله اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن

(فصل) قالوا وقوله على لسان داود النبي صلى الله عليه وسلم روحك القدس لا تنزع منى. فيقال هذا دليل على ان روح القدس كانت فى داود فعلم بذلك ان روح القدس التى كانت في المسيح من هذا الجنس فعلم بذلك ان روح القدس لا تختص بالمسيح وهم يسلمون ذلك فانها انما فى الكتب التي بايديهم في غير موضع ان روح القدس حلت في غير المسيح في داود وفي الحواريين وفي غيرهم وحينئذ فان كان روح القدس هو حياة الله

ومن حلت فيه يكون لاهوتاً لزم ان يكون إلها لزم ان يكون كل هؤلآء فيهم لاهوت وناسوت كالمسيح وهذا خلاف اجماع المسلمين والنصارى واليهود ويلزم من ذلك أيضاً ان يكون المسيح فيه لاهوتان الكلمة وروح القدس فيكون المسيح مع الناسوت اقنومين اقنوم الكلمة واقنوم روح القدس وأيضاً فان هذه ليست صفةلله قائمة به فان صفة الله القائمة به بل وصفة كل موصوف لاتفارقه وتقوم بغيره وليس في هذا ان الله اسمه روح القدس ولو ان حياته اسمها روح القدس ولا ان روح القدس الذي تجسد منه المسيح ومن مريم هو حياة الله سبحانه وتعالى وانتم قلتم انا معاشر النصارى لم نسمه بهذه الاسماء من ذات انفسنا ولكن الله سمى لاهوته بها وليس فيما ذكرتموه عن الانبيآء ان الله سمى نفسه ولا شيئاً من صفاته روح القدس ولاسمي نفسه ولا شيئاً من صفاته ابنا فبطل تسميتكم لصفته التي هي الحياة بروح القدس ولصفته التي هي العلم بالابن وأيضاً فانتم تزعمون ان المسيح مختص بالكلمة والروح فاذاكانت روح القدس في داود عليه السلام والحواريين وغيرهم بطل ماخصصتم به المسيح وقد علم بالاتفاق ان داود عبدالله عز وجل وان كانت روح القدس فيه وكذلك المسيح عبدالله وان كانت روح القدس فيه فما ذكرتموه عن الانبيآء حجة عليكم لاهل الاسلام لا حجة لكم

(فصل) قالوا وايضا على لسان داود النبي عليه السلام بكلمة الله تشددت السموات والارض وبروح فاه جميع قواهن • فيقال اما قوله بكلمة الله تشددت السموات والارض فهو ايضا حجة عليكم لوجوه

أحدها ان الله خلق الاشيآء بكلمته التي هي كن كما قال في التوراة ليكن كذا ليكن كذا ليكن كذا وكذلك في الزبور لانه قال فكانوا وهو أمر فخلقوا فجعل كونهم عن قوله ومثله قوله في الزبور الكل بحكمه صنعت وفي القرآن (انما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون) وليس المسيح هو هذه الكلمات • الثاني ان كلمة الله اسم جنس فان كلمات الله لانهاية لها قال تعالى (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) والتوراة تدل على تعدد الكلمات واذا كان كذلك فالمسيح ليس هو مجموع الكلمات بل خلق بكلمة منها . الثالث ان المسيح عندكم هو الخالق وانتم مع قولكم انه الابن والكلمة تقولون انه الاله الخالق وتقولون انه اله حق من اله حق وتقولون اله واحد فتجمعون بين النقيضين واذا كان هو الخالق فهو الذي يشدد السموات والارض لا يقال به تشددت السموات والارض وانما يقال به فيما كان صفة للموصوف فيقال خلق الله الاشيآء بكن وخلق الاشياء بقدرته وقوله بكلمته تشددت السموات والارض يقتضى ان الكلمة صفة فعل بها لانها هي الخالقة والمسيح عندكم هو الخالق ليس هو صفة خلق بها . الرابع ان كلمة الله يراد بها جنس كلماته كما قال تعالى (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا) وكقول النبي صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وحينئذ فالمراد ان الله اقام السموات والارض بكلمته كقوله كن وليس في هذا تعرض للمسيح عليه السلام . واما نقلكم انه قال وبروح فاه جميع قواهن فهذه الكلمة سوآء كانت حقا او باطلا لا حجة لكم

فيها لانه ان اريد بهذه الكلمة حياة الله فاثبات حياة الله حق وهو لم يسم حياة الله روح القدس كما زعمتم وان اراد شيئا غير حياة الله لم تنفعكم فانتم ادعيتم حياة الله روح القدس حتى قلتم مراده في الانجيل بقوله عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس هو حياة الله وادعيتم ان الانبياء سموه بذلك ولم تذكروا نقلاً عن الانبياء انهم سموا حياته روح القدس بل ذكرتم عنهم مايوافق مافي القرآن ان روح القدس ليس المراد بها حياة الله ولو قدر ان هذا اللفظ استعمل في هذا وهذا لم يتعين ان المسيح أراد بقوله روح القدس حياة الله فكيف اذا لم يستعمل في كلام الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في حياة الله قط

(فصل) قالوا وقوله على لسان أيوب الصديق روح الله خالقني وهو يعلمني • فيقال هذا لاحجة فيه لانكم ادعيتم ان الانبياء سمت حياة الله روح القدس وهذا لم يقل روح القدس بل قال روح الله • وروح الله يراد بها الملك الذي هو روح اصطفاها الله فاحبها كما قال في القرآن (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك ليهب لك غلاماً زكيا) فقد أخبر انه ارسل اليها روحه فتمثل لها بشرا سويا وتبين انه رسوله فعلم ان المراد بالروح ملك هو روح اصطفاها فاضافها اليه كما يضاف اليه الاعيان التي خصها بخصائص يحبها كقوله ناقة الله وسقياها وقوله وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وقوله عيناً يشرب بها عباد الله والمضاف الى الله ان كان صفة لم تقم بمخلوق كالعلم والقدرة والكلام

والحياة كان صفة له . وان كان عيناً قائمة بنفسها او صفة لغيره كالبيت والناقة والعبد والروح كان مخلوقاً مملوكاً مضافاً الى خالقه ومالكه لكن الاضافة تقتضي اختصاص المضاف بصفات تميز بها عن غيره حتى استحق الاضافة كما اختصت الكعبة والناقة والعباد الصالحون بان يقال فيهم بيت الله وناقة الله وعباد الله كذلك اختصت الروح المصطفاة بان يقال لها روح الله بخلاف الارواح الخبيثة كارواح الشياطين والكفار فانها مخلوقة لله ولا تضاف اليه اضافة الارواح المقدسة كما لا تضاف اليه الجمادات كما تضاف الكعبة ولا نوق الناس كما تضاف ناقة صالح التي كانت آية من آياته كما قال (هذه ناقة الله لكم آية واذا كان كذلك فهذا اللفظ ان كان ثابتاً عن النبي وترجم ترجمة صحيحة فقد يكون معناه ان الملك صورني في بطن أمي وهو يعلمني فان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب اذكر ام أنثى فيقضي ربك ماشآء ويكتب الملك ثم يقول يارب اجله فيقول ربك ماشآء ويكتب الملك ثم يقول يارب رزقه فيقول ربك ماشآء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزاد على أمر ولا ينقص رواه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري وقد يقال من هذا قوله في الزبور في مزمور الخليقة ترسل روحك فيخلقون وفي المزمور أيضاً هو قال فكانوا وامر فخلقوا فقد يضاف الخلق الى الملك ومن هذا الباب قوله تعالى (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه

فيكون طيراً باذن الله فاخبر انه يخلق من الطين كهيئة الطير فيكون طيراً باذن الله وكذلك الملك يخلق النطفة في الرحم باذن الله ولا يجوز أن يريد به ان حياة الله خالقتي وتعلمني فان الصفة لاتخلق ولا تعلم وانما يخلق ويعلم الرب الموصوف الذي خلق خلق الانسان من علق الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ولكن هو سبحانه يخلق بواسطة الملائكة فان الملائكة رسل الله في الخلق فجاز ان يضاف الفعل الى الوسائط تارة والى الرب أخرى وهذا موجود في الكتب الالهية في غير موضع كما في القرآن الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وفى موضع آخر حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون وفي موضع ثالث قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون والجميع حق فاذا وجد لفظ له معنى في كلام بعض الانبياء ولم يوجد له معنى يخالف ذلك من كلامهم كان حمله على ذلك المعنى اولى من حمله على معنى يخالف كلامهم ولا يوجد في كلامهم ان حياة الله تسمى روحا ولا ان صفات الله تخلق المخلوقات

(فصل) قالوا وقوله على لسان اشعيا النبي ييبس القتاد ويجف العشب وكلمته باقية الى الابد فيقال اما ان يريد بكلمة الله عامه او كلمة معينة او يكون كلمة الله اسم جنس وعلى التقديرات فلا حجة لكم فى ذلك فانه ان كان كلمة الله اسم جنس لكل ما تكلم به كما قال وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ولهذا جمعها فى قوله تعالى وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلا وفي قوله قل لوكان البحر

مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً فالمراد بذلك ان ماقاله الله فهو حق ثابت لايبطل كما قال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) يعنى بتمامها نفاد ماوعدهم به من النصر على فرعون واهلاكه واخراجهم الى الشام وقال تعالى وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلا ومنه قوله واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته وقوله سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) ومن هذا الباب قول المسيح السماء والارض يزولان وكلامي هذا لايتغير فان أراد علم الله فعلم الله باق سواء أراد به علمه القائم بذاته او معلومه الذى أخبر ببقائه فلا حجة لكم فيه وكذلك ان أراد كلمة معينة فان المسيح عندكم ليس كلمة معينة من كلامه بل هو عندكم هو الكلمة وهو الله الخالق وليس في هذا اللفظ مايدل على انه أراد بالكلمة المسيح والمسيح عندكم أزلي أبدى لايوصف بالبقاء دون القدم ولو قدر انه أراد بالكلمة المسيح فنحن لاننكر انه تسمى بالكلمة لانه قال له كن فكان كما سيأتى بيان ذلك ويريد بذلك اما بقاؤه الى ان ينزل الى الارض واما ان يريد بقاء ذكره والثناء عليه ولسان الصدق له الى آخر الزمان ومما يوضح هذا فانه ليس المراد به مايدعونه انه قال وكلمة الله باقية الى الابد فوصفها بالبقاء دون القدم وعندهم ان الكلمة المولودة من الاب قديمة ازلية لم تزل ولا تزال ومثل هذا لايحتاج ان يوصف بالدوام والبقاء بخلاف ماوعد به من النعيم والرحمة والثواب فانه يوصف بالبقاء والدوام كما في القرآن اكلها

دائم وقوله ان هذا لرزقنا ماله من نفاد وفى الزبور اعترفوا للرب فانه صالح وانه الى الابد رحمته

(فصل)قالوا وقال السيد المسيح في الانجيل المقدس لتلاميذه الاطهار اذهبوا الى جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن وروح القدس الاله الواحد وعلموهم ان يحفظوا جميع ما أوصيكم به فيقال لهم هذا عمدتكم على ماتدعونه من الاقانيم الثلاثة وليس فيه شئ يدل على ذلك لا نصاً ولا ظاهراً فان لفظ الابن لم يستعمل قط في الكتب الالهية فى معنى صفة من صفات الله ولم يسم أحد من الانبياء علم الله ابنه ولا سموا كلامه ابنه ولكن عندكم انهم سموا عبده أو عباده ابنه او بنيه واذا كان كذلك فدعواكم ان المسيح أراد بالعلم ابن الله وكلامه دعوى في غاية الكذب على المسيح وهو حمل للفظ على مالم يستعمله هو ولا غيره فيه لا حقيقة ولا مجازاً فاى كذب وتحريف لكلام الانبياء أعظم من هذا ولو كان لفظ الابن يستعمل فى صفة الله لسميت حياته ابناً وقدرته ابناً فتخصيص العلم بلفظ الابن دون الحياة خطأ ثاني لو كان لفظ الابن يستعمل في صفة الله فكيف اذا لم يكن كذلك وكذلك روح القدس لم يستعملوها في حياة الله ولا أرادوا بهذا اللفظ حياة الله التي هى صفته وانما أرادوا بذلك ماينزله على الصديقين والانبياء ويؤيدهم به كما في قول داود روحك القدس لاتنزع منى وعندهم ان روح القدس حلت في الحواريين وقد قدمنا ان روح القدس يراد به الملك ويراد به مايجعله فى القلوب من الهدى والقوة ومنه قوله فى بعض النبوات وفى تلك الايام اسكب من روحي على كل قديس وفى زبور داود روحك

الصالح يهديني فى أرض مستقيمة يوضح هذا انهم قالوا فى امانتهم الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وذكروا ان ذلك فى الكتب المقدسة والذي فى الكتب المقدسة لا يكون الا حقاً ولا ريب ان فيها مثل مافى القرآن وفى القرآن ان الله أرسل روحه الى مريم فنفخ فيها فحملت بالمسيح عليه السلام قال تعالى (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكيا قالت اني يكون لي ولد ولم يمسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا فحملته فانتبذت به مكاناً قصيا). الى آخر القصة وقال تعالى (والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين وقال تعالى (ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) وهذا الروح هو الرسول كما قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا ونفخ فيها من هذا الروح فكان المسيح مخلوقاً من هذا الروح ومن أمه مريم كما قالوا فى الامانة انه تجسد من مريم ومن روح القدس لكن اعتقدوا ان روح القدس التى خلق المسيح منها ومن مريم هي حياة الله وهذا ليس فى الكتب ما يدل عليه بل الكتب كلها صريحة في نقيض هذا وهو أيضاً مناقض لقولهم ان المتحد بالمسيح هو اقنوم الكلمة وهو العلم فان كان قد تجسد من مريم واقنوم الكلمة لم يكن تجسد من روح القدس وان كان من روح القدس لم يكن من الكلمة

وان كان منهما جميعاً كان المسيح اقنومين اقنوم الكلمة واقنوم الروح والنصارى بفرقهم الثلاثة كلهم يقولون انما المتحد به اقنوم الكلمة لا اقنوم الحياة فتبين تناقضهم فى امانتهم وتبين خطأهم فيما فسروا به كلام الانبياء وتبين ان ماثبت عن الانبياء فهو حق موافق لما اخبر به محمد خاتم النبيين لايتناقض شيء من كلام الانبياء كما انه لايناقض شيء من كلامهم صريح المعقول وتبين انهم حملوا كلام الانبياء في لفظ الابن وروح القدس وغيره على مالم يوجد استعمال هذا اللفظ فيه وتركوا حمله على المعنى الموجود فى كلامهم فكيف يجوز أن يحمل لفظ روح القدس على معنى لم يستعمله فيه الانبياء ولا ارادوه به ويترك حمله على المعنى المعروف الذي يستعملونه فيه دائماً وهل هذا الامن فعل من يحرف كلام الانبياء ويفتري الكذب عليهم بل ظاهر هذا الكلام ان يعمدوهم باسم الاب الذى يريدون به في لغتهم الرب والابن الذى يريدون به في لغتهم المربى وهو هنا المسيح وروح القدس وهو روح القدس الذى أيد الله به المسيح من الملك والوحي وغير ذلك وبهذا فسر هذا الكلام من فسره من اكابر علمائهم

(فصل) فهذا ما ذكروه في كتابهم يحتجون بها على مايعتقدونه من الاقانيم الثلاثة قائلين ان تسمية الله انه أب وابن وروح القدس اسماء لم نسمه نحن النصارى بها من ذوات أنفسنا بل الله سمى لاهوته بها وقد تبين انه ليس فيما ذكروه عن الانبياء ما يدل لا نصا ولا ظاهرا على ان احدا من الانبياء سمى الله ولا شيئاً من صفاته ابنا ولا روح قدس وتبين ان تسميتهم لعلم الله وكلامه ابنا وتسميتهم لحياته روح

القدس اسماء ابتدعوها ما انزل الله بها من سلطان وانه ليس معهم على ما ادعوه من الاقانيم حجة أصلاً لاسمعية ولا عقلية وانه ليس لقولهم بالتثليث وحصرهم لصفات الله في ثلاثة مستند شرعي كما تبين انه ليس له مستند عقلي. وان القوم ممن قيل فيهم لوكنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير وممن قيل فيهم أم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل اضل سبيلا

(فصل) ثم أخذوا يزعمون ان فيها أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم حجة لهم على الاقانيم التى ادعوها وهم ابتدعوا القول بالاقانيم والتثليث قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم وذلك معروف عندهم من حين ابتدعوا الامانة التى لهم التى وضعها الثلاث مائة وثمانية عشر منهم بحضرة قسطنطين الملك فاذا لم يكن لهم مستند عقلى ولا سمعى عن الانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يكون لهم مستند فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بعد ابتداعهم الامانة لاسيما مع العلم الظاهر المتواتر ان محمدا صلى الله عليه وسلم كفرهم فى الكتاب الذى أنزل عليه وضللهم وجاهدهم بنفسه وأمر بجهادهم كقوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقوله تعالى (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله اني يؤفكون وقال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة (وقال ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم ونحو ذلك من الآيات وقالوا وقد قال فى هذا الكتاب أيضاً (والقد سبقت كلمتنا لعبادنا الصالحين) فيقال لهم حرفتم لفظ الآية ومعناها فان لفظها (ولقد

سبقت كلماتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) فالكلمة التي سبقت لعباده المرسلين قوله (انهم لهم المنصورون أخبر انه سبق منه كلمة لعباده المرسلين لينصرنهم كما قال تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) وقوله (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب) وقوله (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار) وقوله (وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم) وقوله (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) والكلمة في لغة العرب هي الجملة المفيدة سواء كانت جملة اسمية أو فعلية وهى القول التام . وكذلك الكلام عندهم هو الجملة التامة . قال سيبويه واعلم انهم يحكون بالقول ما كان كلاما ولا يحكون به ما كان قولا ولكن النحاة اصطلحوا على ان يسموا ماتسميه العرب حرفا يسمونه كلمة مثل زيد وعمرو ومثل قعدوذهب وكل حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل مثل ان وثم وهل ولعل قال تعالى (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولالآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم) فسمى هذه الجملة كلمة وقال تعالى (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة) وهو قول لااله الا الله . وقال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال تعالى (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم ان لانعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) وقوله تعالى (وألزمهم

كلمة التقوى) وكانوا أحق بها وأهلها وقال النبي صلى الله عليه وسلم كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد الا كل شيء ماخلا الله باطل • وقال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة ولما شاع عند المشتغلين بالنحو استعمال لفظ الكلمة في الاسم أوالفعل وحرف المعنى صاروا يظنون ان هذا هو كلام العرب ثم لما وجد بعضهم ماسمعه من كلام العرب انه يراد بالكلمة الجملة التامةصار يقول وكلة بها كلام قد يؤم فيجعل ذلك من القليل ومنهم من يجعل ذلك مجازا وليس الأمر كذلك بل هذا اصطلاح هؤلاء النحاة فان العرب لم يعرفوا عنهم أنهم استعملوا لفظ الكلمة والكلام الا في الجملة التامة وهكذا نقل عنهم أئمة النحو كسيبويه وغيره فكيف يقال ان هذا هو المجاز وان هذا قليل وهذا كما ان لفظ القديم في لغة العرب هوالمتقدم على غيره كما قال تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم)وقوله تعالى(واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا أفك قديم)وقوله تعالى (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وا باؤكم الاقدمون) ثم ان من اهل الكلام من خص لفظ القديم بما لم يسبقه عدم اوما لم يسبقه غيره وصار هذا عندهم هو حقيقة اللفظ حتى صار كثير منهم يظن ان استعمال القديم في المتقدم على غيره مطلقاً مجاز فتبين ان مراده تعالى بقوله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) من جنس قوله (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما)فسبق منه كلمته بما سيكون من نصر المرسلين وملء جهنم من الجنة والناس اجمعين ونحو ذلك

لحرف هؤلاء الضلال لفظ الآية فقالوا العبادنا الصالحين وجعلوا الكلمة هى المسيح وليس فى اللفظ مايدل على ذلك بوجه من الوجوه ولا فى كون المسيح سبق لعبادنا المرسلين معنى صحيح وقد قال تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون)

(فصل)قالوا وقال أيضاً (ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس) فيقال هذا مما لاريب فيه ولا حجة لكم فيه بل هو حجة عليكم فان الله ايد المسيح عليه السلام بروح القدس كما ذكر ذلك فى هذه الآية وقال تعالى في البقرة (ولقد آتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس) وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس)وهذا ليس مختصاً بالمسيح بل قد أيد غيره بذلك وقد ذكروا هم انه قال لداود روحك القدس لاتنزع منى وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت اللهم أيده بروح القدس وفى لفظ روح القدس معك مادمت تنافح عن نبيه وكلا اللفظين فى الصحيح وعند النصارى ان الحواريين حلت فيهم روح القدس وكذلك عندهم روح القدس حلت فى جميع الانبياء وقد قال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل اكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس

من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمؤمنين) وقد قال تعالى في موضع آخر نزل به الروح الامين على قلبك (وقال من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) فقد تبين ان روح القدس هنا جبريل وقال تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباآءهم أو ابنآءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشآء من عبادنا) وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشآء من عباده ان انذروا انه لا اله الا أنا فاتقون) وقال (يلقي الروح من أمره على من يشآء من عباده لينذر يوم التلاق) فهذه الروح التى أوحاها والتى تنزل بها الملائكة على من يشآء من عباده غير الروح الامين التي تنزل بالكتاب وكلاهما يسمى روحا وهما متلازمان فالروح التي ينزل بها الملك مع الروح الامين التى ينزل بها روح القدس يراد بها هذا وهذا وبكلا القولين فسر المفسرون قوله في المسيح وأيدناه بروح القدس ولم يقل احد ان المراد بذلك حياة الله ولا اللفظ يدل على ذلك ولا استعمل فيه وهم اما ان يسلموا ان روح القدس في حق غيره ليس المراد بها حياة الله فاذا ثبت ان لها معنى غير الحياة فلو استعمل في حياة الله ايضاً لم يتعين ان يراد بها ذلك فى حق المسيح فكيف ولم يستعمل في حياة الله فى حق المسيح واما ان يدعوا ان المراد بها حياة الله في حق الانبيآء والحواريين فان قالوا ذلك لزمهم ان يكون اللاهوت حالا في جميع الانبيآء والحواريين

وحينئذ فلا فرق بين هؤلاء وبين المسيح ويلزمهم أيضاً ان يكون فى المسيح لاهوتان لاهوت الكلمة ولاهوت الروح فيكون قد اتحد به اقنومان ثم فى قوله تعالى (وايدناه بروح القدس) يمتنع ان يراد بها حياة الله فان حياة الله صفة قائمة بذاته لاتقوم بغيره ولا تختص ببعض الموجودات غيره. واما عندهم فالمسيح هو الله الخالق فكيف يؤيد بغيره وأيضاً فالمتحد بالمسيح هو الكلمة دون الحياة فلا يصح تأييده بها فتبين انهم يريدون ان يحرفوا القرآن كما حرفوا غيره من الكتب المتقدمة وان كلامهم في تفسير المتشابه من الكتب الالهية من جنس واحد

(فصل)قالوا وقال أيضاً (وكلم الله موسي تكليما) فيقال لهم واى حجة لكم فيهذا وانما هو حجة عليكم فانه قد ثبت ان الله كلم موسى تكليما وكلام الله الذى سمعه منه موسى عليه السلام ليس هو المسيح فعلم ان المسيح ليس هو كلام الله وعندهم هو كلمة الله وهو علم الله وهو الله ومعلوم ان كلام الله كثير كالتوراة والانجيل والقرآن وغير ذلك من كلامه وليس المسيح شيئاً من ذلك والمسيح عندهم خالق ولو كان المسيح نفس كلام لم يكن خالقاً ولا معبوداً فان كلام الله هو الاله المعبود بل كلامه كسائر صفاته مثل حياته وقدرته ولا يقول أحد ياعلم الله اغفرلى ولا ياكلام الله اغفرلى وانما يعبد ويدعي الاله الموصوف بالعلم والقدرة والكلام الذى كلم الله موسى تكليما

(فصل)قالوا وقال أيضاً في سورة التحريم (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه

وكانت من القانتين) فيقال اما قوله تعالى (فنفخنا فيه من روحنا) وقوله في سورة الانبياء (والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) فهذا قد فسره قوله تعالى (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) وفي القراءة لاهب لك غلاما زكيا فاخبر انه رسوله وروحه وانه تمثل لها بشرا وانه ذكر انه رسول الله اليها فعلم ان روحه مخلوق مملوك له ليس المراد حياته التي هي صفته سبحانه وتعالى وكذلك قوله (فنفخنا فيها من روحنا) وهو مثل قوله في آدم عليه السلام فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وقد شبه المسيح بآدم في قوله (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) والشبهة في هذا نشأت عند بعض الجهال من ان الانسان اذا قال روحي فروحه في هذا الباب هي الروح التي في البدن وهي عين قائمة بنفسها وان كان من الناس من يعنى بها الحياة والانسان مؤلف من بدن وروح وهي عين قائمة بنفسها عند سلف المسلمين وائمتهم وجماهير الامم والرب تعالى منزه عن هذا وانه ليس مركباً من بدن وروح ولا يجوز ان يراد بروحه مايريد الانسان بقوله روحي بل تضاف اليه ملائكته وما ينزله على انبيائه من الوحي والهدى والتأييد ونحو ذلك

(فصل) قالوا وسائر المسلمين يقولون ان الكتاب كلام الله ولا يكون كلام الا لحي ناطق وهذه صفات جوهرية تجرى مجرى الاسماء وكل صفة منها غير الاخرى فالاله واحد خالق واحد ورب واحد لا يجزى

فيقال لهم اما قول المسلمين ان الكتاب أى القرآن كلام الله فهذا حق والكلام لايكون الا لمتكلم، والمسلمون يقولون ان الله حي متكلم وانه تكلم بالتوراة والانجيل والقرآن وغير ذلك من كلامه والقرآن قد اخبر بكلام الله في مواضع كثيرة وهل يسمي الرب ناطقاً كلامه نطقاً • فيه نزاع فبعض المسلمين يجيزه و بعضهم يمنع منه لكونه لم يرد به الشرع وليس في التوراة والانجيل والزبور تسمية الله ناطقاً بخلاف لفظ القول والكلام وقد تنازع المسلمون بعد ظهور البدع فيهم كما تنازع أهل الكتاب في كلام الله هل هو قائم به او مخلوق منفصل عنه والذى عليه سلف الامة وائمتها وجمهورها ان كلام الله قائم به وكذلك سائر ما يوصف به من الحياة والقدرة وغير ذلك • وأحدث قوم منهم بعد انقراض الصحابة واكابر التابعين بعد اكثر من مائة سنة من موت النبي صلي الله عليه وسلم انه مخلوق خلقه فى غيره وشاركهم فى هذه البدعة كثير من اليهود والنصارى وظهرت هذه المقالة بعد المائة الثانية وانتصر لها قوم من الولاة وغيرهم ثم أطفاها الله بمن اقامه الله من ائمة الاسلام والسنة الذين بينوا فسادها وبينوا مااتفق عليه السلف من ان كلام الله منزل منه غير مخلوق بل منه بدا لم يبتد من شيء من المخلوقات ومع هذا فلم يقل أحد من المسلمين ان كلام الله يكون إلهاً ولا رباً. وكذلك حياته لم يقل أحد منهم ان حياته تكون الهاً ولا ربا ولا انه مساو للرب تعالى في الجوهر

(فصل) واما قولهم هذه صفات جوهرية تجرى مجرى اسماء فان ارادوا بقولهم جوهرية ان كل صفة جوهر فهذا كلام ظاهر الفساد

فان الصفة القائمة بغيرها لا تكون جوهراً قائماً بنفسه ومن ظن ان حرارة النار القائمــة بها جوهر قائم بنفسه كالنار فهو اما مصاب في عقله واما مسفسط معاند . والاول يستحق علاج المجانين والثانى يستحق العقوبة التى تردعه عن العناد ثم ان جاز ان تكون الصفة جوهراً كانت القدرة أيضاً جوهراً وان ارادوا بقوله جوهرية انها صفات ذاتية وغيرها صفات فعلية كالخالق والرازق . فمعلوم ان صفاته الذاتية منها القدرة وغيرها لم تحصر في هذه وأيضاً فالكلام وان كان قائماً بذاته فقيل هو متعلق بمشيئته وقدرته وهو قول السلف والاكثرين وقيل ليس كذلك والمتكلم قيل هو من فعل الـكلام ولو كان منفصلا عنــه وقيل هو من قام به الكلام وان لم يكن بمشيئته وقــدرته وقيل المتكلم من قام به الـكلام بمشيئته وقدرته وهــذا قول السلف والاكثرين فبطل قولهم على كل تقدير وان ارادوا بالجوهرية انها ذاتية مقومة وباقي الصفات عرضية على رأي أهل المنطق اليــونان الذين يفرقون في الصفــات اللازمة للموصوف بين هذا وهذا كان هذا فاسداً من وجوه منها ان تفريق هؤلاء في الصفات اللازمة للموصوف بين صفة وصفة وجعل بعضها ذاتياً مقوما داخلا في المــاهية وبعضها عرضــياً لاحقاً خارجا عن المــاهية كلام باطل عنــد جماهير نظار الامم من أهل الملل وغيرهم كما قد بسط الـكلام عليــه في الرد على هؤلاء المتفلسفة وبين انّ ما يدعونه من تركيب الانواع من الاجناس والفصول انما هو تركيب في الاذهان لا حقيقة له في الاعيان وانّ ما يقوم بالاذهان يختلف باختلاف تصور الاذهان . فتارة يتصور الشيء مجملا . وتارة يتصوره مفصلا . وما

سموه تمام الماهية والداخل فى الماهيــة والخارج عنها اللازم لها يعود عند التحقيق الى مايدل عليـه اللفظ بالمطابقة والتضمن والالتزام ومدلول اللفظ هو بحسب مايعنيه المتكلم ويقصده ويتصوره وهــذا يختلف باختلاف ارادات الناس لايرجع ذلك الى حقيقة عقلية ولا صفة ذاتية للموجودات ولهذا لما كان كلامهم باطلا لم يمكنهـم ذكرُ فرق صحيح بين الذاتي والعرضى اللازم إذ كان كلاهما لازما للموصوف بل ذكروا ثلاثة فروق والثلاثة باطلة واعترف حذاقهم ببطلانها كقولهم ان الذاتي يثبت للموصوف بلا وسط والعرضى اللازم انما يثبت بوسط ثم حذاقهم يفسرون الوسط بالدليل كما فسره ابن سينا. ومنهم من يفسر الوسط بصفة قائمة بالموصوف كما يفسره الرازى وغيره وهؤلاء لم يفهموا مراد اولئك فزاد غلطهم واولئك ارادوا بالوسط الدليل كما يريدون بالحد الاوسط مايعرف باللام في قولك لانه فصار العرضى اللازم عندهم مايعلم ثبوته للموصوف بدليل وهذا لايرجع الى حقيقة ثابتة في نفس الامر بل هذا امر يتعلق بالعالم بالصفات فمنهم من يكون تام التصور فيعلم لزوم الصفة للموصوف بلا دليل. ومنهم من لا يكون تام التصور فلا يعلم ذلك الا بدليل ثم كل ما كان مستلزما لشئ فانه يمكن الاستدلال به عليه اذ كان الدليل هو الذى يلزم من تحققه تحقق المدلول فيكون الوسط كل ما كان مستلزماً للعرض فيكون العرض لازم اللازم وهم معترفون بان من العرضيات مايلزم بلا وسط وقد مثلوا ذلك بالزوجية والفردية فى العــدد فان العلم بان الاربعة زوج والثلاثة فرد وان كان ظاهرا لكن العلم بان خمسمائة وثلاثة واربعين نصف الف وستة وثمانين

قد يفتقر الى دليل وقد يفتقر الى تأمل وفكر وهم يقولون مايقول ابن سينا افضل متأخريهم وغيره من ان العرض المنقسم الى الكيف والكم وغير ذلك هو ذاتي لموصوفاته واللون المنقسم الى السواد والبياض هو ذاتي للمتلون . والسوادية والبياضية صفتان ذاتيتان بخلاف الزوجية والفردية .قالوا لان كون هذا اسود وأبيض وعرضاً قائماً بغيره لا يفتقر الى استدلال ونظر بخلاف كون هذا العدد زوجا أو فردا فان هذا قد يفتقر الى نظر واستدلال فانه ينقسم الى قسمين متساويين أو لا ينقسم .ومعلوم ان هذا فرق يعود الى علم العالم بهذه الصفات هل هو جلي أو خفي وهل يفتقر الى نظر واستدلال لا يفتقر او ليس هو فرقا يعود الى الصفة في نفسها ولا الى موصوفها فعلم انه ليس بين ما جعلوه ذاتياً مقوماً داخلا في الماهية وما جعلوه عرضياً لازماً خارجا عن الماهية فرق يعود الى نفس الماهية التي هي الذات الموصوفة الموجودة في الخارج ولا الى صفاتها بل جميع صفاتها اللازمة لها سواء في ذلك ليست الماهية مركبة من هذا دون هذا ولا فيها شيء يتقدم على الماهية في الوجود الخارجي كما يقولون ان الذاتي يتقدم على الماهية في الوجود والذهن ولا هي الصفات جواهر موجودة في الخارج أجزاء لها كاجزاء الاجسام المركبة وانما هي صفات قائمة بالموصوف يمتنع تقدم شيء منها على الموصوف ولكن اذا قيل في الانسان هو جسم حساس نام متحرك بالارادة ناطق فهنا قد يتصور الذهن هذه الامور ويعبر عنها فكل واحد منهما جزء من الجملة التي في ذهنه ولسانه والجملة التي في ذهنه ولسانه مركبة من هذه الاجزاء لا ان الانسان الموجود في

الخارج مركب من هذه الاجزاء وأنها متقدمة عليه أو انها جواهر فان هذا كله مما يعلم بصريح العقل انه باطل لكن هؤلاء المتفلسفة اليونان ومن اتبعهم كثيراً ما يشتبه عليهم مايتصورونه في الاذهان بما يوجد في الاعيان كما أثبت من أثبت من قدمائهم مثل فيثاغورس وأتباعه اعدادا مجردة موجودة في الخارج • وقد رد ذلك عليهم سائر العقلاء كما رده من بعده منهم وقالوا ان العدد المجرد والمقدار المجرد انما يوجد في الذهن لافي الخارج وانما يوجد في الخارج المعدودات والمقدورات مثل الاجسام المتفرقة التي تعد كالكواكب أو المتصلة التي تقدر كالافلاك وذلك هو المتصف بالكم المتصل والكم المنفصل الموجود في الخارج واثبت اصحاب افلاطون الكليات العقلية في الخارج التي يسمونها المثل الافلاطونية وزعموا انها قديمة أزلية وأثبتوا بعداً موجودا مجردا جوهراً هو الخلاء وجوهرا قائما بنفسه هو الدهر وجوهرا مجرداً قائماً بنفسه هو المادة والهيولى الازلية . وهذه كلها انما تتصور في الاذهان لافي الاعيان بل وما أثبتوه من العقول المجردة العشرة هي أيضاً عند التحقيق ترجع الى مايجرده الذهن ويقدره فيه لا الى موجود في الخارج. وأصل قولهم المجردات والمفارقات هو مأخوذ من مفارقة النفس الناطقة للبدن بالموت وهذا حق فان الذي عليه الانبياء واتباعهم وجمهور العقلاء ان الروح تفارق البدن وتبقى بعد فراق البدن ومن قال من متكلمة أهل الملل انه لايبقى بعد البدن روح تفارقه وان الروح جزء من البدن او عرض من اعراض البدن فقوله مع انه خطأ في العقل الصريح هو أيضاً مخالف لكتب الله المنزلة ولرسله

ولمن اتبعهم من جميع أهل الملل وهذه الامور مبسوطة في غير هذا الموضع والمقصود هنا التنبيه على ان تفريق هؤلآء اليونانين في الصفات اللازمة للموصوف بين الصفات الذاتية والعرضية اللازمة وجعلهم اللازمة منها ماهو لازم للماهية ومنها ماهو لازم لوجودها هو مبنى على أصلين فاسدين لهم خالفهم فيها جمهور عقلاء الامم من نظار أهل الملل وغيرهم . أحد الاصلين هو ما تقدم من جعلهم الصفات اللازمة للموصوف هي في الخارج منقسمة الى ذاتي جزء من الماهية داخل فيها والى عرضي خارج عنها لازم لها والثاني زعمهم ان كل موجود ممكن وله فى الخارج ماهية هى ذاته وحقيقته غير الموجود المعلوم المعين الثابت في الخارج وهذا أيضا مما اشتبه عليهم فيه مافي الذهن بما فى الخارج فانه اذا أريد بالماهية مايتصور في الذهن وهو المقول في جواب ماهو وبالوجود ماهو ثابت متحقق فى الخارج فمعلوم ان هذا غير هذا كما يقولون انا نتصور المثلث قبل ان نعلم وجوده فى الخارج فعلم ان ماهية المثلث غير المثلث الموجود في الخارج فانه يقال لهم ان أردتم ان مايتصور فى الذهن من المثلث غير الوجود فى الخارج وهذا حق لكن ليس فى هذا مايدل على انه فى الخارج عن الذهن شيئين أحدهما ماهية المثلث التى هي حقيقته وذاته والثاني المثلث الموجود الذي هو زاوية الحائط وان أردتم ان فى الخارج شيئين فهذا غلط وهذا الموضع مما اشتبه على كثير من النظار حتى صار بعض اكابرهم حائراً متوقفاً وبعضهم يختلف قوله ويتناقض وسبب ذلك عدم تمييزهم بين مايتصور في الاذهان وبين مايوجد فى الاعيان ثم هذا الموضع نقلوه الى الكلام

في صفات الله اللازمة له كحياته وعلمه وقدرته هل هي ذاتية اوعرضية فان قيل ذاتية لزم ان تكون له اجزاء متقدمة عليه تركب منها • وان كانت عرضية لازمة لزم ان يكون قابلاً وفاعلاً • فان كونه فاعلاً غير كونه قابلاً فلزم ان يكون فيه جهتان وهذا من التركيب الذي زعموه منتفياً وذلك يستلزم التركيب وهو التركيب من الذاتيات وقد بين فساد هـذا من وجوه متعددة • منها ان التركيب المعقول هو تركيب الحيوان والنبات والمعادن من ابعاضه واخلاطه وتركب المبنيات والملبوسات والاطعمة والاشربة من بعاضها واختلاطها • واما تركب الاجسام من الجواهر المنفردة او من المادة والصورة فهـذا مما تنازع فيه جمهور العقلاء وكذلك تركب الشيء من الموجود والماهية سواء كان واجباً او ممكناً هو مما تنازع فيه جمهور العقلاء وكذلك تركبه من الصفات الذاتية المشتركة والمميزة التي يسمونها الجنس والفصل واما اتصاف الذات بصفات تقوم بها فهـذا هو الذي يعرفه عامة العقلاء ولكن لا يسمون هذا تركيباً فمن سماه تركيباً لم يكن نزاعه اللفظي قادحاً فيما علم بالادلة السمعية والعقلية • ثم هم يقولون المركب يفتقر الى اجزائه واجزاؤه غيره وواجب الوجود لا يفتقر الى غيره وهـذه كلها الفاظ مجملة فان لفظ الافتقار هنا لم يعنوا به افتقار المفعول الى فاعله ولا المعلول الى علته الفاعلية فان جزء الشيء لا يكون فاعله ولا علته الموجبة له بل يريدون به التلازم والاشتراط . فان وجود المجموع مستلزم لوجود اجزائه وهو مشروط بذلك • ومنها ان لفظ الجزء ليس مرادهم جزأ مبايناً للجملة فان جزء الجملة ليس مبايناً لها • ومنها لفظ الغير فانه يراد

بالغيرين مايجوز مباينة أحدهما لصاحبه او مفارقته له بزمان او مكان او وجود ويراد بهما مايجوز العلم باحدهما دون الآخر وبعض المجموع وصفة الموصوف لايجب ان تفارقه وتباينه بل قد يجوز ان تباينه ويجوز ان لاتباينه • فصفات الرب عزّ وجل اللازمة له لايجوز ان تفارقه وتباينه وحينئذ فمن الناس من لايسميها غيراً له ومن سماها غيرا له فذاته مستلزمة لهـا ليست الصفات فاعلة للذات ولا علة موجبة لهـا ولفظ واجب الوجود يراد به الموجود بنفسه الذي لافاعل له ولا علة فاعلة . وذات الرب عزّ وجل وصفاته واجبة الوجود بهذا الاعتبار ويراد به مع ذلك المستغنى عن محل يقوم به والذات بهذا المعنى واجبة دون الصفات ويراد به مالا تعلق له بغيره وهذا لاحقيقة له فان الرب تعالى له تعلق بمخلوقاته لاسيما عند هؤلاء الفلاسفة الدهرية الذين يقولون انه موجب بذاته للافلاك مستلزم لها فيجعلونه ملزوماً لمفعولاته فكيف ينكرون ان تكون ذاته ملزومة لصفاته وهؤلاء المتفلسفة اليونانيون الذين يسمون المشائين اتباع ارسطو صاحب التعاليم المنطق والطبيعي والرياضى والالهي يقولون ان موضوع العلم الطبيعي متعلق بالمادة في الذهن والخارج وهو الجسم واحكامه والثاني الرياضى وهو متعلق بالمادة في الخارج لافي الذهن فانه لايوجد عدد ولا مقدار في الخارج الاّ فى جسم فى الخارج اوعرض معدود اومقدر منفصل بخلاف الذهن فانه يجرد اعدادا ومقادير مجردة عن المعدودات والمقدورات . والثالث الذى يسمونه علم مابعد الطبيعة باعتبار السلوك العلمى وهو علم ما قبلها باعتبار الوجود العينى ويسمونه أيضاً العلم الالهي وموضوعه عنـدهم

المجرد عن المادة فى الذهن والخارج وهو الموجود من حيث هو موجود وانقسامه الى جوهر وعرض وانقسام الجوهر الى جسم وغير جسم وانقسام غير الجسم الى المادة والصورة والعقول والنفوس والعلة الاولى يسميها ارسطو واتباعه جوهراولا يسميها واجب الوجود، واما متأخروهم كابن سينا واتباعه يسمونها واجب الوجود ولا يسمونها جوهراً والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر اذ المقصود هنا ان هذه الامور التي يقولون هى موضوع العلم الالهي وهي المجردة عندهم عن المادة في الذهن والخارج هى عند التحقيق وجودها في الاذهان لافي الاعيان.فان الوجود العام الكلي لايوجد عاماً كلياً الا فى الاذهان لافي الاعيان كما ان الانسان العام الكلي والحيوان العام الكلي لايوجد عاماً كلياً الا في الذهن لا في الاعيان وقد بسط الكلام على هؤلاء فى غير هذا الموضع وبين، ان اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أقرب الى الحق في الامور الالهية منهم وهذه الامور مبسوطة فى موضع آخر ولكن نبهنا عليها لتعلقها هنا بقول هؤلاء النصارى ان صفات الرب الثلاث هى جوهرية دون غيرها وانهم ان عنوا بذلك مايعنيه هؤلاء بالذاتية فقولهم باطل مبنى على أصل باطل، فان تفريق هؤلاء اليونان في الصفات اللازمة بين الذاتى والعرضى اللازم للموجود والعرضى اللازم للماهية والعرضى اللازم للموصوف فرق باطل وقد ذكروا ثلاث فروق كلها باطلة كما تقدم. الاول الوسط والفرق الثاني تقدم الذاتى ذهنا ووجودا بخلاف اللازم العرضى. والثالث توقف الحقيقة على الذاتى وقد تبين بطلان هذا في غير هذا الموضع

والنصارى ليس مرادهم بالجوهرية مايريده هؤلاء بالذاتية فلهـذا لم نبسط الكلام عليه بل يقولون ان الثلاثة جواهر وهؤلاء المنطقيون يفرقون بين اللازم للماهيـة واللازم لوجودها بناء على ان في الخارج شيئين . الوجود وماهية اخرى غير الوجود . والكلام على هذا كله مبسوط فى موضع آخر . ومنها انه لو قدر ان صفات الموصوفات اللازمة لهـا تنقسم الى ذاتى مقوم وعرضى لازم وان صفات الرب سبحانه كذلك لم يكن تخصيص العلم بانه ذاتى اولى من القدرة فليس ذكر القائم بنفسه الحي العالم باولى من ذكر القائم بنفسه الحي القادر . والنصاري لما كانت الاقانيم عندهم ثلاثة وزعموا ان الشرع المنزل دل على ذلك وكانوا في ذلك مخالفين للشرع المنزل اليهم كما قد بسط فى موضعه . صار طائفة منهم يقولون موجود حى عالم وطائفة يقولون موجود عالم قادر فيجعلون القادر مكان الحي ويجعلون روح القدس هو القدرة وهذا القول وان كان أحسن فى المعنى لكن تفسير روح القدس بالقدرة في غاية البعـد الذى يظهر فساده لكل أحد ولا بد لهم من اثبات اقنوم الكلمة الذى يقولون تارة هي العلم وتارة هى الحـكمة ويسمونها تارة النطق كما سموها فى كتابهم هذا لان الذى اتحد بالمسيح عندهم هى أقنوم الكلمة فصاروا تارة يضمون اليها الحياة وتارة يضمون اليها القدرة والاب تارة يقولون هو الوجود . وتارة يقولون القائم بنفسه وتارة يقولون الذات وتسمى القائم بنفسه بالسريانية الكيان وتارة يقولون الجود وكل هذا من الحيرة والضلال لانهم لا يجدون ثلاث معاني هي المستحقة لان تكون جوهرية دون غيرها من الصفات سواء فسرت الجوهرية بانها جواهر اوبانهـا

ذاتية مقومة او بغير ذلك . ومنها قولهم تجرى مجرى أسمآء فان ارادوا بذلك أسمآء اعلام أو جامدة وسائر هاصفات فاسم الحي والعالم اسم مشتق يدل على معنى العلم والحياة كما يدل القدير على القدرة وان ارادوا انه يسمى بها فلله تعالى اسماء كثيرة فانه سبحانه له الاسماء الحسنى ومن اسمائه القدير والقدرة تستلزم من قدرته على المخلوقات ما لا يدل عليه العلم . وخلقه للمخلوقات يدل على قدرته ابلغ من دلالته على علمه واختصاصه بالقدرة اظهر من اختصاصه بالعلم حتى ان طائفة من النظار كابي الحسن الاشعرى وغيره يقول أخص وصفه القدرة على الاختراع فلا يوصف بذلك غيره . والجهم بن صفوان قبله يقول ليس في الوجود قادر غيره ولا لغيره قدرة . والاشعرى وان اثبت للمخلوق قدرة لكن يثبت قدرة لاتؤثر فى المقدور ولم يقل أحد من العقلآء ان اخص وصفه الحياة والعلم ولا ان غيره ليس بحي ولا عالم فكان جعل القدير اسما وغيره صفة ان كان الفرق حقا اولى من العكس فكيف اذا كان الفرق باطلا فان اسماءه تعالى التي يعرفها الناس هى اسماء وهى صفات في اصطلاح أهل العربية تدل على معانى هي صفاته القائمة به . فالحي يدل على الحياة والعليم يدل على العلم والقدير يدل على القدرة هذا مذهب سلف الامة وجماهيرها وجماهير الامم . ومن الناس فرقة شاذة تزعم ان هذه الاسماء لاتدل على معانى كاسمآء الاعلام وقد تنازع الناس فيما يسمى به سبحانه ويسمى به غيره كالحي والعليم والقدير . فالجمهور على انه حقيقة فيهما . وقالت طائفة كابى العباس الناشى انها حقيقة فى الرب عز وجل مجاز في المخلوق . وقالت طائفة عكس هؤلآء من الجهمية

والملاحـدة والمتفلسفة انها مجاز في الرب عز وجل حقيقة في المخلوق والاولون هي عندهم متواطئة وقد يسمونها مشككة لما فيها من التفاضل وبعضهم يقول هي مشتركة اشتراكا لفظيا

(فصل) واما قولهم كل صفة منها غير الاخرى فهذا ان ارادوا به ان صفات الرب سبحانه وتعالى قد تباينه وتنفصل عنه وهو حقيقة قولهم ويقولون مع ذلك انها متصلة به فهو جمع بين النقيضين وتمثيلهم بشعاع الشمس تمثيل باطل وهو حجة عليهم لالهم. فان الشعاع القائم بالهواء والارض والجبال والشجر والحيطان ليس هو قائم بذات الشمس • والقائم بذات الشمس ليس هو قائماً بالهواء والارض • فان قالوا بل مايقوم به من العلم يفيض منه على قلوب الانبياء علوم كما يفيض الشعاع من الشمس. قيل لهم لا اختصاص للمسيح بهـذا بل هذا قدر مشترك بينه وبين غيره من الانبياء وليس في هذا حلول ذات الرب ولا صفته القائمة به بشيء من مخلوقاته ولا ان العبد بما حل فيه من العلم والايمان يصير إلهـاً معبوداً وان أرادوا انها قائمة به وتسمى كل واحدة غير الاخرى • فهذا نزاع لفظي هل تسمى غيراً أولا تسمى غيراً. فان من الناس من يقول كل صفة للرب عزّ وجل فهي غير الاخرى ويقول الغيران ماجاز وجود أحدهما مع عدم الآخر . او ماجاز العلم باحدهما مع الجهل بالآخر. ومنهم من يقول ليست هي الاخرى ولا هي هي لان الغـيرين ماجاز وجود أحدهما مع عدم الآخر. او ماجاز مفارقة أحـدهما الآخر بزمان او مكان او وجود • والذي عليه سلف الامة وائمتها اذا قيل لهم علـم الله وكلام الله هل هو غير الله أم لا ؟ لم يطلقوا النفي ولا الاثبات فانه اذا

قيل لهم غيره اوهم انه مباين له • واذا قال ليس غيره اوهم انه هو بل يستفصل السائل فان أراد بقوله غيره انه مباين له منفصل عنه فصفات الموصوف لا تكون مباينة له منفصلة عنه وان كان مخلوقاً فكيف بصفات الخالق • وان أراد بالغير انها ليست هي هو فليست الصفة هي الموصوف فهي غيره بهذا الاعتبار واسم الرب تعالى اذا أطلق يتناول الذات المقدسة بما يستحقه من صفات الكمال فيمتنع وجود الذات عرية عن صفات الكمال. فاسم الله يتناول الذات الموصوفة بصفات الكمال وهذه الصفات ليست زائدة على هذا المسمى بل هي داخلة في المسمى ولكنها زائدة على الذات المجردة التي تثبتها نفاة الصفات فاولئك لما زعموا انه ذات مجردة قال هؤلاء بل الصفات زائدة على ما اثبتموه من الذات • واما في نفس الامر فليس هناك ذات مجردة تكون الصفات زائدة عليها بل الرب تعالى هو الذات المقدسة الموصوفه بصفات الكمال. وصفاته داخلة في مسمى اسمائه سبحانه وتعالى

(فصل) وقولهم فالاله واحد خالق واحد رب واحد هو حق في نفسه لكن قد نقضوه بقولهم في عقيدة ايمانهم نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد إله حق من إله حق من جوهر أبيه مساوي الاب في الجوهر فاثبتوا هنا إلهين ثم اثبتوا روح القدس إلهاً ثالثاً وقالوا انه مسجود له فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة ويقولون انما نثبت إلهاً واحداً وهو تناقض ظاهر وجمع بين النقيضين بين الاثبات والنفي • ولهذا قال طائفة من العقلاء ان عامة مقالات الناس يمكن تصورها الا مقالة النصارى وذلك ان الذين وضعوها لم يتصوروا ماقالوا بل تكلموا

بجهل وجمعوا فى كلامهم بين النقيضين ولهذا قال بعضهم لواجتمع عشر نصارى لتفرقوا عن أحـد عشر قولاً. وقال آخر لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً وامرأته قولا آخر وابنه قولا ثالثاً

(فصل) وقولهم لايتبعض ولايتجزى مناقض لما ذكروه في امانتهم ولما يمثلونه به فانهم يمثلونه بشعاع الشمس والشعاع يتبعض ويتجزى فان مايقوم منه بهذا الموضع بعض وجزء منـه ويمكن زوال بعضه مع بقاء بعض فانه اذا وضع على مطرح الشعاع شئ فصل مابين جانبيه وصار الشعاع الذي كان بينهما على ذلك الفوقاني فاصلا بين الشعاعين السافلين يبين ذلك ان الشعاع قائم بالارض والهواء وكل منهما متجزى متبعض وما قام بالمتبعض فهو متبعض فان الحال يتبـع المحل وذلك يستلزم التبعيض والتجزي فيما قام به. ويقولون أيضاً انه اتحد بالمسيح وانه صعد الى السماء وجلس عن يمين الاب وعنـدهم ان اللاهوت منذ اتحد بالناسوت لم يفارقه بل لمـا صعد الى السماء وجلس عن يمين الاب كان الصاعد عندهم هو المسيح الذي هو ناسوت ولاهوت اله تام وانسان تام فهم لايقولون ان الجالس عن يمين الاب هو الناسوت فقط بل اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت فاى تبعيض وتجزئة ابلغ من هذا وليس هذا من كلام الانبياء حتى يقال انله معنى لانفهمه بل هو من كلام اكابرهم الذي وضعوه وجعلوه عقيدة ايمـانهم فان كانوا تكلموا بما لايعقلونه فهم جهال لايجوز ان يتبعوا وان كانوا لايعقلون ما قالوه فلا يعقل احـد من كون اللاهوت المتحد بالناسوت

جلس عن يمين اللاهوت المجرد عن الاتحاد. الا ان هـذا اللاهوت المجرد منفصل مباين للاهوت المتحد وليس هو متصلاً به بل غايته ان يكون مماساً له بل يجب ان يكون الذى يماس اللاهوت المجرد هو الناسوت مع اللاهوت المتحد به فهـذا حقيقـة التبعيض والتجزئة مع انفصال أحد البعضين عن الآخر. وأيضاً فيقال لهم المتحد بالمسيح اهو ذات رب العالمين ام صـفة من صفاته فان كان هو الذات فهو الاب نفسه ويكون المسيح هو الاب نفسه وهذا مما اتفق النصارى على بطلانه فانهم يقولون هو الله وهو ابن الله كما حكى الله عنهم ولا يقولون هو الأب. والابن والاب عندهم هو الله وهذا من تناقضهم • وان قالوا المتحد بالمسيح صـفة الرب فصفة الرب لاتفارقه ولا يمكن اتحادها ولا حلولها في شئ دون الذات وايضاً فالصفة نفسها ليست هي الاله الخالق رب العالمين بل هي صفة ولا يقول عاقل ان كلام الله او علم الله أو حياة الله هي رب العالمين الذى خلق السموات والارض فلو قدر ان المسيح هو صفة الله نفسها لم يكن هو الله ولم يكن هو رب العالمين ولا خالق السموات والارض • والنصارى يقولون ان المسيح رب العالمين خالق كل شي وهو خالق آدم ومريم وان كان ابن آدم ومريم فانه خالق ذلك بلاهوته وهو ابن آدم ومريم بناسوته فلو قدر ان المسيح هو صفة الرب لم تكن الصفة هي الخالق فكيف والمسيح ليس هو صفة الله نفسها بل هو مخلوق بكلمة الله وسمى كلمة الله لان الله كونه بكن وقال تعالى (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ماكان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضي

أمراً فانما يقول له كن فيكون) وسماه روحه لانه خلقه من نفخ روح القدس فى ابنه لم يخلقه كما خلق غيره من اب آدمى قال الله تعالى (ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) وان قالوا المتحد به بعض ذلك دون بعض فقد قالوا بالتبعيض والتجزئة فهم بين أمرين • اما بطلان مذهبهم واما اعترافهم بالتبعيض والتجزئة مع بطلانه وأيضاً فقولهم اله حق من اله حق من جوهر ابيه مولود غير مخلوق مساو للاب في الجوهر ابن الله الوحيد المولود قبل كل الدهور يقال لهم هذا الابن المولود المساوى للاب في الجوهر الذى هو اله حق من اله حق هو صفة قائمة بغيرها او عين قائمة بنفسها فان كان الاول فالصفة ليست الهاً ولا هي خالقة ولا يقال لها مولودة من الله ولا انها مساوية لله في الجوهر ولم يسم قط احد من الانبياء ولا اتباع الانبياء صفات الله لاابناً له ولا ولدا ولا قال ان صفة الله تولدت منه ولا قال عاقل ان الصفة القديمة تولدت من الذات القديمة وهم يقولون ان المسيح اله خالق السموات والارض لا تحاد ناسوته بهذا الابن المولود قبل كل الدهور المساوى الاب فى الجوهر وهذا كله نعت عين قائمة بنفسها كالجواهر القائمة بنفسها لا نعت صفات قائمة بغيرها واذا كان كذلك التبعيض والتجزئة لازمة لقولهم فان القول بالولادة الطبيعية مستلزم لان يكون خرج منه جزء قال تعالى (وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق

بنات واصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسوداوهو كظيم اومن ينشا فى الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون) واما هذا المعنى الذي يثبته من يثبته من علماء النصارى ويسمونه ولادة وبنوة فيسمون الصفة القديمة الازلية القائمة بالموصوف ابنا ويسمونها تارة النطق وتارة الكلمة وتارة العلم وتارة الحكمة ويقولون هذا مولود من الله وابن الله فهذا لم يقله احد من الانبياء واتباعهم ولا من سائر العقلاء غير هؤلاء المبتدعة من النصارى ولا يفهم أحد من العقلاء من اسم الولادة والبنوة هذا المعنى . والأنبياء لم يطلقوا لفظ الابن الا على مخلوق وهم يقولون هو اب للمسيح بالطبع ولغيره بالوضع فلا يعقل جمهور العقلاء وغيرهم من هذا الا البنوة المعقولة بانفصال جزء من الوالد وهذا ينكره من ينكره من علمائهم لكنهم لم يتبعوا الانبياء ولم يقولوا ما تعقله العقلاء فضلوا فيما نقلوه عن الانبياء واضلوا اتباعهم فيما قالوه وعوامهم وان كانوا لا يقولون ان ولادة الله مثل ولادة الحيوان بانفصال شئ يوجد فيقولون ولادة لاهوتية بانفصال جزء من اللاهوت حل في الناسوت لا يعقل من الولادة غير هذا وأيضاً فقولهم ونؤمن بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب الذي هو مع الاب مسجود له وممجد ناطق في الانبياء فقولهم المنبثق من الاب الذي هو مسجود وممجد يمتنع ان يقال هذا في حياة الرب القائمة به فانها ليست منبثقة منه كسائر الصفات اذ لو كان القائم بنفسه منبثقا لكان علمه وقدرته وسائر صفاته منبثقة منه بل الانبثاق في

الكلام اظهر منه في الحياة فان الكلام يخرج من المتكلم واما الحياة فلا تخرج من الحي فلو كان في الصفات ما هو منبثق لكان الصفة التي يسمونها الابن ويقولون هي العلم والكلام او النطق والحكمة اولى بان تكون منبثقة من الحياة التي هي ابعد عن ذلك من الكلام وقد قالوا أيضاً انه مع الاب مسجود له وممجد والصفة القائمة بالرب ليست معه مسجودا لها وقالوا هو ناطق فى الانبياء وصفة الرب القائمة به لا تنطق في الانبياء بل هذا كله صفة روح القدس الذى يجعله الله في قلوب الانبياء أو صفة ملك من الملائكة كجبريل فاذا كان هذا منبثقا من الاب والانبثاق الخروج فاى تبعيض وتجزئة ابلغ من هذا واذا شبهوه بانبثاق الشعاع من الشمس كان هذا باطلا من وجوده منها ان الشعاع عرض قائم بالهوآء والارض وليس جوهراً قائماً بنفسه وهذا عندهم حي مسجود له وهو جوهر ومنها ان ذلك الشعاع القائم بالهوآء والارض ليس صفة للشمس ولا قائماً بها وحياة الرب صفة قائمة به ومنها ان الانبثاق خصوا به روح القدس ولم يقولوا فى الكلمة انها منبثقة والانبثاق لو كان حقا لكان الكلام اشبه منه بالحياة وكلما تدبر العاقل كلامهم فى الامانة وغيرها وجد فيه من التناقض والفساد ما لا يخفى الا على اجهل العباد ووجد فيه من مناقضة التوراة والانجيل وسائر كتب الله ما لا يخفي على من تدبر هذا وهذا ووجد فيه من مناقضة صريح المعقول مالا يخفى الا على معاند اوجهول فقولهم متناقض في نفسه مخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول عن جميع الانبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه اجمعين

(فصل) قالوا واما تجسم كلمة الله الخالقة بانسان مخلوق وولادتهما معاً أي الكلمة مع الناسوت فانه لم يخاطب الباري أحداً من الانبياء الا وحياً أو من وراء حجاب حسب ماجاء في هذا الكتاب بقوله (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء) واذا كانت اللطائف لاتظهر الا في الكثائف مثل روح القدس وغيرها فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف والكثائف تظهر في غير كثيف كلا . ولذلك ظهر في عيسى بن مريم إذ الانسان اجل ماخلقه الله ولهذا خاطب الخلق وشاهدوا منه ماشاهدوا* والجواب من طرق . أحدها انه يقال هذا الذى ذكروه وادعوا انه تجسم كلمة الله الخالقه بانسان مخلوق وولادتهما معاً اى الكلمة مع الناسوت وهو الذى يعبر عنه باتحاد اللاهوت بالناسوت هو امر ممتنع في صريح العقل وما علم انه ممتنع في صريح العقل لم يجز ان يخبر به رسول فان الرسل انما تخبر بما لايعلم بالعقل انه ممتنع فاما ما يعلم بصريح العقل انه ممتنع فالرسل منزهون عن الاخبار عنه* الطريق الثاني ان الاخبار الالهية صريحة بان المسيح عبد الله ليس بخالق العالم . والنصارى يقولون هو اله تام وانسان تام* الطريق الثالث الكلام فيما ذكروه فاما الطريق الاول فمن وجوه أحدها ان يقال المتحد بالمسيح اما ان يكون هو الذات المتصفة بالكلام أو الكلام فقط وان شئت قلت المتحد به اما الكلام مع الذات واما الكلام بدون الذات فان كان المتحد به الكلام مع الذات كان المسيح هو الاب وهو الابن وهو روح القدس وكان المسيح هو الاقانيم الثلاثة وهذا باطل باتفاق النصارى وسائر أهل الملل و باتفاق الكتب الالهية وباطل

بصريح العقل كما سنذكره ان شاء الله . وان كان المتحد به هو الكلمة فقط فالكلمة صفة والصفة لاتقوم بغير موصوفها والصفة ليست إلهاً خالقاً والمسيح عندهم اله خالق فبطل قولهم على التقديرين وان قالوا المتحد الموصوف بالصفة فالموصوف هو الاب والمسيح عندهم ليس هو الاب • وان قالوا الصفة فقط فالصفة لاتفارق الموصوف ولاتقوم بغير الموصوف والصفة لاتخلق ولا ترزق وليست الاله . والصفة لا تقعد عن يمين الموصوف والمسيح عندهم صعد الى السماء وجلس عن يمين ابيه واما كونه هو الاب فقط وهو الذات المجردة عن الصفات فهذا أشد استحالة وليس فيهم من يقول بهذا الوجه • الثاني ان الذات المتحدة بناسوت المسيح مع ناسوت المسيح ان كانتا بعد الاتحاد ذاتين وهما جوهران كما كانا قبل الاتحاد فليس ذلك باتحاد . وان قيل صارا جوهرا واحدا كما يقول من يقول منهم انهما صارا كالنار مع الحديدة او اللبن مع الماء فهذا يستلزم استحالة كل منهما وانقلاب صفة كل منهما بل حقيقته كما استحال الماء واللبن اذا اختلطا والنار مع الحديدة وحينئذ فيلزم ان يكون اللاهوت استحال وتبدلت صفته وحقيقته • والاستحالة لا تكون الا بعدم شيء ووجود آخر فيلزم عدم شيء من القديم الواجب الوجود بنفسه • وما وجب قدمه استحال عدمه وما وجب وجوده امتنع عدمه فان القديم لايكون قديماً الا لوجوبه بنفسه او لكونه لازما للواجب بنفسه إذ لو لم يكن لازما له بل كان غير لازم له لم يكن قديماً بقدمه . والواجب بنفسه يمتنع عدمه ولازمه لايعدم الا بعدمه فانه يلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم . الوجه الثالث ان يقال الناس لهم فى كلام

الله عز وجل عدة اقوال وقول النصارى باطل على جميع الاقوال التى قالها الناس في كلام الله فثبت بطلانه على كل تقدير وذلك ان كلام الله سبحانه اما ان يكون صفة له قائماً به واما ان يكون مخلوقا له بائنا عنه واما ان يكون لاهذا ولا هذا بل هو مايوجد فى النفوس وهذا الثالث هو ابعد الاقوال عن اقوال الانبياء وهو قول من يقول من الفلاسفة والصابئة ان الرب لاتقوم به الصفات وليس هو خالقاً باختياره ويقولون مع ذلك انه ليس عالماً بالجزئيات ولا قادراً على تغير الافلاك بل كلامه عندهم مايفيض على النفوس وربما سموه كلاما بلسان الحال وهؤلاء ينفون الكلام عن الله ويقولون ليس بمتكلم وقد يقولون متكلم مجازاً لكن لما نطقت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام اطلقه من دخل في الملل منهم ثم فسره بمثل هذا وهذا أحد قولى الجهمية والقول الثانى انه متكلم حقيقة لكن كلامه مخلوق خلقه فى غيره وهو قول المعتزلة وغيرهم والقول الآخر للجهمية وعلى هذين القولين فليس لله كلام قائم به حتى يتحد بالمسيح او يحل به والمخلوق عرض من الاعراض ليس باله خالق وكثير من أهل الكتاب اليهود والنصارى من يقول بهذا وهذا • واما القول الاول وهو قول سلف الامة وائمتها وجمهورها وقول كثير من سلف أهل الكتاب وجمورهم فاما ان يقال الكلام قديم النوع بمعنى انه لم يزل متكلما بمشيئة او قديم العين واما ان يقال ليس بقديم بل هو حادث والاول هو القول المعروف عن ائمة السنة والحديث . واما القائلون بقدم العين فهم يقولون الكلام لايتعلق بمشيئته وقدرته لاعتقادهم انه لاتحله الحوادث وما كان بمشيئته وقدرته لا يكون الا

حادثاً ولهم قولان . منهم من قال القديم معنى واحد او خمسة معان وذلك المعنى يكون أمراً ونهياً وخبراً وهذه صفات له لا أقسام له وان عبر عنه بالعربية كان قرانا وان عبر عنه بالعبرية كان توراة. ومنهم من قال هو حروف او حروف واصوات قديمة الاعيان والقول الثالث انه متكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته قالوا وهو حادث ويمتنع أن يكون قديماً لامتناع كون المقدور المراد قديماً وهذه الطوائف بنوا أقوالهم على ان مالم يخل عن الحوادث فهو حادث لامتناع وجود مالانهاية له عندهم واذا امتنع ذلك تعين ان يكون لنوع الحوادث ابتداء كما للحادث المعين ابتداء وما لم يسبق الحوادث كان معه او بعده فيكون حادثاً فلهذا منع هؤلاء ان تكون كلمات الله لانهاية لها في الازل وان كان من هؤلاء من يقول بدوام وجودها في الابد.واما القول بان كلمات الله لانهاية لها مع انها قائمة بذاته فهو القول المأثور عن ائمة السلف وهو قول اكثر أهل الحديث وكثير من أهل الكلام ومن الفلاسفة وهذه الاقوال قد بسط الكلام عليها في غير موضع والمقصود هنا ان قول النصارى باطل في كل قول من هذه الاقوال الاربعة كما تقدم بيان بطلانه على ذينك القولين فانه على قول الجمهور الذين يجعلون لله كلمات كثيرة اما كلمات لانهاية لها ولم تزل واما كلمات لها ابتداء واذا كان له كلمات كثيرة فالمسيح ليس هو الكلمات التي لانهاية لها وليس هو كلمات كثيرة بل انما خلق بكلمة من كلمات الله كما في الكتب الالهية القرآن والتوراة انه يخلق الاشياء بكلماته قال تعالى في قصة بشارة مريم بالمسيح (قالت رب انى يكون لي ولد ولم

يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) وقال أيضاً(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وقال(ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) وقد أخبر الله في القرآن بخلقه للاشياء بكلماته في غير موضع بقوله انما أمره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون وفي التوراة ليكن يوم الاحد ليكن كذا ليكن كذا وأيضا فعلى قول هؤلاء وعلى قول من يجعل كلامه اما معنى واحد واما خمسة معانى واما حروف واصوات هى شيء واحد فكلهم يقولون ان الكلام صفة قائمة بالموصوف لايتصور ان يكون جوهراً قائماً بنفسه ولا يتصور ان يكون خالقاً ولا للكلام مشيئة ولا هو جوهر آخر غير جوهر المتكلم ولا يتحد بغير المتكلم بل جمهورهم يقولون انه لايحل أيضاً بغير المتكلم ومن قال بالحلول منهم فلا يقول ان الحال جوهر ولا إله خالق • فتبين ان ماقاله النصارى باطل على جميع الاقوال التي قالها الناس فى كلام الله مع ان اكثر هذه الاقوال خطأ ولما كان قول النصارى فساده أظهر للعقلاء كان الخطأ الذي في أكثر هذه الاقوال قد خفى على العقلاء الذين قالوها ولم يخف عليهم فساد قول النصارى • وأيضاً فالذين قالوا بالحلول من الغلاة الذين يكفرهم المسلمون كالذين يقولون بحلوله فى بعض أهل البيت او بعض المشايخ هم وان كانوا كفاراً شاركوا النصارى في الحلول ولكن لم يقولوا ان الكلمة التى حلت هي الاله الخالق فيتناقضون تناقضاً ظاهراً مثل مافى قول النصارى • ومن التناقض

البين ماليس في قول هؤلاء وان كان في بعض الوجوه قولهم شر من قول النصارى • الوجه الرابع ان يقال لو كان المسيح نفس كلمة الله فكلمة الله ليست هي الاله الخالق للسموات والارض ولا هي تغفر الذنوب وتجزي الناس باعمالهم سواء كانت كلمته صفة له أم مخلوقة له كسائر صفاته ومخلوقاته فان علم الله وقدرته وحياته لم تخلق العالم ولا يقول أحد ياعلم الله اغفر لي وياقدرة الله توبى علي وياكلام الله ارحمنى ولا يقول يانوراته او يا انجيله او ياقرآنه اغفر لي وارحمنى وانما يدعو الله سبحانه وهو سبحانه متصف بصفات الكمال فكيف والمسيح ليس هو نفس الكلام فان المسيح جوهر قائم بنفسه • والكلام صفة قائمة بالمتكلم وليس هو نفس الرب المتكلم فان الرب المتكلم هو الذى يسمونه الاب والمسيح ليس هو الاب عندهم بل الابن فضلوا في قولهم من جهات منها جعل الاقانيم ثلاثة وصفات الله لاتختص بثلاثة • ومنها جعل الصفة خالقة والصفة لاتخلق • ومنها جعلهم المسيح نفس الكلمة والمسيح خلق بالكلمة فقيل له كن فكان كما سيأتى ان شاء الله تعالى تفسير ذلك وانما خص المسيح بتسميته كلمة الله دون سائر البشر لأن سائر البشر خلقوا على الوجه المعتاد في المخلوقات بخلق الواحد من ذرية آدم من نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينفخ فيه الروح وخلقوا من ماء الابوين الاب والام والمسيح عليه السلام لم يخلق من ماء رجل بل لما نفخ روح القدس في امه حبلت به وقال الله له كن فكان ولهذا شبهه الله بآدم في قوله (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) فان آدم عليه السلام خلق من تراب وماء فصار طينا ثم ايبس الطين ثم قال له كن

فكان وهو حين نفخ الروح فيه صار بشراً تاماً لم يحتج بعد ذلك الى ما احتاج اليه اولاده بعد نفخ الروح فان الجنين بعد نفخ الروح يكمل خلق جسده فى بطن امه فيبقى في بطنها نحو خمسة اشهر ثم يخرج طفلا يرتضع ثم يكبر شيئاً بعد شيء وآدم عليه السلام حين خلق جسده قيل له كن فكان بشراً تاماً بنفخ الروح فيه ولكن لم يسم كلمة الله لان جسده خلق من التراب والماء وبقي مدة طويلة يقال اربعين سنة فلم يكن خلق جسده ابداعياً في وقت واحد بل خلق شيئاً فشيئاً وخلق الحيوان من الطين معتاد في الجملة • واما المسيح عليه السلام فخلق جسده خلقاً ابداعياً بنفس نفخ روح القدس في امه قيل له كن فكان . فكان له من الاختصاص بكونه خلق بكلمة الله مالم يكن لغيره من البشر ومن الامر المعتاد فى لغة العرب وغيرهم ان الاسم العام اذا كان له نوعان خصت أحدَ النوعين باسم وابقت الاسم العام مختصاً بالنوع كلفظ الدابة والحيوان فانه عام في كل مايدب وكل حيوان ثم لما كان للآدمي اسم يخصه بقي كلفظ الحيوان يختص به البهيم • ولفظ الدابة يختص به الخيل أو هي والبغال والحمير ونحو ذلك وكذلك لفظ الجائز والممكن وذوى الارحام وامثال ذلك فلما كان لغير المسيح مايختص به ابقى اسم الكلمة العامة مختصاً بالمسيح • الطريق الثاني ان ما ذكروه حجة عليهم فان الله اذا لم يكلم أحداً من الانبياء الا وحياً أو من وراء حجاب فالمسيح عيسى بن مريم يجب ان لا يكلمه الا وحياً أو من وراء حجاب او يرسل اليه رسولا وقوله تعالى (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب) يعم كل بشر المسيح وغيره واذا امتنع ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب

فامتناع ان يتحد به أو يحل فيه اولى واحرى فان ما اتحد به وحل فيه كلمة من غير حجاب بين اللاهوت والناسوت وهم قد سلموا ان الله لايكلم بشراً الا من وراء حجاب • الوجه الثالث ان قوله (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً اومن وراء حجاب) يقتضى ان يكون الحجاب حجاباً يحجب البشر كما حجب موسى فيقتضى ذلك انهم لايرونه فى الدنيا وان كلمهم كما انه كلم موسى ولم يره موسى بل سأل الرؤية فقال (رب أرنى انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين) قيل انا اول من آمن انه لايراك أحد في الدنيا وعندهم في التوراة ان الانسان لايمكنه ان يرى الله في الدنيا فيعيش وكذلك قال عيسى لما سألوه عن رؤية الله فقال ان الله لم يره أحد قط وهذا معروف عندهم واذا كان كذلك فلا بد ان يكون الحجاب الحاجب للبشر ليس هو من البشر وهذا يبطل قول النصاري فانهم يقولون ان الرب احتجب بحجاب بشرى وهو الجسد الذي ولدته مريم فاتخذه حجابا وكلم الناس من ورائه • والقرآن يدل على ان الحجاب ليس من البشر يبين هذا الوجه الرابع وهو ان ذلك الجسد الذى ولدته مريم هو من جنس أجسام بنى آدم فان جاز ان يتحد به ويحل فيه ويطيق الجسد البشري ذلك في الدنيا بما يجعله الله فيه من القوة جاز ان يتحد بغيره من الاجسام بما يجعله فيه من القوة واذا جاز ان يتحد به جاز ان يكلمها بغير حجاب بينه وبينها بطريق الاولى والاحرى وهذا خلاف ما ذكروه وخلاف

القرآن فتبين ان نفي الانبياء لان يراه المرء في الدنيا هو نفى لمماسته ببشر بطريق الاولى والاحرى . والناسوت المسيحي هو بشر فاذا لم يمكنه ان يرى الله فكيف يمكنه ان يتحد به ويماسه ويصير هو واياه كاللبن والماء والنار والحديد أو كالروح والبدن • الوجه الخامس انه من المعلوم ان رؤية الآدمى له أيسر من اتحاده به وحلوله فيه واولى بالامكان فاذا كانت الرؤية فى الدنيا قد نفاها الله ومنعها على السن رسله موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه فكيف يجوز اتصاله بالبشر واتحاده به • الوجه السادس انه لو كان حلوله فى البشر مما هو ممكن وواقع لم يكن لاختصاص واحد من البشر بذلك دون من قبله وبعده فان القدرة شاملة والمقتضى وهو وجود الله وحاجة الخلق موجود ولهذا لما كانت الرسالة ممكنة ارسل من البشر غير واحد ولما كان سماع كلامه للبشر ممكنا سمع كلامه غير واحد ورؤيته فى الدنيا بالابصار لم تقع لاحد باتفاق علماء المسلمين لكن لهم فى النبي صلى الله عليه وسلم قولان والذى عليه اكابر العلماء وجمهورهم انه لم يره بعينه كما دل على ذلك الكتاب والسنة. والخلة لما كانت ممكنة اتخذ ابراهيم خليلا واتخذ محمدا أيضاً خليلا كما في الصحيحين من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وقال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعنى نفسه • الوجه السابع قولهم واذا كانت اللطائف لاتظهر الا في الكثائف مثل الروح وغيرها فكلمة الله التى بها خلقت الكثائف تظهر فى غير كثيف كلا؟ • فيقال لهم ظهور اللطائف في الكثائف

كلام مجمل فان اردتم ان روح الانسان تظهر في جسده او الجني يتكلم على لسان المصروع ونحو ذلك فليس هذا مما نحن فيه • وان اردتم ان الله تعالى نفسه يحل في البشر فهذا محل النزاع فاين الدليل عليه وانتم لم تذكروا الا مايدل على نقيض ذلك • الوجه الثامن ان هذا أمر لم يدل عليه عقل ولا نقل ولا نطق نبي من الانبياء بان الله يحل في بشر ولا ادعى صادق قط حلول الرب فيه وانما يدعي الكذابون كالمسيح الدجال الذي يظهر في آخر الزمان ويدعي الالهية فينزل الله تبارك وتعالى عيسى بن مريم مسيح الهدى فيقتل مسيحُ الهدى الذي ادعيت فيه الالهية بالباطل المسيح الدجال الذي ادعي الالهية بالباطل ويبين ان البشر لايحل فيه رب العالمين ولهذا لما انذر النبي صلى الله عليه وسلم بالمسيح الدجال وقال مامن نبي الا وقد انذر أمته المسيح الدجال حتى نوح انذر قومه به وذكر النبي صلى الله عليه وسلم له ثلاث دلائل ظاهرة تظهر لكل مسلم تبين كذبه • أحدها قوله مكتوب بين عينيه كافر ك ف ر ويقرأه كل مؤمن قارى وغير قاري • الثاني قوله واعلموا ان أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت فبين ان الله لايراه أحد في الدنيا بعينه وكل بشر فانه يرى في الدنيا بالعين فعلم ان الله لايتجسد ببشر • الثالث قوله إنه اعور وان ربكم ليس باعور ودلائل نفي الربوبية عنه كثيرة لكن لما كان حلول اللاهوت في البشر واتحاده به مذهباً ضل به طوائف كثيرون من بني آدم النصارى وغيرهم وكان المسيح الدجال يأتي بخوارق عظيمة والنصارى احتجوا على الهية المسيح بمثل ذلك ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من علامات كذبه اموراً ظاهرة لايحتاج فيها

الى بيان موارد النزاع التي ضل فيها خلق كثير من الآدميين فان كثيراً من الناس بل اكثرهم تدهشهم الخوارق حتي يصدقوا صاحبها قبل النظر في امكان دعواه واذا صدقوه صدقوا النصارى فى دعوى الهية المسيح وصدقوا أيضاً من ادعي الحلول والاتحاد في بعض المشائخ أو بعض أهل البيت أو غيرهم من أهل الافك والفجور وبهذا يظهر الجواب عما يورده بعض اهل الكلام كالرازى على هذا الحديث حيث قالوا دلائل كون الدجال ليس هو الله ظاهرة فكيف يحتج النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله انه اعور وان ربكم ليس باعور وهذا السؤال يدل على جهل قائله بما يقع فيه بنوآدم من الضلال وبالادلة البينة التى تبين فساد الاقوال الباطلة والا فاذا كان بنوا اسرائيل في عهد موسى ظنوا ان العجل هو إله موسى فقالوا هذا الهكم وإله موسى وظنوا ان موسى نسيه والنصارى مع كثرتهم يقولون ان المسيح هو الله وفي المنتسبين الى القبلة خلق كثير يقولون ذلك فى كثير من المشائخ او اهل البيت حتى ان كثيراً منا كابرشيوخ المعرفة والتصوف يجعلون هذا نهاية التحقيق والتوحيد وهو ان يكون الموحد هو الموحد وينشدون .

ماوحد الواحد من واحد * اذ كل من وحده جاحد
توحيد من يخبر عن نعته * عارية ابطلها الواحد
توحيده اياه توحيده * ونعت من ينعته لاحد

فكيف يستبعد مع اظهار الدجال هذه الخوارق العظيمة ان يعتقد فيه انه الله وهو يقول انا الله وقد اعتقد ذلك فيمن لم يظهر فيه مثل

خوارقه من الكذابين وفيمن لم يقل انا الله كالمسيح وسائر الأنبياء والصالحين • الوجه العاشر قولهم فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف تظهر في غير كثيف كلا • فيقال لهم كلمة الله التي يدعون ظهورها في المسيح اهي كلام الله الذي هو صفته او ذات الله المتكلمة او مجموعهما • فان قلتم الظاهر فيه نفس الكلام فهذا يراد به شيئان ان اريد به ان الله انزل كلامه على المسيح كما انزله على غيره من الرسل فهذا حق اتفق عليه اهل الايمان ونطق به القرآن • وان أريد به ان كلام الله فارق ذاته وحل في المسيح او غيره فهو باطل مع ان هذا لا ينفع النصارى فان المسيح عندهم إله خلق السموات والارض وهو عندهم ابن آدم وخالق آدم وابن مريم وخالق مريم ابنها بناسوته وخالقها بلاهوته • وان أرادوا بظهور الكلمة ظهور ذات الله او ظهور ذاته وكلامه في الكثيف الذي هو الانسان فهذا أيضا يراد به ظهور نوره في قلوب المؤمنين كما قال تعالى الله نور السموات والارض الى قوله كوكب دري الآيات وكما ظهر الله من طور سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وكما تجلى لابراهيم كما ذكره في التوراة فهذا لا يختص بالمسيح بل هو كغيره كما هو له • وان أرادوا ان ذات الرب حلت في المسيح أو في غيره فهذا محل النزاع فاين دليلهم على امكان ذلك ثم وقوعه مع ان جماهير العقلاء من أهل الملل وغيرهم يقولون هذا غير واقع بل هو ممتنع • الوجه الحادي عشر قولهم فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف تظهر في غير كثيف كلا كلام باطل • فان ظهور ما يظهر من الامور الالهية اذا أمكن ظهوره فظهوره في اللطيف اولى من ظهوره في الكثيف فان الملائكة تنزل

بالوحي على الانبياء عليهم السلام وتتلقى كلام الله من الله وتنزل به على
الانبياء عليهم السلام فيكون وصول كلام الله الى الملائكة قبل وصوله الى
البشر وهم الوسائط كما قال تعالى (أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء)
والله تعالى ايد رسله من البشر حتى اطاقوا التلقي عن الملائكة وكانت
الملائكة تاتيهم احيانا في غير الصورة البشرية واحيانا في الصورة البشرية
فكان ظهور الامور الالهية باللطائف ووصولها اليهم أولى منه بالكثائف
ولو جاز ان يتحد الرب سبحانه بحي من الاحياء ويحل فيه لكان حلوله
في ملك من الملائكة واتحاده به أولى من حلوله واتحاده بواحد من البشر ٠
الوجه الثاني عشر ان الناسوت المسيحي عندهم الذي اتحد به هو البدن
والروح معا فان المسيح كان له بدن وروح كما لسائر البشر واتحد به
عندهم اللاهوت فهو عندهم اسم يقع على بدن وروح آدميين وعلى
اللاهوت وحينئذ فاللاهوت على رأيهم انما اتحد فى لطيف وهو الروح
وكثيف وهو البدن لم يظهر فى كثيف فقط ولولا اللطيف الذى كان
مع الكثيف وهو الروح لم يكن للكثيف فضيلة ولا شرف ٠ الوجه
الثالث عشر انهم يشبهون اتحاد اللاهوت بالناسوت باتحاد الروح بالبدن
كما شبهوا هنا ظهوره فيه بظهور الروح في البدن وحينئذ فمن المعلوم ان
مايصيب البدن من الآلام تتألم به الروح وماتتألم به الروح يتألم به البدن
فيلزمهم ان يكون الناسوت لما صاب وتألم وتوجع الوجع الشديد كان
اللاهوت أيضاً متألماً متوجعاً وقد خاطبتُ بهذا بعض النصارى فقال لى
الروح بسيطة اي لايلحقها الم فقلت له فما تقول في أرواح الكفار بعد
الموت امنعمة او معذبة ٠ فقال هي في العذاب فقلت فعلم ان الروح المفارقة

تنعم وتعذب فاذا شبهتم اللاهوت في الناسوت بالروح في البدن لزم ان تتألم
اذا تألم الناسوت كما تتألم الروح اذا تألم البدن فاعترف هو وغيره بلزوم ذلك
الوجه الرابع عشر ان قولهم واذا كانت اللطائف لا تظهر الا في الكثائف
فكلمة الله لا تظهر الا في كثيف كلام تركيب فاسد لا دلالة فيه وانما
يدل اذا بينوا ان كل لطيف يظهر في كثيف ولا يظهر في غيره حتى
يقال فلهذا ظهر الله في كثيف ولم يظهر في لطيف والا فاذا قيل انه لا يحل
في لطيف ولا كثيف او قيل انه يحل فيهما بطل قولهم بوجوب حلوله في المسيح
الكثيف دون اللطيف وهم لم يؤلفوا الحجة تأليفاً منتجاً ولا دلوا على مقدماتها
بدليل فلا اتوا بصورة الدليل ولا مادته بل مغاليط لا تروج الا على جاهل
يقلدهم • ولا يلزم من حلول الروح في البدن ان يحل كل شيء في البدن
بل هذه دعوى مجردة وارواح بني آدم تظهر في ابدانهم ولا تظهر في
ابدان البهائم بل ولا في الجن • والملائكة تتصور في صورة الآدميين
وكذلك الجن والانسان لا يظهر في غير صورة الانسان فاي دليل من
كلامهم على ان الرب يحل في الانسان الكثيف ولا يحل في اللطيف
والقوم شرعوا يحتجون على تجسيم كلمة الله الخالقة فقالوا • واما تجسيم
كلمة الله الخالقة بانسان مخلوق وولادتهما معا أي الكلمة مع الناسوت
فان الله لم يكلم أحدا من الانبياء الا وحيا او من وراء حجاب • وليس
فيما ذكروه قط دلالة لا قطعية ولا ظنية على تجسيم كلمة الله الخالقة وولادتها
مع الناسوت • الوجه الخامس عشر انهم قالوا واما تجسيم كلمة الله الخالقة
ثم قالوا فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف فتارة يجعلونها خالقة وتارة
يجعلونها مخلوقا بها ومعلوم ان الخالق ليس هو المخلوق به والمخلوق به

ليس هو الخالق فان كانت الكلمة خالقة فهي خلقت الاشياء ولم تخلق الاشياء بها وان كانت الاشياء خلقت بها فلم تخلق الاشياء بل خلقت الاشياء بها ولو قالوا ان الاشياء خلقت بها بمعنى ان الله اذا اراد شيئاً فانما يقول له كن فيكون لكان هذا حقاً لكنهم يجعلونها خالقة • مع قولهم بما يناقض ذلك • الوجه السادس عشر ان يقال لهم اذا كان الله لم تخاطب بشرا إلا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء . فتكليمه للبشر بالوحي ومن وراء حجاب كما كلم موسى. وبارسال ملك كما ارسل الملائكة اما ان يكون كافيا في حصول مراد الرب من الرسالة الى عباده او ليس كافيا بل لابد من حلوله نفسه في بشر فان كان ذلك كافيا امكن ان يكون المسيح مثل غيره فيوحي الله اليه او يرسل اليه ملكا فيوحي باذن الله مايشاء او يكلمه من وراء حجاب كما كلم موسى وحينئذ فلا حاجة به الى اتحاده ببشر مخلوق • وان كان المتكلم ليس كافيا وجب ان يتحد بسائر الانبيآء كما اتحد بالمسيح فيتحد بنوح وابراهيم وموسى وداود وغيرهم يبين هذا الوجه السابع عشر وهو انه من المعلوم ان الانبيآء الذين كانوا قبل المسيح افضل من عوام النصاري الذين كانوا بعد المسيح وافضل من اليهود الذين كذبوا المسيح فاذا كان الرب قد يفضل باتحاده في المسيح حتى كلم عباده بنفسه فيتحد بالمسيح محتجبا ببدنه الكثيف وكلم بنفسه اليهود المكذبين للمسيح وعوام النصارى وسائر من كلمه المسيح فكان ان يكلم من هم افضل من هؤلآء من الانبياء والصالحين بنفسه اولى واحرى مثل ان يتحد بابراهيم الخليل فيكلم اسحق ويعقوب ولوطا محتجبا ببدن الخليل او

يتحد بيعقوب فيكلم اولاده او غيرهم محتجبا ببدن يعقوب او يتحد بموسى
ابن عمران فيكلم هارون ويوشع بن نون وغيرهما محتجبا ببدن موسى
فاذا هو كان سبحانه لم يفعل ذلك اما لامتناع ذلك واما لان عزته
وحكمته اعلى من ذلك مع عدم الحاجة الى ذلك علم انه لا يفعل
ذلك فى المسيح بطريق الاولى والاحرى • الوجه الثامن عشر انه
اذا امكنه ان يتحد ببشر فاتحاده بملك من الملائكة اولى واحرى
وحينئذ فقد كان اتحاده بجبريل الذى ارسله الى الانبياء اولى من
اتحاده ببشر يخاطب اليهود وعوام النصارى

(فصل) قالوا ولذلك ظهر في عيسى بن مريم اذ الانسان اجل ما
خلقه الله ولهذا خاطب الخلق وشاهدوا منه ماشاهدوا * فيقال ان ادعيتم
ظهوره في عيسى كما ظهر في ابراهيم وموسى ومحمد صلوات الله عليهم
وسلامه وكما يظهر فى بيوته التى اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه
وذلك بظهور نوره ومعرفته وذكر اسمائه وعبادته ونحو ذلك من غير
حلول ذاته في البشر ولا اتحاده به فهذا امر مشترك بين المسيح وغيره
فلا اختصاص للمسيح بهذا وهذا ايضا قد يسمى حلولا وعندهم ان
الله يحل فى الصالحين وهذا مذكور عندهم فى بعض الكتب الالهية
كما في كتبهم في المزمور الرابع من الزبور يقول داود عليه السلام
فى مناجاته لربه وليفرح المتوكلون عليك الى الابد ويبتهجون وتحل
فيهم ويفتخرون فاخبر انه يحل فى الصالحين المذكورين فعلم ان هذا
لا اختصاص للمسيح به وليس المراد بهذا باتفاقهم واتفاق المسلمين ان
ذات الله نفسه تتحد بالبشر ويصير اللاهوت والناسوت كالنار والحديد

والمساء والابن ونحو ذلك مما يمثلون به الاتحاد بل هذا يراد به حلول الايمان به ومعرفته ومحبته وذكره وعبادته ونوره وهداه وقد يعبر عن ذلك بحلول المثال العلمي كما قال تعالى (وهو الله في السموات وفي الارض وله المثل الاعلى في السموات والارض) فهو سبحانه له المثل الاعلى في قلوب اهل السموات واهل الارض ومن هذا الباب ما يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه قال يقول الله انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت اني شفتاه فاخبر ان شفتيه تتحرك به اي باسمه وكذلك قوله في الحديث الصحيح عبدي مرضت فلم تعدني فيقول العبد رب كيف اعودك وانت رب العالمين فيقول اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده فقال لوجدتني عنده ولم يقل لوجدتني اياه وهو عنده أي في قلبه والذي في قلبه المثال العلمي وقال تعالى عبدي جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول اما علمت ان عبدي فلاناً جاع فلو اطعمته لوجدت ذلك عندي ولم يقل لوجدتني قد اكلته وكذلك قوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ماافترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وفي رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته وهذا

الحديث قد يحتج به القائلون بالحلول العام او الاتحاد العام او وحدة الوجود وقد يحتج به من يقول بالخاص من ذلك كاشباه النصارى والحديث حجة على الفريقين فانه قال من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب فاثبت ثلاثة. وليا له وعدوا يعادي وليا له وميز بين نفسه وبين وليه وعدو وليه فقال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ولكن دل ذلك على ان وليه الذي والاه فصار يحب ما يحب ويبغض ما يبغض ويوالى من يوالى ويعادى من يعادى فيكون الرب مؤذناً بالحرب لمن عاداه بانه معاد لله ثم قال تعالى وما تقرب الى عبدى بمثل اداء ما افترضت عليه ففرق بين العبد المتقرب والرب المتقرب اليه ثم قال ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فبين انه يحبه بعد تقربه بالنوافل والفرائض ثم قال فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وعند أهل الحلول والاتحاد العام أو الوحدة هو صدره وبطنه وظهره ورأسه وشعره وهو كل شيء او في كل شيء قبل التقرب وبعده وعند الخاص صار هو وهو كالنار والحديد والماء واللبن لايختص بذلك آلة الادراك والفعل ثم قال تعالى فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وعلى قول هؤلاء الرب هو الذي يسمع ويبصر ويبطش ويمشي والرسول انما قال فبي ثم قال وائن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه فجعل العبد سائلا مستعيذا والرب مسؤلا مستعاذا به وهذا يناقض الاتحاد وقوله فبي يسمع مثل قوله ماتحركت به شفتاه يريد به المثال العلمي. وقول الله فيكون الله في قلبه أي معرفته ومحبته وهداه وموالاته وهو المثال العلمي فبذاك الذي في قلبه يسمع ويبصر ويبطش

ويخشى. والمخلوق اذا احب المخلوق او عظمه اواطاعه يعبر عنه بمثل هذا فيقول انت في قلبي وفي فؤادى وما زلت بين عينى ومنه قول القائل

مثالك في عينى وذكراك فى فمى ومثواك فى قلبى فأين تغيب

وقول الآخر

ومن عجبي انى احن اليهم واسال عنهم من لقيت وهم معى
وتطلبهم عينى وهم في سوادها ويطلبهم قلبي وهم بين اضلعى

ومثل هذا كثير مع علم العقلاء ان نفس المحبوب المعظم هو في نفسه ليست ذاته فى عين محبه ولا فى قلبه ولكن قد يشتبه هذا بهذا حتي يظن الغالطون ان نفس المحبوب المعبود في ذات المحب العابد ولذلك غلط بعض الفلاسفة حتى ظنوا ان ذات المعلوم المعقول يتحد بالعالم العاقل فجعلوا المعقول والعقل والعاقل شيئا واحدا ولم يميزوا بين حلول مثال المعلوم وبين حلول ذاته وهذا يكون لضعف العقل وقوة سلطان المحبة والمعرفة فيغيب الانسان بمعبوده عن عبادته وبمحبوبه عن محبته وبمشهوده عن شهادته وبمعروفه عن معرفته فيفنى من لم يكن عن شهود العبد لانه نفسه يعدم ويفنى من لم يزل فى شهوده ومن هذا المقام اذا غلط قد يقول مسلما مثل مايحكى عن ابى يزيد البسطامى سبحاني سبحاني او مافى الجبة الا الله وفي هذا يذكر حكاية وهو ان شخصاً كان يحب آخر فالقى المحبوب نفسه فى ماء فالقى المحب نفسه خلفه فقال انا وقعت فلم وقعت انت؟ فقال غبت بك عنى فظننت انك انى فهذا العبد المحب لما استولى على قلبه سلطان المحبة صار قلبه مستغرقا في محبوبه لا يشهد قلبه غير ما فى قلبه وغاب عن شهود نفسه وافعاله فظن انه هو نفس المحبوب وهذا اهون

من ان يظن ان ذات المحبوب نفسه • فهذا الظن لاتحاد الذات او لحلولها ظن غالط وقع فيه كثير من الناس فالذين قالوا ان المسيح او غيره من البشر هو الله او ان الله حال فيه قد يكون غلطهم من هذا الجنس لما سمعوا كلاما يقتضى ان الله في ذات الشخص وجعلوا فعل هـذا فعل هذا ظنوا ذاك اتحاد الذات وحلولها وانما المراد ان معرفة الله فيه واتحاد المامور به والمنهي عنه والموالى والمعادى كقوله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وليس ذلك لان الرسول هو الله ولا لان الله نفسه حال فى الرسول بل لان الرسول يامر بما يامر الله به وينهى عما ينهى الله عنه ويحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله ويوالى أولياء الله ويعادى أعداء الله فمن بايعه على السمع والطاعة فانما بايع الله على السمع والطاعة ومن اطاعه فانما اطاع الله وكذلك المسيح وسائر الرسل انما يامرون بما يأمر الله به وينهون عما نهى الله عنه ويوالون اولياء الله ويعادون اعداء الله فمن اطاعهم فقد اطاع الله ومن صدقهم فقبل منهم ما اخبروا به فقد قبل عن الله ومن والاهم فقد والى الله ومن عاداهم وحاربهم فقد عادى الله وحارب الله ومن تصور هذه الامور تبين له ان لفظ الحلول قد يعبر بها عن معنى صحيح وقد يعبر بها عن معنى فاسد وكذلك حلول كلامه في القلوب ولذلك كره احمد ابن حنبل الكلام فى لفظ حلول القرآن فى القلوب كما قد ذكر فى غير هذا الموضع • ومما يوضح هـذا ان الشيء له وجود فى نفسه هو وله وجود فى العلوم والاذهان ووجود فى اللفظ واللسان ووجود فى الخط والبيان وجود عيني شخصي وعلمي ولفظي ورسمي وذلك كالشمس مثلا

فاما تحقق في نفسها وهي الشمس التي في السماء ثم يتصور بالقلب الشمس ثم ينطق اللسان بلفظ الشمس ويكتب بالقلم الشمس والمقصود بالكتابة مطابقة اللفظ وباللفظ مطابقة العلم وبالعلم مطابقة المعلوم فاذا رأى الانسان في كتاب خط الشمس او سمع قائلا يذكر قال هذه الشمس قد جعلها الله سراجا وهاجا وهذه الشمس تطلع من المشرق وتغرب في المغرب فهو يشير الى ماسمعه من اللفظ ورآه من الخط وليس مراده نفس اللفظ والخط فان ذلك ليس هو الشمس التي تطلع وتغرب وانما مراده مايقصد بالخط واللفظ ويراد بهما وهو المدلول المطابق لهما وكذلك قد يرى اسم الله مكتوبا في كتاب ومعه اسم صنم فيقول آمنت بهذا وكفرت بهذا ومراده انه مؤمن بالله كافر بالصنم فيشير الى اسمه المكتوب ومراده المسمى بهذا الاسم وكذلك اذا سمع من يذكر اسماء الله الحسنى قال هذا رب العالمين ومراده المسمى بتلك الاسماء ومن هذا قول انس بن مالك كان نقش خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة اسطر محمد رسول الله محمد سطر ورسول سطر والله سطر ومراده بهذه الاسماء الخط لهذا وهذا وهذا لا اللفظ ولا المسمى ومما يشبه هذا مايرى في المرآة او الماء مثل ان يرى الشمس او غيرها في ماء او مرآة فيشار الى المرئى فيقال هذا الشمس وهذا وجهي او وجه فلان وليس مراده ان نفس الشمس او وجهه او وجه فلان حل في الماء او المرآة ولكن لما كان المقصود بتلك الرؤية هو الشمس وهو الوجه ذكره ثم قد يقال رآه رؤية مقيدة في الماء أو المرآة وقد يقال رآه بواسطة الماء والمرآة وقد يقال رأى مثاله وخياله المحاكي له ولكن المقصود بالرؤية هو نفسه ومثل

هذا كثير ومعلوم ان ما في القلوب من المثال العلمي المطابق للمعلوم اقرب اليه
من اللفظ واللفظ اقرب من الخط فاذا كان قد يشار الى اللفظ والخط
والمراد هو نفسه وان لم يكن الخط واللفظ هو ذاته بل به ظهر وعرف
فلان يشار الى ما في القلب ويراد به المعروف الذى ظهر للقلب وتجلي
للقلب وصار نوره في القلب بطريق الاولى • والعقلاء انما تتوجه قلوبهم
الى المقصود المراد دون الوسائل ويعبرون بعبارات تدل على ذلك لظهور
مرادهم بها كما يقولون لمن يعرف علم غيره او لمن يامر بامره ويخبر بخبره
هذا فلان فاذا كان مطلوبهم علم عالم او طاعة أمير فجاء نائبه القائم مقامه
في ذلك قالوا هذا فلان اي المطلوب منه هو مع هذا فلاتحاد المقصود
بهما يعبرون عن أحدهما بلفظ الآخر كما يقال عكرمة هو ابن عباس
وابو يوسف هو ابو حنيفة ومن هذا الباب مايذكر عن المسيح عليه
السلام انه قال انا وابي واحد من رآني فقد رأى أبي وقوله تعالى
فيما حكاه عنه رسوله عبدي مرضت فلم تعدني عبدي جعت فلم تطعمني
ويشبهه قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فينبغي ان يعرف هذا
النوع من الكلام فانه تحل به اشكالات كثيرة فان هذا موجود في كلام
الله ورسله وكلام المخلوقين في عامة الطوائف مع ظهور المعنى ومعرفة
المتكلم والمخاطب انه ليس المراد ان ذات احدهما اتحدت بذات الآخر
بل ابلغ من ذلك يطلق لفظ الحلول والاتحاد ويراد به معنى صحيح كما
يقال فلان وفلان بينهما اتحاد اذا كانا متفقين فيما يحبان ويبغضان ويواليان
ويعاديان فلما اتحد مرادهما ومقصودهما صار يقال هما متحدان وبينهما
اتحاد ولا يعني بذلك ان ذات هذا اتحدت بذات الآخر كاتحاد النار والحديد

والماء واللبن او النفس والبدن وكذلك لفظ الحلول والسكنى والتخلل وغير ذلك كما قيل

قد تخللت مسلك الروح منى * وبذا سمي الخليــل خليلا

والمتخالل مسلك الروح منـــه هو محبته له وشعوره به ونحو ذلك لانفس ذاته وكذلك قول الآخر

ساكن في القلب يعمره * لست انساه فاذكره

والساكن في القلب هو مثاله العلمي ومحبته ومعرفته فتسكن في القلب معرفته ومحبته لاعين ذاته وكذلك قول الآخر

اذا سكن الغدير على صفاً * وجنب ان يحركه النســيم
بدت فيه السماء بلا امتراء * كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب ارباب التجلى * يرى فى صفوها الله العظيم

وقد يقال فلان مافي قلبه الاالله وما عندهالاالله يرادبذلك الا ذكره ومعرفته ومحبته وخشيته وطاعته وما يشبه ذلك اي ليس في قلبه مافي قلب غيره من المخلوقين بل مافي قلبه الا الله وحده ويقال فلان ماعنده الا فلان اذا كان يلهج بذكره ويفضله على غيره وهذا باب واسع مع علم المتكلم والمستمع ان ذات فلان لم تحل في هذا فضلا عن ان تحد به وهذا كما يقال عن المرآة اذا لم تقابل الا الشمس مافيها الا الشمس أي لم يظهر فيها غير الشمس وأيضاً فلفظ الحلول يراد به حلول ذات الشيء تارة وحلول معرفته ومحبته ومثاله العلمي تارة كما تقدم ذكره وعندهم في النبوات ان الله حل في غير المسيح من الصالحين وليس المراد به ان ذات الرب حلت فيه بل يقال فلان ساكن فى قلبي وحال في قلبي وهو

في سري وسويدا قلبي ونحو ذلك وانما حل، فيه مثاله العلمي واذا كان كذلك فمعلوم ان المكان اذا خلا ممن يعرف الله ويعبده لم يكن هنالك ذكر الله ولا حلت فيه عبادته ومعرفته فاذا صار في المكان من يعرف الله ويعبده ويذكره ظهر فيه ذكره والايمان به وحل فيه الايمان بالله وعبادته وذكره وهو بيت الله عزّ وجل فيقال ان الله فيه وهو حال فيه كما يقال ان الله في قلوب العارفين وحال فيهم والمراد به حلول معرفته والايمان به ومحبته ونحو ذلك وقد تقدم شواهد ذلك فاذا كان الرب في قلوب عباده المؤمنين أى نوره ومعرفته وعبر عن هذا بانه حال فيهم وهم حالون في المسجد قيل ان الله في المسجد وحال فيه بهذا المعنى كما يقال الله فى قلب فلان وفلان ما عنده الا الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اما علمت ان عبدى فلانا مرض فلو عدته لوجدتنى عنده ومما يزيد ذلك ايضاحا مايراه النائم من بعض الاشخاص في منامه فيحاطبه ويأمره وينهاه ويخبره بامور كثيرة وهو يقول رأيت فلاناً فى منامى فقال لي كذا وقلت له كذا وفعل كذا وفعلت كذا ويذكر أنواعا من الاقوال والافعال وقد يكون فيها علوم وحكم وآداب ينتفع بها غاية المنفعة وقد يكون ذلك الشخص الذي رأى فى المنام حيا وهو لايشعر بان ذاك رآه في منامه فضلاً عن أن يكون شاعرا بانه قال او فعل وقد يقص الرآي عليه رؤياه ويقول له الرآى ياسيدى رأيتك فى المنام فقلت لي كذا وأمرتنى بكذا ونهيتنى عن كذا والمرئ لايعرف ذلك ولا يشعر به لان المرئ الذي حل فى قلب الرائى هو المثال العلمي المطابق للعينى كما يرى الرائى في المرآة او الماء الشخص الموجود فى الخارج فهو

المقصود وبعض المرئيين فى المنام قد يدري بانه رؤى في المنام ويكاشف بذلك الرآى كما قد يكاشفه بامور أخرى لا لانه نفسه حل فيه والرؤيا اذا كانت صادقة كان ذلك القول والعمل مناسباً لحال المرئى مما هو عادته بقوله وبفعله بنفسه فمثل للرائى مثاله قائلا له وفاعلا ليعلم انه نفسه بقوله وبفعله فينتفع بذلك الرائى كما يحكي للانسان قول غيره وعمله ليعرف بذلك نفس القول والعمل المحكى فان كثيراً من الاشياء لاتعرفه الناس او اكثرهم الا بالمثل المضروب له اما في اليقظة واما في المنام مع العلم بان عين هذا ليس عين هذا ومن توهم انه اذا رأى شخصاً في منامه بان ذاته نفسها حلت فيه دل على جهله فان المرئى كثيراً مايكون حياً وهو لايشعر بما رآه ذلك لاروحه تشعر ولا جسمه فلا يتوهم ان ذات روحه تمثلت فى صورته الجسمية للنائم بل الممثل فى نفس الرائى مثال مطابق له وجسمه وروحه حيث هما ثم الرؤيا قد تكون من الله فتكون حقاً وقد تكون من الشيطان كما ثبت تقسيمها الى هذين في الاحاديث الصحيحة والشيطان كما قد يتمثل في المنام بصورة شخص يراه كثير من الناس يضل بذلك من لم يكن من أهل العلم والايمان كما يجري لكثير من مشركي الهند وغيرهم اذا مات ميتهم يرونه قد جاء بعد ذلك وقضى ديوناً ورد ودايع وأخبرهم بامور عن موتاهم وانما هو شيطان تصور فى صورته وقد يأتيهم فى صورة من يعظمونه من الصالحين ويقول أنا فلان وانما هو شيطان وقد يقوم شيخ من الشيوخ ويخلف موضعه شخصاً فى صورته يسمونه روحانية الشيخ ورفيقه وهو جنى تصور في صورته وهذا يقع لكثير

من الرهبان وغير الرهبان من المنتسبين الى الاسلام وقد يرى أحدهم في اليقظة من يقول له أنا الخليـــل أو أنا موسى أو أنا المسيح او محمد أو أنا فلان لبعض الصحابة او الحواريين ويراه طائراً في الهوآء وانمــا يكون ذلك من الشــياطين ولا تكون تلك الصورة مثــل صورة ذلك الشخص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني حقاً فان الشيطان لايتمثل في صورتي فرؤيتـــه في المنام حق واما في اليقظة فلا يرى بالعين هو ولا أحد من الموتى مع ان كثيراً من الناس قد يرى في اليقظة من يظنه نبياً من الانبياء اما عنـــد قبره واما عند غير قبره وقد يرى القبر انشق وخرج منــه صورة انسان فيظن ان الميت نفسه خرج من قبره أو ان روحه تجسدت وخرجت من القبر وانما ذلك جني تصور في صورته ليضل ذلك الرائي فان الروح ليست ممــا تكون تحت التراب وينشق عنها التراب فانها وان كانت قد تتصل بالبدن فلا يحتاج في ذلك الى شق التراب والبدن لم ينشق عنه التراب وانما ذلك تخييل من الشيطان وقد جرى مثل هــذا لكثير من المنتسبين الى المسلمين وأهــل الكتاب والمشركين ويظن كثير من الناس ان هــذا من كرامات عباد الله الصالحين ويكون من اضــلال الشياطين كما قد بسط الكلام في هذا الباب في غير هذا الكتاب مثل الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وغير ذلك

(فصل) وان أردتم بقولكم ظهر في عيسى حلول ذاته واتحــاده بالمسيح اوغيره فهذه دعوى مجردة من غير دليل متقدم ولا متأخر وكون الانسان أجل ماخلقه الله لوكان مناسباً لحلوله فيه أمر لايختص به المسيح بل

قد قام الدليل على ان غير عيسى عليه السلام أفضل منه مثل ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم وهذان اتخذهما الله خليلين وليس فوق الخلة مرتبة فلو كان يحل في أجل ماخلقه الله من الانسان لكونه أجل مخلوقاته لحل في أجل هذا النوع وهو الخليل ومحمد صلى الله عليهما وسلم وليس معهم قط حجة على ان الجسد المأخوذ من مريم اذا لم يتحد باللاهوت على أصلهم انه أفضل من الخليل وموسى واذا قالوا انه لم يعمل خطيئة فيحيي بن زكريا لم يعمل خطيئة ومن عمل خطيئة وتاب منها فقد يصير بالتوبة أفضل مما كان قبل الخطيئة وافضل ممن لم يعمل تلك الخطيئة والخليل وموسى أفضل من يحيي الذى يسمونه يوحنا المعمدانى • واما قولهم ولهذا خاطب الخلق فالذي خاطب الخلق هو عيسى بن مريم وانما سمع الناس صوته لم يسمعوا غير صوته والجنى اذا حل في الانسان وتكلم على لسانه يظهر للسامعين ان هذا الصوت ليس هو صوت الآدمي ويتكلم بكلام يعلم الحاضرون انه ليس كلام الآدمي • والمسيح عليه السلام لم يكن يسمع منه إلا ما يسمع من مثله من الرسل ولو كان المتكلم على لسان الناسوت هو جنياً أو ملكا لظهر ذلك وعرف انه ليس هو البشر فكيف اذا كان المتكلم هو رب العالمين فان هذا لو كان حقاً لظهر ظهوراً أعظم من ظهور كلام الملك والجنى على لسان البشر بكثير كثير • وأما ماشاهدوه من معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام فقد شاهدوا من غيره ماهو مثلها وأعظم منها وقد أحيي غيره الميت وأخبر بالغيوب اكثر منه ومعجزاتُ موسى أعظم من معجزاته واكثر وظهور المعجزات على يديه يدل على نبوته ورسالته كما دلت المعجزات

على نبوة غيره ورسالتهم لاتدل على الالهية والدجال لما ادعى الالهية لم يكن مايظهر على يديه من الخوارق دليلا عليها لان دعوى الالهية ممتنعة فلا يكون فى ظهور العجائب مايدل على الامر الممتنع

(فصل) قالوا وقد قال الله على أفواه الانبياء المرسلين الذين تنبوا على ولادته من العذراء الطاهرة مريم وعلى جميع أفعاله التي فعلها في الارض وصعوده الى السماء وهذه النبوات جميعها عند اليهود مقرين ومعترفين بها ويقرونها في كنايسهم ولم ينكروا منها كلمة واحدة*فيقال هذا كله مما لاينازع فيه المسلمون فانه لاريب انه ولد من مريم العذرا البتول التى لم يمسها بشر قط وان الله أظهر على يديه الآيات وانه صعد الى السماء كما أخبر الله بذلك فى كتابه كما تقدم ذكره فاذا كان هذا مما أخبرت به الانبياء فى النبوات التى عند اليهود لم ينكروا ذلك وان كان اليهود يتاولون ذلك على غير المسيح كما فى النبوات من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو حق وان كان الكافرون به من أهل الكتاب يتأولون ذلك على غيره

(فصل) قالوا وسئلنا ان نذكر من بعض قول الانبياء الذين تنبوا على السيد المسيح ونزوله الى الارض قال عزرا الكاهن حيث سباهم بختنصر الفريدي الى أرض بابل الي اربع ماية واثنين وثمانين سنه يأتي المسيح ويخلص الشعوب والامم وفي كمال هذه المدة اتي السيد المسيح فيقال اما قول عزرا الكاهن فليس فيه إلا إخباره بانه يأتى المسيح ويخلص الشعوب والأمم وهذا مما لاينازع فيه المسلمون فانهم يقرون بما أخبر الله به في كتابه من اتيان المسيح عليه السلام

وتخليص الله به كل من آمن به من الشعوب والامم الى ان بعث محمد صلي الله عليه وسلم فكل من كان مؤمناً بالمسيح متبعا لما انزل عليه من غير تحريف ولا تبديل فان الله خلصه بالمسيح من شر الدنيا والآخرة كما خلص الله تعالى بموسى من اتبعه من بني اسرائيل ومن حرف وبدل فلم يتبع المسيح ومن كذب محمدا صلي الله عليه وسلم فهو كمن كذب المسيح بعد ان كان مقرا بموسى عليه السلام ولكن هذا النص وأمثاله حجة على اليهود الذين يتاولون ذلك على ان هذا ليس هو المسيح ابن مريم وانما هو مسيح ينتظروا انما ينتظرون المسيح الدجال مسيح الضلالة فان اليهود يتبعونه ويقتلهم المسلمون معه حتى يقول الشجر والحجر يامسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله وهكذا قال في النبوة الثانية التي ذكروها عن ارميا النبي عليه السلام

(فصل)قالوا وقال ارميا النبي عن ولادته في ذلك الزمان يقوم لداود ابن وهو ضوء النور يملك الملك ويعلم ويفهم ويقيم الحق والعدل في الارض ويخلص من آمن به من اليهود ومن بني اسرائيل وغيرهم ويبقى بيت المقدس بغير مقاتل ويسمى الاله وأما قوله ابن لداود لان مريم كانت من نسل داود ولاجل ذلك قال ويقوم لداود ابن*والجواب ان يقال قد قال فيه ويخلص من آمن به من اليهود ومن بني اسرائيل وهو كما فسرنا به التخليص الذى نقلوه عن عذرا الكاهن وأما قوله واسمه الاله فهذا يدل على انه ليس هو الله رب العالمين وانما لفظ الاله اسم سمى به كما يسمى موسى الها لفرعون عندهم في التوراة اذ لو كان هو الله رب العالمين لكان اجل من ان يقال ويسمي الاله فان الله تبارك وتعالى

لا يعرف بمثل هذا ولا يقال فيه ان الله يسمى الاله ولقال يأتى الله بنفسه فيظهر ويقال يملك الملك ورب العالمين مازال ولا يزال مالكا للملك سبحانه وايضا فانه قال يقوم لداود ابن هو ضوء النور ومعلوم ان الأبن الذي من نسل داود الذي اسم امه مريم هو الناسوت فقط فان اللاهوت ليس من نسل بشر وقد تبين ان هذا الناسوت الذى هو ابن داود ويسمى الاله فعلم ان هذا اسم للناسوت المخلوق لا للاله الخالق وايضا فانه قال وهو ضوء النور لم يجعله النور نفسه بل جعله ضوء النور والله تعالى منور كل نور فكيف يكون هو ضوء النور والله تعالى قد سمى محمدا صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا ولم يكن بذلك خالقا فكيف اذا سمى ضوء النور وأيضا فانه لم يجعل القائم الا ابن داود وابن داود مخلوق وأضاف الفعل الى هذا المخلوق ولو كان هذا هو الله رب العالمين قد اتحد بالناسوت البشري لبين ارميا وغيره من الانبياء ذلك بيانا قاطعاً للعذر ولم يكتفوا بمثل هذه الالفاظ التى هى إما صريحة أو ظاهرة في نقيض ذلك أو مجملة لاتدل على ذلك فانه من المعلوم ان أخبارهم باتيان نبى من الانبياء امر معتاد ممكن ومع هذا يذكرون فيه من البشارات والدلائل الواضحة مايزيل الشبهة وأما الاخبار بمجيء الرب نفسه وحلوله او اتحاده بناسوت بشرى فهو اما ممتنع غير ممكن كما يقوله اكثر العقلاء من بنى آدم ويقولون نعلم بصريح العقل ان هذا ممتنع واما ممكن كما يقوله بعض الناس وحينئذ فامكانه خفى على اكثر العقلاء وهو امر غير معتاد واتيان الرب بنفسه اعظم من اتيان كل رسول ونبي لاسيما اذا كان اتيانه باتحاده ببشر لم يظهر على يديه من الآيات مايختص بالالهية بل لم يظهر على يديه الا ما ظهر على يد غيره

من الانبياء ماهو مثله أو أعظم منه والله تعالى لما كان يكلم موسى ولم يكن موسى يراه ولا يحد لا بموسى ولا بغيره ومع هذا فقد اظهر من الايات على ذلك وعلى نبوة موسى مالم يظهر مثله ولا قريب منه على يد المسيح فلو كان هو بذاته متحدا بناسوت بشرى لكان الانبياء يخبرون بذلك اخبارا صريحا بينا لايحتمل التأويلات ولكان الرب يظهر على ذلك من الآيات مالم يظهر على يد رسول ولا نبي فكيف والانبياء لم ينطقوا في ذلك بلفظ صريح بل النصوص الصريحة تدل على ان المسيح مخلوق ولم تأت آية على خلاف ذلك بل انما تدل الآيات على نبوة المسيح

(فصل)قالوا وقال اشعيا النبي قل لصهيون هنا تفرح وتتهلل فان الله يأتي ويخلص الشعوب ويخلص من آمن به وبشعبه ويخلص مدينة بيت المقدس ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع الامم المبددين ويجعلهم أمة واحدة ويبصرون جميع أهل الارض من خلاص الله لانه يمشي معهم وبين يديهم ويجمعهم اله اسرائيل* فيقال هذا يحتاج اولا ان يعلم ان في هذه النبوة ان هذا الكلام نقل بلا تحريف للفظه ولا غلط فى الترجمة ولم يثبت ذلك واذا ثبت ذلك فحينئذ هو نظير مافى التوراة من قوله جاء الله من طورسينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ومعلوم انه ليس فى هذا مايدل على ان الله حال في موسى بن عمران ولا متحد به ولا انه حال فى جبال فاران ولا انه متحد بشيء من طورسينا ولا ساعير وكذلك هذا اللفظ لا يدل على انه حال في المسيح ومتحد به اذ كلاهما سواء واذا قيل المراد بذلك قربه ودنوه كتكليم موسى وظهور نوره وهداه وكتابه ودينه ونحو ذلك من الامور التى وقعت * قيل وهكذا فى المسيح

عليه السلام وقوله ويظهر الله ذراعه الطاهر لجميع الامم المبددين قد قال في التوراة مثل هـذا في غير موضع ولم يدل ذلك على اتحاده بموسى عليه السلام كقوله وأما قوله عن الإمم المبددين فيجعلهم أمة واحدة فهم الذين اتبعوا المسيح فانهـم كانوا متفرقين مبددين فجعلهم أمة واحدة وأما قوله ويبصرون جميع أهل الارض خلاص الله لانه يمشي معهم وبين يديهم ويجمعهم اله اسرائيل فمثل هذا في التوراة فى غير موضع ولم يدل ذلك على اتحاده بموسى ولا حلوله فيه كقوله فى السفر الخامس من التوراة يقول موسى لبنى اسرائيل لاتهابوهم ولا تخافوهم لان الله ربكم السائر بين أيديكم هو محارب عنكم وفى موضع قال موسى ان الشعب هو شعبك فقال انا امضى أمامك فارتحل فقال ان لم تمض أنت امامنا وإلا فلا تصعدنا من ههنا وكيف أعلم انا وهذا الشعب انى وجدت أمامك نعمة كذا بعلمك إلا بسيرك معنا وفى السفر الرابع من الفصل الثالث عشر ربى اصعدن هؤلاء من بينهم بقدرتك فيقولون لاهل هـذه الارض الذين سمعوا انك الله فيما بين هؤلاء القوم يرونه عيناً بعين وغمامك يقيم عليهم وبعمود غمام يسير بين أيديهم نهاراً وبعمود نار ليلا وفي التوراة أيضاً يقول الله لموسى انى آت اليك فى غلظ الغمام لكى يسمع القوم مخاطبتي لك ثم قوله اجمع سبعين رجلاً من شيوخ بنى اسرائيل وخذهم الى خبأ العرب يقفون معك حتى أخاطبهم

(فصل) قالوا وقال زكريا النبي افرحي يابيت صهيون لانى آتيك واحل فيك واترايا قال الله ويؤمن بالله فى ذلك اليوم الامم الكثيرة

ويكونون له شعباً واحداً ويحل هو وهم فيك وتعرفين اني انا الله القوى الساكن فيك ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من يهودا ويملك عليهم الى الابد *فيقال مثل هذا قد ذكر عندهم عن ابراهيم وغيره من الانبياء ان الله تجلى له واستعلن له وترايا له ونحو هذه العبارات ولم يدل ذلك على حلوله فيه واتحاده به وكذلك اتيانه وهو لم يقل اني احل في المسيح واتحد به وانما قال عن بيت صهيون آتيك واحل فيك كما قال مثل ذلك عندهم في غير هذا ولم يدل على حلوله في بشر وكذلك قوله وتعرفين اني انا الله القوى الساكن فيك ولم يرد بهذا اللفظ حلوله في المسيح فان المسيح لم يسكن بيت المقدس وهو قوي بل كان يدخلها وهو مغلوب مقهور حتى أخذ وصلب أوشبهه والله سبحانه اذا حصلت معرفته والايمان به في القلوب اطمأنت وسكنت وكان بيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح عليه السلام بعد رفعه حصل فيه من الايمان بالله ومعرفته مالم يكن قبل ذلك وجماع هذا ان النبوات المتقدمة والكتب الالهية كالتوراة والانجيل والزبور وسائر نبوات الانبياء لم تخص المسيح بشيء يقتضي اختصاصه باتحاد اللاهوت به وحلوله فيه كما يقوله النصارى بل لم تخصه الا بما خصه به محمد صلى الله عليه وسلم في قوله انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه)فكتب الانبياء المتقدمة وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم يصدق بعضها بعضاً وسائر ما تستدل به النصارى على الهيته من كلام الانبياء قد يوجد مثل تلك الكلمات في حق غير المسيح فتخصيص المسيح بالالهية دون غيره باطل وذلك مثل اسم الابن والمسيح ومثله

حلول روح القدس فيه ومثل تسميته الهاً ومثل ظهور الرب أو حلوله فيه أو سكونه فيه أو في مكانه فهذه الكلمات وما أشبهها موجودة في حق غير المسيح عندهم ولم يكونوا بذلك آلهة ولكن القائلون بالحلول والاتحاد في حق جميع الانبياء والصالحين قد يحتجون بهذه الكلمات . وهذا المذهب باطل باتفاق المسلمين واليهود والنصارى وهو باطل في نفسه عقلا ونقلا وان كان طوائف من أهل الالحاد والبدع المنتسبين الى المسلمين واليهود والنصارى تقول به فهؤلاء اشتبه عليهم مايحل في قلوب العارفين به من أهل الايمان به ومعرفته ونوره وهداه والروح منه وما يعبر عنه بالمثل الأعلى والمثال العلمي وظنوا انذلك ذات الرب كمن يظن ان نفس اللفظ بالاسم هو المعنى الذي في القلب أو نفس الخط هو نفس اللفظ ومن يظن ان ذات المحبوب حلت في ذات المحب واتحدت به أو نفس المعروف المعلوم حل في ذات العالم العارف به واتحد به مع العلم اليقيني ان نفس المحبوب المعلوم باين عن ذات المحب روحه وبدنه لم يحل واحد منهما في ذات المحب وقد قال الله تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض وقال تعالى وهو الذى في السماء اله وفي الارض اله وقال تعالى وهو الله في السموات وفي الارض فالمؤمنون يعرفون الله ويحبونه ويعبدونه ويذكرونه ويقال هو في قلوبهم والمراد معرفته ومحبته وعبادته وهو المثل العلمي ليس المراد نفس ذاته كما يقول الانسان لغيره انت في قلبي وما زلت في قلبي وبين عيني ويقال

ساكن في القلب يعمره * لست انساه فاذكره

وقال

ان بيتا انت ساكنه * غير محتاج الى السرج

ومن قول القائل

ومن عجبي اني احن اليهم * واسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها * ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

وقال

مثالك في عيني وذكرك في فمي * ومثواك في قلبي فاين تغيب

والمساجد هي بيوت الله التي فيها يظهر ذلك ولهذا قال تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابى بن كعب مثل نوره في قلوب المؤمنين ثم قال نور على نور ثم قال في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فذكر سبحانه نوره في قلوب المؤمنين ثم ذكر ذلك في بيوته كذلك ماذكر في الكتب الاولى • واما الاتيان والمجيء والتجلي فعندهم في التوراة يقول الله لموسى اني آتي اليك في غلظ الغمام لكي يسمع القوم مخاطبتي لك ثم قوله اجمع سبعين رجلا من شيوخ بني اسرائيل وخذهم الى خباء العرب يقفون معك حتى اخاطبهم وفي السفر الرابع لما تكلم مريم وهارون في موسى حينئذ تجلى الله بعمود الغمام قائماً على باب الخبأ ونادى ياهارون ويامريم نخرجا كلاهما فقال اسمعا كلامي اني انا الله فيما بينكم وفي الفصل الثالث عشر ان اصمدت هؤلاء من بينهم بقدرتك فيقولون لاهل هذه الارض الذين سمعوا انك الله فيما بين هؤلاء القوم يرونه عينا بعين وغمامك يقيم عليهم وبعمود غمام يسير بين ايديهم نهارا وبعمود نار ليلا وفي السفر الخامس قول موسى لبني اسرائيل لاتهابوهم ولا تخافوهم لان الله ربكم السائر بين

ايديكم وهو يحارب عنكم وفي موضع آخر قال موسي ان الشعب هو شعبك فقال ياموسي انا امضي امامك فارتحل فقال ان لم تمض انت معنا والا فلا تصعدنا من ههنا وكيف اعلم انا وهذا الشعب اني وجدت امامك نعمة كذا بعلمك الا بسيرك معنا وفى المزمور الرابع من الزبور عندهم يقول وليفرح المتكلون عليك الى الابد ويبتهجون ويحل فيهم ويفتخرون فاخبر انه يحل في جميع الصديقين أي معرفته ومحبته فانهم متفقون على ان ذات الله لم تحل في الصديقين وكذلك في رسائل يوحنا الانجيلي اذا أحب بعضنا بعضاً نعلم ان الله يلبث فينا اي محبته ونظائره كثيرة

(فصل) قالوا وقال عاموص النبي ستشرق الشمس على الارض ويهتدي بها الضالون ويضل عنها بنوا اسرائيل قالوا فالشمس هو السيد المسيح والضالون الذين اهتدوا به هم النصارى المختلفة ألسنتهم الذين كانوا من قبله عابدين الاصنام وضالين عن معرفة الله فلما أتوهم التلاميذ وانذروهم بما اوصاهم السيد المسيح فتركوا عبادة الأصنام واهتدوا باتباعهم السيد المسيح • فيقال هذا مما لاينازع فيه المسلمون وانما ينازع فى مثل هذا وأمثاله اليهود المكذبون للمسيح عليه السلام كما ينازع كفار أهل الكتاب فى محمد صلى الله عليه وسلم واما المسلمون فيؤمنون بجميع كتب الله ورسله وان المسيح عليه الصلاة والسلام أشرق نوره على الارض كما أشرق قبله نور موسى عليه الصلاة والسلام وأشرق بعده نور محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم (انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعيا الى

الله باذنه وسراجا منيرا) فسماه الله سراجا منيرا وسمى الشمس سراجا وهاجا والسراج المنير أكمل من السراج الوهاج فان الوهاج له حرارة تؤذى والمنير يهتدى بنوره من غير اذى يوجه وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) وقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور) والمسلمون مقرون بان كل من كان متبعاً لدين المسيح عليه السلام الذي لم يغير ولم يبدل فانه اهتدى بالمسيح من الضلالة ومن كفر به من بنى اسرائيل فانه ضال بل كافر كما قال تعالى (واذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) وقوله ستشرق الشمس على الارض ويهتدى بها الضالون ويضل عنها بنوا اسرائيل يناسب قوله في التوراة جاء الله من طور سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال

فاران فان اشراقه من ساعير هو ظهور نوره بالمسيح كما ان مجيئه من طور سينا هو ظهور نوره بموسى واستعلانه من جبال فاران هو ظهور نوره بمحمد صلى الله عليه وسلم وبهذه الاماكن الثلاثة اقسم الله في القرآن بقوله والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين) فبلد التين والزيتون هي الارض المقدسة التي بعث منها المسيح وكان بها انبياء بني اسرائيل واسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم اليها وظهرت بها نبوته وطور سينين المكان الذي كلم الله فيه موسى بن عمران وهذا البلد الامين هو بلد مكة التي بعث الله منه محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه القرآن

(فصل) قالوا وقال في السفر الثالث من اسفار الملوك والازيار اله إسرائيل لتحقق كلامك لداود لانه حق ان يكون انه سيسكن الله مع الناس على الارض اسمعوا أيتها الشعوب كلكم ولتنصت الارض وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهدا من بيته القدوس ويخرج من موضعه وينزل ويطأ على مشاريق الارض في شأن خطيئة بني يعقوب هذا كله * فيقال هذا السفر يحتاج الى ان يثبت ان الذي تكلم به نبي وان الفاظه ضبطت وترجمت الى العربية ترجمة مطابقة ثم بعد ذلك يقال فيه مايقال في امثاله من الالفاظ الموجودة عندهم وليس فيها مايدل على اتحاده بالمسيح فان قوله ان الله سيسكن مع الناس في الارض لايدل على المسيح اذ كان المسيح لم يسكن مع الناس في الارض بل لما اظهر الدعوة لم يبق في الارض الا مدة قليلة ولم يكن ساكنا في موضع معين وقبل ذلك لم يظهر عنه شيء من دعوى النبوة فضلا عن الالهية ثم انه بعد ذلك رفع الى السماء فلم يسكن مع الناس في الارض وايضا فاذا قالوا سكونه هو ظهوره في المسيح عليه السلام قيل

لهم ٠ أما الظهور الممكن المعقول كظهور معرفته ومحبته ونوره وذكره وعبادته فهذا لافرق فيه بين المسيح وغيره وحينئذ فليس في هذا اللفظ مايدل على ان هذا السكون كان بالمسيح دون غيره وان كان بالمسيح فليس هذا من خصائصه عليه السلام وليس فى ظهوره فيه أو حلوله معرفته ومحبته ومثاله العامى مايوجب اتحاد ذاته به وأما قوله فيكون الرب عليها شاهداً فيقال أولاً شهود الله على عباده لايستلزم حلوله أو اتحاده ببعض مخلوقاته بل هو شهيد على العباد باعمالهم كما قال ثم الله شهيد على ما يفعلون) ولفظ النص ولتنصت الارض وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهداً وهذا كما فى التوراة ان موسى لما خاطب بنى اسرائيل اشهد عليهم وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم كان يقول لامته لما بلغ الناس يقول الاهل بلغت فيقولون نعم فيقول اللهم اشهد وحينئذ فليس في هذا تعرض لكون المسيح هو الله وقد يقال أيضاً ليس فيه ان المراد بلفظ الرب هنا هو الله ولفظ الرب يراد به السيد المطاع وقد غاير بين اللفظين فقال هناك انه سيسكن الله مع الناس فقال فيكون الرب عليها شاهداً والانبياء يشهدون على امهم كما قال المسيح عليه السلام وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم) وقال تعالى (نا أرسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولاً) وقال تعالى (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال تعالى ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء) وحينئذ فيكون الرب الشهيد هو المسيح الذى هو الناسوت وهو الذي جاء من بيت المقدس

وخرج من موضعه ونزل ووطئ على الارض من اجل خطيئة بنى يعقوب فانهم لما اخطأوا وبدلوا ارسل الله اليهم المسيح عليه السلام يدعوهم الى عبادة الله وحده وطاعته فمن آمن به كان سعيداً مستحقاً للثواب ومن كفر به كان شقياً مستحقاً للعذاب

(فصل) قالوا وقال ميخا النبي وانت يابيت لحم قرية يهودا بيت افراتا منك يخرج لي رئيس الذي يرعى شعبي اسرائيل وهو من قبل ان تكون الدنيا لكنه لايظهر الاّ في الايام التي تلده فيها الوالدة وسلطانه من أقاصي الارض الى أقاصيها * والجواب ان عامة مايذكرونه عن عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام حجة عليهم لالهم كما ذكروه عن المسيح عليه السلام فى أمر التثليث فانه حجة عليهم لالهم وهكذا تأملنا عامة مايحتج به أهل البدع والضلالة من كلام الانبياء فانه اذا تدبر حق التدبر وجد حجة عليهم لالهم فان كلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام هدى وبيان وهم معصومون لايتكلمون بباطل فمن احتج بكلامهم على باطل فلا بد ان يكون في كلامهم مايبين به انهم أرادوا الحق لا الباطل وهذا مثل قوله فى هذه النبوة منك يخرج لي رئيس فهذا صريح فى ان هذا الذى يخرج هو رئيس لله ليس هو الله بل هو رئيس له كسائر الرؤساء الذين لله وهم الرسل والانبياء المطاعون مثل داود وموسى وغيرهما ولهذا قال الذي يرعى شعبي اسرائيل ولو كان هو لكان هو راعي شعب نفسه وأما قوله وهو من قبل ان تكون الدنيا فهذا مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ميسرة الفجر وقد قيل له يارسول الله متى كنت نبياً قال وآدم بين الروح والجسد

وفي لفظ متى كتبت نبياً قال وآدم بين الروح والجسد وفى مسند الامام أحمد عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأنبئكم بأول امرى دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى رأت حين ولدتنى انه خرج منها نور اضاء له قصور الشام فقد أخبر صلى الله عليه وسلم انه كان نبياً وكتب نبياً وآدم بين الروح والجسد وانه مكتوب عند الله خاتم النبيين وآدم منجدل فى طينته ومراده صلى الله عليه وسلم ان الله كتب نبوته وأظهرها وذكر اسمه ولهذا جعل ذلك في ذلك الوقت بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه كما يكتب رزق المولود واجله وعمله وشقي هو او سعيد بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه وكذلك قول القائل فى المسيح عليه السلام وهو من قبل ان تكون الدنيا فانه مكتوب مذكور من قبل ان تكون الدنيا فانه قد ثبت فى الصحيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قدر الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء وفى صحيح البخاري عن عمران ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولم يكن شئ قبله وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض وهو قد قال قبل ان تكون الدنيا ولم يقل انه كان قديماً أزلياً مع الله لم يزل كما يقول النصارى انه صفة الله الازلية بل وقت ذلك بقوله قبل ان تكون الدنيا ولا يحسن ان يقال في رب العالمين كان قبل ان تكون الدنيا فانه سبحانه قديم أزلي ولا ابتداء لوجوده فلا يوقت

بهذا المبدأ لاسيما ان اريد بكون الدنيا عمارتها بآدم وذريته فان الدنيا قد لاتدخل فيها السموات والارض بل يجعل من الآخرة وأرواح المؤمنين فى الجنة في السموات ويراد بالدنيا الحيوة الدنيا او الدار الدنيا ولهذا قال لكنه لايظهر الا فى الايام التى تلده فيها الوالدة كما يظهر غيره من الانبياء بعد ان تلده أمه ٠ والوالدة انما ولدت الناسوت وأما اللاهوت فهو عندهم مولود من الله القديم الازلي واذا قالوا فهى ولدت اللاهوت مع الناسوت كان هذا معلوم الفساد من وجوه كثيرة واذا قيل لم خص عيسى المسيح عليه السلام بالذكر؟ قيل كما خص محمد صلى الله عليه وسلم بالذكر لان أمر المسيح كان أظهر وأعظم ممن قبله من الانبياء بعد موسى وكذلك أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان أظهر واعظم من أمر جميع الانبياء قبله واذا عظم النبيُّ كان ظهوره فى الكتاب أعظم وظن بعض النصارى ان المراد بذلك وجود ذات المسيح يضاهي ظن طائفة من غلاة المنتسبين الى الاسلام وغيرهم الذين يقولون ان ذات النبي صلى الله عليه وسلم كانت موجودة قبل خلق آدم ويقولون انه خلق من نور رب العالمين ووجد قبل خلق آدم وان الاشياء خلقت منه حتى قد يقولون فى محمد صلى الله عليه وسلم من جنس قول النصارى في المسيح حتى قد يجعلون مدد العالم منه ويروون فى ذلك أحاديث وكلها كذب مع ان هؤلاء لايقولون ان المتقدم هو اللاهوت بل يدعون تقدم حقيقته وذاته ويشيرون الى شئ لاحقيقة له كما تشير النصارى الى تقدم لاهوت اتحد به لاحقيقة له ومن هؤلاء الغلاة من يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال اني كلي بشر فقد

كفر ومن قال لست ببشر فقد كفر ويحتجون بقوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم فيجعلون فيه شيئاً من اللاهوت مضاهاة للنصارى وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى في الصحيحين انه قال لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقد قال تعالى قل سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولا)

وهذا من جنس الغلاة الذين يقولون ان الرب يحل في الصالحين ويتكلم على السنتهم وان الناطق فى أحدهم هو الله لانفسه وقول هؤلاء من جنس قول النصارى فى المسيح ويقول أحدهم ان الموحد هو الموحد وينشدون

ما وحد الواحد من واحد　　اذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته　　عارية أبطلها الواحد
توحيده اياه توحيده　　ونعت من ينعته لاحد

وهو من جنس قول الذين يجعلون روح الانسان قديمة أزلية ويقولون هى صفة لله فيجعلون نصف الانسان لاهوتاً ونصفه ناسوتاً لكن اللاهوت عندهم هو روحه لا لاهوت واحد كما يقوله النصارى وعلى قول هؤلاء مع قول النصارى يكون في المسيح وأمثاله ممن ادعى فيه اتحاد اللاهوت به لاهوتان روحه لاهوت والكلمة لاهوت ثان . ومن جنس هؤلاء من ينشد مايحكي عن الحلاج انه انشد .

سبحان من أظهر ناسوته　　سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهراً　　فى صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خالقه كلحظة الحاجب للحاجب

ولو قدر ان نفسه هي التي كانت قبل ان تكون الدنيا فهذا لايدل على انه الله او صفة لله بل اذا قال من يدعي ان روحه كانت موجودة حينئذ المراد روحه كان هذا أقرب من قول النصارى وفي الجملة مايخبر عن المسيح انه كان قبل ان تكون الدنيا بمنزلة ما عند أهل الكتاب عن سليمان انه قال كنت قبل ان تكون الدنيا ثم قد ثبت باتفاق الخلائق ان سليمان لم يكن اللاهوت متحداً به فعلم ان مثل هذا الكلام لايوجب اتحاد اللاهوت به بل المسلمون يعدلون في القول ويفسرون كلام الله في كتبه بعضه ببعض ويجعلون كلامه يصدق بعضه بعضاً لايناقض بعضه بعضاً • واما أهل الضلال من النصارى وغيرهم فيفضلون المفضول على من هو أفضل منه وينقصون الفاضل حقه ويغلون في المفضول ويبخسون الانبياء حقوقهم مثل تنقصهم لسليمان فان كثيراً من اليهود والنصارى يطعنون فيه • منهم من يقول كان ساحراً وانه سحر الجن بسحره ومنهم من يقول سقط عن درجة النبوة فيجعلونه حكيماً لانبياً ولهذا ذكر الله في القرآن تبرئة سليمان عن ذلك • وذلك ان سليمان سأل الله ملكاً لاينبغي لاحد من بعده فسخر لسليمان الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد فسخر له الريح غدوها شهر ورواحها شهر ولما طلب من الملأ أن يأتوه بعرش بلقيس ملكة اليمن وكان هو بالشام قال ياأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم

من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم) فلما مات عمدت الشياطين الى أنواع من الشرك فكتبوها ووضعوها تحت كرسيه وقالوا كان سليمان يسخر الجن بهذا فصار هذا فتنة لمن صدق بذلك وصاروا طائفتين طائفة علمت ان هذا من الشرك والسحر وانه لايجوز فطعنت في سليمان كما فعل ذلك كثير من أهل الكتاب اليهود والنصارى وطائفة قالت سليمان نبي واذا كان قد سخر الجن بهذا دل على ان هذا جائز فصاروا يقولون ويكتبون من الاقوال التى فيها الشرك والتعزيم والأقسام بالشرك والشياطين ماتحبه الشياطين وتختاره ويساعدونهم لاجل ذلك على بعض مطالب الانس اما اخبار بامور غائبة يخلطون فيها كذباً كثيراً واما تصرف في بعض الناس كما يقتل الرجل او يمرض بالسحر او تسرق الشياطين له بعض الاموال ونحو ذلك مما فيه اعانة الشياطين للانس على أمور تريدها الانس لاجل مطاوعة الانس وموافقتهم للشياطين على ماتريده الشياطين من الكفر والفسوق والعصيان وكثير منهم يضيف ذلك الى سليمان والى آصف ابن برخيا ويصورون خاتم سليمان وقد يأخذون الرجل الذي صار من اخوانهم الى مواضع فيرونه شخصاً ويقولون هذا سليمان بن داود كما قد جرى مثل ذلك لمن نعرفه من المشايخ الذين كانت تقترن بهم الشياطين وكان لهم خوارق شيطانية من جنس خوارق السحرة والكهان فنزه الله تعالى سليمان من كذب هؤلاء وهؤلاء الذين جعلوه

يسخر الشياطين بنوع من الشرك والسحر هؤلاء جرحوه وهؤلاء زعموا انهم يتبعونه فقال تعالى (واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لوكانوا يعلمون ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لوكانوا يعلمون) ومثل هذا كثير يحكي عن بعض الانبياء او بعض أهل العلم والدين من أمور ليست من شرع الله فيصدق بها بعض الناس وتصير فتنة لطائفتين مصدقتين بها طائفة تقدح في ذلك النبي والرجل الصالح بما هو منه بريء وطائفة تقول انها تابعه فيما يقول وهذا موجود في كثير مما يحكيه أهل الكتاب عن الانبياء فان اليهود بذكرعنهم ما يقدح في نبوتهم • والنصارى تجعل ذلك قدوة لهم فيما يبتدعونه وهذا مبسوط في موضع آخر فالمقصود هنا ان الكلام الذى وصف به المسيح أما وصفه به الانبياء قبله أو أخبر به عن نفسه موجود مثله في حق غيره ولم يكن احدهم بذلك لاهوتا وناسوتا ولا اتحد اللاهوت بالناسوت ولا استحق احدهم بذلك ان يعبد ويصلي له ويسجد ويدعا كما يدعا الله ويضاف اليه مايضاف الى الله من الخلق والبعث والثواب والعقاب وليس للمسيح صلوات الله عليه آية خارقة الا ولغيره مثلها وأعظم منها ولا قيل فيه كلمة الا قيل في غيره مثلها وأعظم منها الا

ماخصه فيه القرآن

(فصل) قالوا وقال حيقوق النبي ان الله في الارض يترااى ويختلط مع الناس ويمشي معهم وقال ارميا النبي الله بعد هـذا فى الارض يظهر ويتقلب مع البشر فيقول انا الله رب الارباب *والجواب ان هذا يحتاج الى تثبيت نبوة هذين والى ثبوت النقل عنهما وثبوت الترجمة الصحيحة المطابقة وبعد هذا يكون حكم هذا الـكلام حكم نظائره ففى التوراة ماهو من هذا الجنس ولم يدل ذلك باتفاق المسلمين واليهود والنصارى على ان الله حل فى موسى ولا في غـيره من انبياء بنى اسرائيل بل قوله يترااى هو بمنزلة يتجلى ويظهر وقد ذكر فى التوراة انه تجلى وترااى لابراهيم وغيره من الانبياء عليهم السلام من غير ان تكون ذاته حلت باحد منهم وما في القـلوب من المثال العلمى وبمعرفته ومحبته وذكره يطلق عليه ما يطلق على المعروف بنفسه لعلم الناس ان المراد به المثـال العلمي ٠وما في القـلوب من معرفته المعروف ومحبته ليس المـراد به نفس المعروف المحبوب فاذا قال القـائل انت والله في قلبى او في سويدا قلبي او قال له والله مازلت فى قلبي وما زلت في عينى ونحو ذلك علم جميع الناس انه لم يرد ذاته فاذا رأوا من يذكر عالماً مشهوراً أو شيخاً مشهورا فيذكر علمه وعمله ويحيي ذلك بين الناس ٠قالوا قد صار فلان يعنى المعروف المذكور عندنا وبين أظهرنا لعلم المخاطبين بالمراد ٠ ويقول أحدهم لمن مات والده اما والدك اى قائم مقامه ويقولون للولد القائم مقام أبيـه من خلف مثلك ما مات واذا رأوا عكرمة مولى ابن عباس الذي معه علمه يقولون جاء ابن عباس وابن

عباس بين الناس لان مولاه نائب عنه وقام مقامه واذا بعث الملك نائباً قائماً مقامه يقولون جاء الملك الفلانى لان هذا النائب قائم مقامه مظهر لأمره ونهيه وأحواله • وفى الحديث الصحيح عن النبى صلي الله عليه وسلم يقول الله عبدى مرضت فلم تعدنى فيقول العبد يارب كيف اعودك وانت رب العالمين فيقول أما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده أما لو عدته لوجدتنى عنده • عبدى جعت فلم تطعمنى فيقول يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت ان عبدى فلانا جاع فلو اطعمته لوجدت ذلك عندى • عبدى عطشت فلم تسقني فيقول رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أن عبدى استسقاك فلم تسقه أما لو سقيته لوجدت ذلك عندى فجعل جوع عبده جوعه ومرضه مرضه لان العبد موافق لله فيما يحبه ويرضاه ويأمر به وينهى عنه وقد عرف ان الرب نفسه لايجوع ولا يمرض ومعلوم ان وصفه بالجوع والمرض ابعد من وصفه بالمشي بين الناس والاختلاط بهم ولهذا نظائر كثيرة موجودة فى كلام الانبياء وغير الانبياء من الخاصة والعامة ولا يفهم عاقل من ذلك ان ذات المذكور اتحدت بالآخر أو حلت فيه الا من هو جاهل كالنصارى • والناس يرون الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك في الماء الصافي وفى المرآة المجلوة ونحو ذلك ويقول أحدهم رأيت وجه فلان في هذه المرآة ورأيت الشمس والقمر في المرآة أو فى الماء مع علم كل عاقل ان نفس الشمس والقمر وغيرهما لم تحلا لافي المرآة ولا في الماء ولكن هذه رؤية مقيدة رآها بواسطة المثال الذي تمثل فى المرآة أو الماء سواء كان ذلك شعاعا منعكسا أو غير ذلك ومن هذا الباب قول القائل

اذا ظهر الغـدير على صفاء　　وجنب ان يحركه النسيم
تري فيه السماء بلا امتراء　　كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلى　　يري فى صفوها الله العظيم

فقد أخبر ان الله يرى في قلوب العارفين كما ترى الشمس والنجوم في الماء الصافي بل يتصور لاحدهم صورة من يعرفه بحمرة أو خضرة أو سواد فيقول والله هذا هو فلان بعينه مع علمه وعلم كل من سمعه انه مثاله المطابق لصورته لاعينه وذلك لمماثلة تلك الصورة لصورته يريد ان هذا تمثيل مطابق له لايخالف • ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم من رآني فى المنام فقد رآني حقا فان الشيطان لايتمثل فى صورتي لم يرد انه رآى جسدي الذى في القبر وروحي التى فى الجنة حالة في ذاته فان هذا ممتنع لوجوه كثيرة فلهذا قال فان الشيطان لايتمثل فى صورتى ولما دخل جماعة من الصحابة على المقوقس ملك النصارى بمصر واستخبرهم عن دينهم فاخبروه بذلك فاذا عنده شبه الربعة العظيمة مذهبة واذا فيها أبواب صغار ففتح منها بابا فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فيها صورة بيضاء فاذا رجل طوال اكثر الناس شعراً فقال اتعرفون هـذا ؛ قالوا قلنا لا فقال هذا آدم ثم أعاد وفتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء فاذا رجل ضخم الرأس عظيم له شعر كشعر القبط أحمر العين فقال اتعرفون هذا ؛ فقلنا لا فقال هذا نوح ثم أعاد وفتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء فاذا رجل ابيض الرأس واللحية كانه يتبسم فقال اتعرفون هذا ؛ قلنا لا فقال هذا ابراهيم ثم أعاده وفتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء قال اتعرفون

هذا ؛ قالنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال هذا والله محمد رسول الله قال والله يعلم انه قام ثم قعد ثم قال الله بدينكم انه نبيكم قالنا الله بدينا انه نبينا كانما ننظر اليه ثم قال أما انه كان آخر الابواب ولكني عجلته لكم لانظر ماعندكم ثم أعاد وفتح باباً باباً وهو يقول هذا موسى هذا هارون هذا داود هذا سليمان هذا عيسى وهذا كله لظهور المراد به ومعرفة الناس بمقصود المتكلم كما يقال لمن كتب اسمه في كتاب هذا فلان ومعلوم ان الموجود فى الكتاب اسمه المكتوب لاذاته الموجودة في الخارج ومن هذا الباب قوله تعالى (وكل شيء فعلوه في الزبر) وانما في الزبر ذكر اعمالهم وكتابة ذلك ويقال في كتابة الوثائق هذا ما أصدق فلان وهذا ما يقاضى عليه فلان وفلان ويقال هذا ذكر ماأصدق فلان أو يقاضى عليه فلان وفلان فيشار الى الموجود تارة والى ذكره تارة . ومعلوم ان الموجود في الكتاب ذكره لاعينه بل ذلك وجود الخط فى الاذهان المطابق لذكره باللفظ . والشيء له وجود فى الاعيان ووجود في الاذهان ووجود فى اللسان ووجود فى البنان ووجود عيني وعلمي ورسمي ولفظي وفي كل من الاربعة يذكر ويشار اليه مع القرائن والضمائر التى تبين تارة ان المشار اليه هو الخط المطابق للفظ وتارة تكون الاشارة الى اللفظ المطابق للمعنى ومعلوم ان المعنى الذى فى القلب اقرب الى الموجود فى الخارج من اللفظ والخط فاذا أشير الى مافى قلب العارف بعين المحب له الذاكر له فانه المعروف المحبوب كان أقرب لاسيما وقد يغلب الذكر والمعرفة والمحبة على القلب حتى يغيب بموجوده عن وجوده وبمعروفه عن معروفه وبمذكوره عن ذكره حتى يقول احدهم فى

هـذه الحال سبحاني او ما في هـذه الجبة الا الله • ومعلوم ان ذات الله تبارك وتعالى ليست الذي في قلبه بل في قلبه مثاله العلمي ومعرفته ومحبته فغاب بذلك عن نفسه هذا وان كان يقوله الغالط فيقول من ليس بغالط الله في قلب فلان • وفلان ما عنده الا الله ومن أراد الله فليذهب الى فلان وليس مرادهم ان ذات الله في قلبه بل مثاله العلمي ومعرفته وذكره ومحبته وانه لايعبد إلا الله ولا يرجو الا اياه ولا يخاف الا اياه ولا يعمل الا لله ولا يأمر الا بطاعته فيفنى بعبادته عن عبادة ما سواه وبطاعته عن طاعة ماسواه وبمحبته عن محبة ماسواه فما قيل في المسيح عليه السلام وأمثاله من هذا فهو حق لكن لا اختصاص للمسيح بهذا. واذا كان مثل هذا الكلام كثيراً موجوداً في كلام الانبياء وغيرهم بل هو المعروف في كلامهم ولا يوجد قط عن أحد من الأنبياء انه جعل ذات الله في قلب أحد من البشر علم ان النصارى تركوا المحكم من كلام الانبياء عليهم السلام وتمسكوا بالمتشابه كامثالهم من الضلال فاشتبه عليهم المعلوم بالقلوب المذكور بالالسن بالموجود في نفسه فظنوا ان نفس المثال العلمي هو الوجود العيني كما يظن ذلك كثير من الغالطين وهؤلاء يقولون بالحلول تارة وبالاتحاد أخرى ولا يفرقون بين حلول الايمان والمعرفة والمحبة والمثال العلمي في القلب وبين حلول الذات المعلومة المحبوبة وهـذا يعتقد كثير من هؤلاء انهم يكلمون الله ويكلمهم ويقول أحدهم أوقفني وقال لي وقلت له وتكون مخاطبته ومناجاته مع هذا المثال العلمي بحسب ماعندهم من الاعتقاد في الله تعالى وكثير منهم يتمثل له الشيطان ويقول أنا ربك

فيخاطبه بظنه ربه وانما هو الشيطان • ومنهم من يرى عرشاً عليه نور أو يرى مايظنه الملائكة وهم شياطين وذلك شيطان وكثير من هؤلاء يظن انه أفضل من الانبياء وانه يدخل الى الله بلا اذن خلاف الانبياء ويكون ذلك الاله الذى يعتقده هو الشيطان والذين لايتمثل لهم الشيطان يخاطب احدهم من في قلبه فتخاطبه تلك الصورة العامية ويقدر انها تخاطبه ويظن ذلك مخاطبة الحق له وهذا كالرجل يذكر بعض اصحابه فيمثله في قلبه ويخاطبه مخاطبة من يعاتبه او يعتذر اليه ويقدر خطاب تلك الصورة ويقول قلت لك كذا وقلت لى كذا • ونفس الشخص لايكلمه ولا يسمع كلامه وإنما هو المثال كما قد يصور صورة الانسان ويخاطبها الانسان ويقدر ذلك مخاطبة لصاحب الصورة والنصارى ادخل فى هذا من غيرهم فانهم يخاطبون الصور الممثلة في الكنائس كصورة مريم والمسيح والقديسين ويقولون انما نقصد خطاب اصحاب تلك الصورة نستشفع بهم وهذا مما حرمه الله على السن جميع النبيين ولم يشرع لاحد ان يدعو الملائكة ولا الانبياء والصالحين الاموات فكيف بالصور الممثلة لهم كما قد بسط في موضع آخر • والمقصود هنا ان كثيراً ما يوجد في كلام الناس الانبياء وغيرهم من ذكر ظهور الله عز وجل والمراد به ظهوره في قلوب عباده بالمعرفة والمحبة والذكر ولهذا لما كان يقصد بذكر اسمه ذكر المسمى صار يقول من يقول ان الاسم هو المسمى اي ان المراد المقصود من الاسم هو المسمى لا ان نفس اللفظ هو المسمى فان هذا لايقوله عاقل وتنزيه الاسم وتسبيحه تنزيه للمسمى وتسبيح له كما قال تعالى (سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق

فسوي) وقال (فسبح باسم ربك العظيم وقال تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام)وجاء في حديث لا تقوم القيامة حتى لا يعبد لله اسم أي لا يعبد الله باسم من اسمائه فانه اذا قيل دعوت الله وعبدته فانما في اللفظ الاسم والمقصود هو المسمى وهذا الذي ذكرناه من تفسير ظهور اللاهوت في المسيح وغيره بان المراد ظهور ما في القلوب من توحيد الله ومعرفته ومحبته وذكره ونوره وهداه وروحه هو مما يفسر به ذلك كثير من علماء النصارى فانهم يفسرون اتحاد اللاهوت بالناسوت بظهور اللاهوت فيه كظهور نقش الخاتم في الشمع والطين • ومعلوم ان الحال في الشمع والطين هو مثال نقش الخاتم لا ان في الشمع والطين شيئاً من الخاتم بل ظهر فيه نقش الخاتم وكذلك يظهر نور الله وروحه في الانبياء والصالحين وهذا المعنى لا يختص به المسيح عليه السلام بل يشترك فيه هو وسائر الرسل بل وكل مؤمن له من هذا نصيب بحسب ايمانه

(فصل) قالوا وقال اشعيا النبي ها هي العذرا تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه عمانويل وعمانويل كلمة عبرانية تفسيرها بالعربي إلهنا معنا فقد شهد النبي ان مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما* فيقال ليس في هذا الكلام ان مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت وانها ولدت خالق السموات والارض بل هذا الكلام يدل على ان المولود ليس هو خالق السموات والارض فانه قال تلد ابناً وهذا نكرة في الاثبات كما يقال في سائر النساء ان فلانة ولدت ابناً وهذا دليل على انه ابن من البنين ليس هو خالق السموات والارضين • ثم قال ويدعى اسمه عمانويل فدل بذلك على ان هذا اسم يوضع له ويسمى به كما يسمي

الناس ابناءهم باسماء الاعلام أو الصفات التي يسمونهم بها • ومن تلك الاسماء مايكون مرتجلاً ارتجلوه • ومنها مايكون جملة يحكونها ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمى ابنه عمانويل ثم منهم من يقول العذراء المراد بها غير مريم ويذكرون فى ذلك قصة جرت • ومنهم من يقول بل المراد بها مريم وعلى هـذا التقدير فيكون المراد أحد معنيين اما انه يريد ان إلهنا معنا بالنصر والاعانة فان بنى اسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم فلما بعث المسيح عليه السلام بالحق كان الله مع من اتبع المسيح والمسيح نفسه لم يبق معهم بل رفع الى السماء ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والاعانة كما قال تعالى (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) وقال تعالى (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وهذا اظهر وإما ان يكون يسمى المسيح إلها كما يقولون انه يسمى موسى اله فرعون أى هو الآمر الناهى له المسلط عليه وقد حرف بعضهم معنى هذه الكلمة فقال معناها الله معنا فقال من رد عليهم من علمائهم يقال لهم أهذا هو القائل أنا الرب ولا اله غيرى انا اميت وانا احيي أم هو القائل لله انك انت الاله الحق وحدك الذي أرسلت يسوع المسيح واذا كان الاول باطلا والثانى هو الذي شهد به الانجيل وجب تصديق الانجيل وتكذيب من كتب فى الانجيل ان عمانويل تاويله الله معنا بل تاويل عمانويل معنا اله وليس المسيح مخصوصا بهذا الاسم بل عمانويل اسم يسمى به النصارى واليهود من قبل النصارى وهذا موجود فى عصرنا هذا في أهل الكتاب من سماه أبوه عمانويل يعنى شريف القـدر قال وكذلك السريان اكثرهم

يسمون أولادهم عمانويل قلت ومعلوم ان الله مع المتقين والمحسنين والمقسطين بالهداية والنصر والاعانة ويقال للرجل في الدعاء الله معك فاذا سمي الرجل بقوله الله معك كان هذا تبركاً بمعنى هذا الاسم واذا قيل أن المسيح سمى الله معنا أو إلهنا معنا ونحو ذلك كان ذلك دليلاً على ان الله مع من اتبع المسيح وآمن به فيكون الله هاديه وناصره ومعينه

(فصل) قالوا وقال اشعيا ايضاً ان غلاماً ولد لنا واننا اعطيناه الذى رياسته على عاتقيه وبين منكبيه ويدعي اسمه ملكا عظيم المشية مسيرا عجيبا الها قويا مسلطاً رئيس السلامة في كل الدهور وسلطانه كامل ليس له فناء فيقال ليس في هذه البشارة دلالة بينة ان المراد به المسيح عليه السلام ولو كان المراد به المسيح لم يدل على مطلوبهم بل قد يقال المراد بها محمد صلى الله عليه وسلم فانه الذى رياسته على عاتقيه وبين منكبيه من جهتين • من جهة ان خاتم النبوة على بعض كتفيه وهو علامة من اعلام النبوة الذى اخبرت به الانبياء وعلامة ختمهم • ومن جهة انه بعث بالسيف الذي يتقلد به على عاتقه ويرفعه اذا ضرب به على عاتقه ويدل على ذلك قوله مسلط رئيس قوي السلامة وهذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد المنصور المسلط رئيس السلامة فان دينه الاسلام ومن اتبعه سلم من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ومن استيلاء عدوه عليه • والمسيح عليه السلام لم يسلط على اعدائه كما سلط محمد صلى الله عليه وسلم بل كان اعداؤه بحيث يقدرون على صلبه وعند النصارى قد صلبوه وعند المسلمين القى الله شبهه على غيره فصلب ذاك المشبه فبهذه الطريق دفع الله الصلب عنه لا بقهر اعدائه واهلاكهم وذلهم له كما نصر

الله محمدا صلى الله عليه وسلم على اعدائه وقال في كل الدهور سلطانه كامل ليس له فناء وهذا صفة خاتم الرسل الذى لا يأتى بعده نبي ينسخ شرعه ٠وسلطانه بالحجة واليد كامل لا يحتاج فيه الى الاستعانة بشرع آخر وشرعه ثابت باق الى آخر الدهر

(فصل) قالوا وقال اشعيا ايضاً يخرج عصاه من بيت سبى وينبث نور منها ويحل فيه روح القدس روح الله روح الحكمة والفهم روح الحيل والقوة روح العلم وخوف الله وفي تلك الايام يكون أصل يسبى آية للامم وبه يؤمنون وعليه يتوكلون ويكون لهم انتاج والكرامة الى دهر الداهرين*والجواب ان هذا الكلام بعد المطالبة بصحة نقله عن النبي وصحة الترجمة له باللسان العربي هو حجة على النصارى لا لهم فانه لا يدل على ان المسيح هو خالق السموات والارض بل يدل على مثل ما دل عليه القرآن من ان المسيح عليه السلام ايد بروح القدس فانه قال ويحل فيه روح القدس روح الله روح الحكمة والفهم روح الحيل والقوة روح العلم وخوف الله ولم يقل تحل فيه حياة الله فضلا عن ان يقول حل فيه الله او اتحد به ولكن جعل روح القدس هى روح الله وهى روح الحكمة والفهم والعلم وهى روح الحيل والقوة كما عندهم في التوراة ان الذين كانوا يعملون في قبة الزمان حلت فيهم روح الحكمة روح الفهم وروح العلم فهى ما يحصل به الهدى والنصر كما قال تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولى الايدي والابصار) فقال هى روح الله وهذا كقوله تعالى (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وقوله تعالى وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب

ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشآء من عبادنا)وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره) فما أنزله يسمى هدى الله وروح الله ووحي الله ونور الله ونحو ذلك وقال تعالى لما ذكر انبياءه من ذرية ابراهيم فقال(ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون (وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس وكل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) وقال تعالى(فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) وسماه نور الله كقوله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) فهذا هدى الله ونور الله هو روح الله كما قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) وقال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه

(فصل) قالوا وقال اشعيا أيضاً من أعجب الاعاجيب ان رب الملائكة سيولد من البشر *فيقال مثل هذا الكلام لابد أن يكون قبله كلام و بعده كلام وهو منقول من لغة الى لغة ونحن نعلم قطعاً انه لم يرد ان رب العالمين يولد من البشر ولو أراد ذلك لم يقل رب الملائكة فقط فان الله

رب كل شيء لكن قد يريد انه يولد من البشر من يكون سيد الملائكة تخدمه وتكرمه كما سجدت الملائكة لابي البشر آدم. والنصارى يسلمون ان اللاهوت ماهو متولد من البشر وانما المتولد من البشر هو الناسوت وليس هو رب العالمين بالاتفاق . فعلم انه لاحجة لهم فى ظاهر اللفظ ان قدر سلامته من التغيير ونظير هذا ماعندهم فى انجيل متى ان ابن الانسان يرسل ملائكته ويجمعون كل الملوك رباً على الامم فيلقونهم في أتون النار قال بعض علماء اهل الكتاب لم يرد بذلك ان المسيح هو رب الارباب ولا انه خالق الملائكة بل رب الملائكة اوصى الملائكة بحفظ المسيح . بشهادة النبي القائل ان الله يوصى ملائكته بك ليحفظوك ثم شهادة لوقا ان الله ارسل له ملكاً من السماء ليقويه قال واذا شهد الانجيل باتفاق الانبياء والرسل بان الله يوصى ملائكته بالمسيح فيحفظونه علم ان الملائكة تطيعه للمسيح بالامر وهو والملائكة فى خدمة رب العالمين وقال المسيح لتلاميذه من قبلكم فقد قبلني ومن قبلني فقد قبل من ارسلني وقال المسيح من انكرنى قدام الناس انكرته قدام ملائكة الله وقال للذى ضرب عبد رئيس الكهنة اغمد سيفك ولا تظن ان لا أستطيع ان ادعو الله الاب فينقم لى اكثر من اثنى عشر جوقا من الملائكة

(فصل) قالوا ومثل هذا القول في كتب الله المنزلة على أفواه الانبياء والرسل شيء كثير عند النصارى جميعهم المختلفة السنتهم المفرقين فى سبعة اقاليم العالم المتمسكين بدين النصرانية قول واحد ونص واحد على ماتسلموه من الحواريين حين انذروهم وردوهم عن عبادة الاصنام الي معرفة الله تعالى سلموها اليهم كل أمة بلسانها وهى على هيئتها الى

يومنا هذا* والجواب عن هذا من وجوه• أحدها إن القول في سائر مايذكرونه من النصوص كما تقدم وقد تكلم على هذا من تكلم عليه من علماء النصارى الذين هداهم الله وبينوا ماوقع فى ذلك من تحريفهم لمعاني الكتب التى عندهم وذكروا مما عندهم من النصوص الصريحة بان المسيح عبد الله ليس هو الله مايتبين به بطلان قولهم وانهم ممن تركوا المحكم من الآيات واتبعوا المتشابه ولهذا انزل الله فيهم (فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يتذكر إلا أولوا الالباب) وهذا كقول المسيح عليه السلام لما سئل عن علم الساعة فقال لايعلمها انسان ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن الا الاب فقط فنفى عن نفسه علم الساعة وهذا يدل على شيئين على ان اسم الابن انما يقع على الناسوت دون اللاهوت فان اللاهوت لايجوز ان ينفى عنه علم الساعة ويدل على ان الابن لم يكن يعلم ما يعلمه الله وهذا يبطل قولهم بالاتحاد فانه لو كان الاتحاد حقا كما يزعمون لكان الابن يعلم مايعلمه الله ويقدر على مايقدر عليه فانه هو الله عندهم والناسوت لايتميز عندهم عن اللاهوت فيما يوصف به المسيح من كونه عالما قادرا يحيي ويميت وقال المسيح لتلاميذه آمنوا بالله وآمنوا بي. وقال أيضاً من يؤمن بى فليس يؤمن بى فقط بل وبالذي أرسلني وهم يذكرون ان المسيح عليه السلام استصرخ لله قائلاً الهي الهي انظر لماذا تركتني وتباعدت عن خلاصي • الوجه الثانى قولهم ان هذه الكتب التى بايديهم من التوراة والانجيل وسائر النبوات تسلموها من الحواريين كل أمة بلسانها وهى

على هيئتها قول لم يقيموا على صحته دليلا بل ادعوا ذلك دعوى مجردة ومثل هذا النقل ان لم يثبت بالتواتر لم يحتج به في المسائل العلمية لاسيما اذا قيل في الوجه الثالث ان هـذا كذب ظاهر فان كثيراً من الالسنة ليس عند أهله انجيل قديم ومن ذلك لسان العرب فان العرب النصارى كثيرون قبل الاسلام ولا تعرف توراة ولا انجيل ولا نبوات عربية إلا ماعرب من النسخ العبرية والرومية والسريانية ونحن نطالبهم بهذه الكتب التي هي بالعربية التي في زمن الحواريين اين هي ومن رآها ولو قدر انها كانت بالعربية فهذه النسخ اليوم العربيه الموجودة بايدي الناس هي مما عرب مما بايديهم وحينئـذ فلا تعرف صحتها ان لم تعرف صحة الترجمة ويثبت نقل تلك عن المسيح عليه السـلام وهكذا القول في سائر الالسن .الوجه الرابع ان التوراة والنبوات نقلت من نسخ اليهود والاناجيل هي أربعة كتبت بعد المسيح عليه السلام واثنان ممن كتبها لم يريا المسيح وهما لوقا ومرقس واثنان رأياه وهما يوحنا ومتى والنسخ انما كثرت عن الاربعة وما ينقله الاربعة لايجب ان يكون متواتراً معلوماً واذا كثرت الالسن بها فمن بعد الاربعة؟ لا ان الذين سمعوها من المسيح عليه السلام تكلموا باثنين وسبعين لساناً فان هذا لم ينقله أحد ولا يقوله عاقل اذ الحواريون كانوا اثنى عشر لم يكونوا اثنين وسبعين فاذا قيل انه نقلها اثنان وسبعون فهم نقلوها عمن نقلها اليهم من الحواريين وهم انما يسندون نقلها الى الاربعة.الوجه الخامس ان الحواريين ليسوا معصومين بل يجوز على أحدهم الغلط في بعض ماينقله وما ينقل من خوارقهم للعادات فمن الناس من يكذبه ومنهم من

يصدقه ولا دلالة فيه على عصمتهم إلا ان يثبت انهم ادعوا النبوة وأقاموا المعجزات الدالة على نبوتهم ولم يكن الامر كذلك وإلا فالصالحون اذا كانت لهم كرامات لم تدل كراماتهم على انهم معصومون كالانبياء بل يجوز عليهم الغلط مع ثبوت كراماتهم • والحواريون عندهم ليسوا بأنبياء وان سموهم رسلاً فهم رسل المسيح لارسل الله تبارك وتعالى • الوجه السادس ان في هذه الكتب التي بأيديهم ما يناقض قولهم من الاقوال الصريحة الكثيرة ماهو اكثر واصرح مما احتجوا به على قولهم • والواجب حينئذ التمسك بالصريح المحكم ورد المتشابه اليه لايجوز التمسك بالمتشابه ورد المحكم اليه • الوجه السابع انه بتقدير ان يكون فى الارض هذه الكتب باثنين وسبعين لساناً سواء كانت منقولة عن الحواريين نقلا صحيحاً أو كان نقل اكثرها أو كثير منها مترجمة من لغة الى لغة فمعلوم انه بكل لسان عدة نسخ ولو لم يكن بها إلا لسان واحد مع كثرة النسخ بها في مشارق الارض ومغاربها لم يمكن أحداً ان يقطع بان جميع النسخ على لفظ واحد ونص واحد كما ادعاه هؤلاء في الاثنين وسبعين لسانا حيث قالوا مثل هذا القول في كتب الله المنزلة على أفواه الانبياء والرسل كثيرة عند النصارى جميعهم المختلفة السنتهم المتفرقين فى سبعة أقاليم العالم المتمسكين بدين النصرانية قول واحد ونص على ماتسلموه من الحواريين وردوهم عن عبادة الاصنام فسلموها اليهم كل أمة بلسانها وهى على هيئتها الى يومنا هذا فان هذا الكلام يتضمن عدة دعاوي ليس فيها ما يمكن قائله ان يكون عالما به فمسلم ان هؤلاء تكلموا بهذا الكلام بلا علم بل بالجهل والضلال كما هو عادتهم

فانه يقال لهم من الذي جمع كل نسخة في العالم من جميع التوراة والانجيل والزبور وسائر النبوات الاربعة والعشرين باسان واحد كالعربي مثلا وهل ميز جميع النسخ فلم يجد نسخة تزيد على نسخة ولا تنقص عنها ومعلوم ان كان هذا ممكناً أمكن ان يقال جمعها جامع وغير بعض الفاظها فلا يمكنهم دعوى بقائها بلا تغير وان لم يمكن ذلك لم يمكن أحداً ان يقول أنا أعلم موافقة كل نسخة من نسخ هذه الكتب لكل نسخة توجد في سبعة أقاليم العالم بذلك اللسان فضلا عن اثنين وسبعين لسانا فضلا عن ان يقال انا اعلم ان هذه الالسن كلها تكلمت بها الحواريون وهي باقية على لفظهم الى اليوم. ومعلوم ان الانسان اذا أمكنه جمع نسخ كتاب واحد من جميع الفنون من كتب الطب والحساب والهندسة والنحو والفقه والحديث كان امكان تغيير بعض الفاظ تلك النسخ أيسر عليهم من مقابلة الفاظ كل نسخة بالفاظ تلك النسخ مثلها فان هذا لا يقدر عليه في العادة بل هو متعذر أو متعسر ولا سيما المقابلة ان كانت بين اثنين فكل منهما ينقل للآخر لفظ نسخته فيكون مدار المقابلة على خبر واحد لم يقترن بخبره ما يعلم به صدقه فقد يغلطان أو يكذبان جميعاً . وان كانت بين عدد يحصل بهم العلم احتاجت كل نسخة بكل لسان الى ان يشهد بلفظها جمع يحصل بهم العلم وأولئك بأعيانهم يشهدون بلفظ كل نسخة بكل لسان وشهدوا بلفظ كل نسخة ويشهد لهم من هو مثلهم بلفظ النسخة الاخرى وموافقتها لها وهؤلاء أو مثلهم بموافقة النسخة الثانية ومعلوم ان هذا لم يفعله احد ولا يقدر عليه أحد بل لو اجتمع جميع ملوك النصارى على ذلك وعلماء بلادهم على ذلك لم يقدروا عليه فانه

من النسخ ماهو عند المسلمين ومنها ماهو في بلاد لاحكم لهم عليها وايضاً
فقد يكون في بلادهم من النسخ مالم يظهرها اصحابها فكل من شهد من
النصارى وغيرهم بان كل نسخة في العالم بهذه الكتب توافق جميع
النسخ فهو شاهد زور شهد بما لايعلم بل شهد بما يعلم انه كاذب فيه
وكذلك لو شهد بمثل هذا النسخ اي كتاب كان فان العادة المعروفة ان
نسخ الكتب تختلف ويزيد بعضها وينقص بعضها والقرآن المنقول
بالتواتر لم يكن الاعتماد في نقله على نسخ المصاحف بل الاعتماد على
حفظ اهل التواتر له فى صدورهم ولهذا اذا وجد مصحف يخالف
حفظ الناس اصلحوه وقد يكون فى بعض نسخ المصاحف غلط فلا
يلتفت اليه مع ان المصاحف التى كتبها الصحابة قد قيد الناس صورة
الخط ورسمه وصار ذلك ايضاً منقولا بالتواتر فنقلوا بالتواتر لفظ
القرآن حفظاً ونقلوا رسم المصاحف ايضاً بالتواتر ايضاً ونحن لا ندعي
اتفاق جميع نسخ المصاحف كالا ندعي ان كل من يحفظ القرآن لا يغلط
بل الفاظه منقولة بالتواتر حفظاً ورسما فمن خرج عن ذلك علم الناس
انه غالط لمخالفته النقل المتواتر بخلاف هذه الكتب فان النصارى
لم يحفظوها كلها في قلوبهم تلقيا لها عن الحواريين حفظاً منقولا بالتواتر
بل لم يكن أحد منهم يحفظها كلها فضلا عن ان يحفظها كلها اهل التواتر
فضلا عن ان يحفظ كل لسان منها من تواتر بهم ذلك اللسان وهذا أمر
معلوم لجميع النصارى وغيرهم انه لم يحفظها كلها بكل لسان من زمن
الحواريين عدد التواتر بل ولا في زمن من الازمان بل بعد انتشار
النصارى وكثرتهم وتفرقهم فى الاقاليم السبعة لايكاد يوجد فيهم من

يحفظها كلها عن قلبه كما يحفظ صبيان مكاتب المسلمين القرآن فكيف يحفظها في كل زمان اهل التواتر فكيف يحفظ كل لسان من الاثنين وسبعين أهل التواتر واذا كان اعتمادهم انما هو على الكتب وهم لا يمكنهم معرفة اتفاق جميع النسخ بلسان واحد فضلا عن جميع الالسنة علم ان دعواهم انها لم تزل متفقة على نص واحد ولفظ واحد وان جميع نسخها متفقة في هذا الزمان وفيما قبله كلام مجازف يتكلم بلا علم بل يتكلم بما يعلم انه باطل ٠ الوجه الثامن ان هذا لو قدر امكانه فانما يكون منقولا لو لم يعلم انه كذب فكيف مع العلم بانه كذب فانه يوجد في هذا الزمان نسخ التوراة والانجيل والزبور والنبوات مختلفة متناقضة والنسخ التي عند النصارى مختلفة وهي ايضاً تخالف نسخ اليهود والسامرة في مواضع وحينئذ فاذا قالت النصارى نسخنا هي الصحيحة لم يكن هذا أولي من قول اليهود نسخنا هى الصحيحة بل معلوم ان اعتناء اليهود بالتوراة أعظم من اعتناء النصارى ثم بعد هذا ما ذكروه لا يكفي ان لم يعلم ان نسخهم توافق النسخ التي عند اليهود حتى السامرة وهذا غير معلوم وان قالوا اذا خالف نقل اليهود لنقل الحواريين لم يلتفت اليه لانهم معصومون كان هذا مبنياً على دعوى عصمتهم وقد عرف فساده واذا قالت النصارى نحن ننقلها عن الحواريين المعصومين قالت اليهود نحن ننقلها عن موسى المعصوم باتفاق أهل الملل أو عن العارف المعصوم باتفاق اليهود والنصارى وكثير من المسلمين فالتوراة باتفاق الخلق ماخوذة عن موسى ابن عمران وهو معصوم وانما يطعن من يطعن في نقل بعضها لانقطاع التواتر في أثناء المدة لما خرب البيت المقدس

ولم يبق فيه ساكن أكثر من سبعين سنة فيقول بعض الناس ان بعض الفاظها غير حينئذ ويقول بعضهم لم تغير الفاظ جميع النسخ وانما غير الفاظ بعض النسخ وانتشرت النسخ المغيرة عند كثير من الناس حتى لايعرفون غيرها ثم بنوا اسرائيل لم يزل فيهم نبي بعد نبي حتى جاء المسيح وبعد المسيح فلم يزالوا خلقاً كثيراً لايمكن تواطئهم في مشارق الارض ومغاربها على تغيير جميع نسخ التوراة بخلاف الانجيل فانه انما نقلها اربعة ومن كتب التوراة والزبور والنبوات من اتباع المسيح فانما كتبوها من النسخ التي كانت بايدي اليهود واذا قالوا كانوا معصومين فهذا ممنوع عند المسلمين واليهود وعلى تقدير تسليمه فاليهود ينقلونها أيضاً عن المعصوم قبل هؤلاء فلا يمكن مع هذا ان يدعى مدعي ان النبوات التى عند النصارى تواترت عن المعصوم اعظم من تواتر ماعند اليهود بل لايشك العقلاء العادلون ان نقل حروف التوراة اصح من نقل حروف الانجيل وهذا أمر يعرف من وجوه متعددة فان التوراة أخذت عن المعصوم باتفاق أهل الملل وكانت منقولة قبل المسيح بين الانبياء وبين بنى اسرائيل أعظم من نقل الانجيل وبعد المسيح نقلها اليهود والنصارى واذا كان كذلك فاذا وجد ماعند اليهود والسامرة من نسخ النبوات يخالف ما عند النصارى في بعض الألفاظ كان هذا دليلا على ان هذه الكتب ليست الفاظها منقولة عن نص واحد وانه ليس كل لفظ من الفاظها متواترا والله اعلم • الوجه التاسع ان جميع ماعندهم من النصوص الصحيحة لايدل على مذهبهم البتة نصا بل غاية مايدعون فيها الظهور وهم منازعون فى ذلك حتى يقال بل الظاهر فيما يحتجون به خلاف

قولهم ومعلوم ان أصول الايمان التي يؤمن أهل الايمان بها ويكفرون من خالفها لابد ان تكون معلومة عندهم عن الانبياء والعلم لا يحصل بلفظ علم محتمل فعلم انه لا علم عندهم عن الانبياء عليهم السلام وهو محل النزاع

الوجه العاشر ان أصرح ماعندهم من التثليث هو قوله عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس وعلى هذا القول بنوا قولهم بالتثليث واثبتوا لله ثلاثة اقانيم ولفظ الاقانيم لم ينطق به احد من الانبياء ولا أحد من الحواريين باتفاقهم بل هو مما ابتدعوه • قيل انه لفظ رومي معناه الاصل ثم اقنوم الابن تارة يقولون هو علم الله وتارة يقولون هو حكمة الله وتارة يقولون هو كلمة الله وتارة يقولون هو نطق الله وروح القدس تارة يقولون هو حياة الله وتارة يقولون هو قدرة الله • والكتب المنقولة عن الانبياء عندهم ليس فيها تسمية شيء من صفات الله لاباسم ابن ولا باسم روح القدس فلا يوجدان أحدا من الانبياء يسمى علم الله وحكمته وكلامه ابناً ولا سمي حياة الله أو قدرته روح القدس بل روح القدس في كلام الانبياء يراد بها معنى ليس هو حياة الله كما يراد بها ملك الله أو ماينزله في قلوب الانبياء والصالحين من هداه ونوره وتأييده ونحو ذلك واذا كان كذلك علم ان مافسروا به قول المسيح عليه السلام عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس كذب صريح عليه وكذلك مافسروا به كلام الانبياء من اثبات الاقانيم الثلاثة كذب صريح عليهم كقولهم اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب أرادوا به اثبات ثلاثة الهة فان هذا مما يعلم بالضرورة ضلالهم فيه وافتراءهم على الانبياء ويعلم ان اله الثلاثة هو اله واحد ليس اله ابراهيم الهاً آخر غير اله اسحاق حتي لو قيل بالاقانيم

فلا يقول عاقل ان أحد الاقانيم اله هذا والاقنوم الآخر إله الآخر فان هذا لم يقله أحد من العقلاء لا النصارى ولا غيرهم يقولون ان الاب اله ابراهيم مثلا والابن اله اسحاق وروح القدس اله يعقوب بل هم متفقون مع قولهم بالتثليث ان الجميع اله واحد لجميع المرسلين ليس اله هذا اقنوما واله الآخر اقنوماً آخر فعلم ان مايفسرون به كلام الانبياء كذب لا يصح لاعلى تثليثهم الذي ابتدعوه ولا قول أهل التوحيد لرسل الله تعالى

(فصل)قال الحاكي عنهم فقلت لهم اذا كانت هذه النبوات عند اليهود وهم مقرون معترفون بها انها حق وانها عتيدة ان تكمل عند مجيء المسيح فاي حجة لهم يحتجون بها عن الايمان به ؟ أجابوا قائلين ان الله اختار بني إسرائيل واصطفاهم على الناس له شعبا في ذلك الزمان وحيث كانوا في أرض مصر في عبودية فرعون أرسل اليهم موسى النبي دلهم على معرفة الله ووعدهم ان الله يخلصهم من عبودية فرعون ويخرجهم من مصر ويريهم ارض الميعاد التي هي أرض بيت المقدس فطلب موسى من الله وعمل العجائب قدام عيونهم وضرب اهل مصر العشر ضربات وهم يرون ذلك جميعه ويعلمون ان الله يصنعه لاجلهم وأخرجهم من مصر بيد قوية وشق لهم البحر وأدخلهم فيه وصار لهم الماء حائطاً عن يمينهم وحائطاً عن شمالهم ودخل فرعون وجميع جنوده في البحر وبنوا اسرائيل ينظرون ذلك فلما برز موسى وبنوا اسرائيل من البحر وخلفهم فرعون بجنوده فيه أمر الله لموسى ان يرد عصاه الى الماء فعاد الماء كما كان وغرق فرعون وجميع جنوده في البحر وبنوا اسرائيل

يشهدون ذلك فلما غاب عنهم موسى أتى الجبل ليناجي ربه وأخذ لهم
التوراة من يد الله تركوا عبادة الله ونسوا جميع أفعاله وكفروا به وعبدوا
رأس العجل من بعد ذلك ثم عبدوا الاصنام مراراً كثيرة ليس مرة
واحدة وذبحوا لها الذبائح ليست حيوانات بل بأبنائهم مع البنات حسبما ذكر
فيما قبل ذلك وجميع أفعالهم مكتوبة في أخبار بني اسرائيل فلما رأى
الله قساوة قلوبهم وغلظ رقابهم وكفرهم به ورأى أفعالهم النجسة الخبيثة
غضب عليهم وجعلهم مرذولين وطبع على قلوبهم فلا يؤمنون وجعلهم
مهانين في جميع الامم وليس لهم ملك ولا بلاد ولا نبي ولا كاهن الى
الابد حسبما تنبأت عليهم الانبياء على ماذكرناه قبل وتشهد به كتبهم التي
في أيديهم الى يومنا هذا وكذا قال الله لأشعيا اذهب الى هذا الشعب فقل لهم
تسمعون سماعا ولا تفهمون وتنظرون نظراً ولا تبصرون لان قلب هذا
الشعب قد غلظ وقد سمعوا بافهامهم سمعاً ثقيلا وقد غمضوا أعينهم لئلا
يبصروا بها ويسمعوا باذانهم ولا يفهمون بقلوبهم ويرجعون الي فارحمهم
وقال أشعيا قال الله هكذا مقت نفسي سبوتكم ورؤس شهوركم صارت
عندي مرذولة وقال وفي ذلك اليوم يقول الله سأبطل السبوت والاعياد
كلها واعطيكم سنة جديدة مختارة لا كالسنة التي أعطيتها لموسى عبدي
يوم خوريب يوم الجمع الكثير بل سنة جديدة مختارة آمر بها وأخرجها
من صهيون فصهيون هي أورشليم والسنة الجديدة المختارة هي السنة التي
تسلمناها نحن معشر النصارى من يدي الرسل الحواريين الاطهار الذين
خرجوا من أورشليم وداروا في سبعة أقاليم العالم وانذروا بهذه السنة
الجديدة فاي بيان يكون اوضح وأصح من هذا البيان اذ قد أوردناه من

قول الله ولاسيما واعداؤنا اليهود المخالفون لديننا شهدوا لنا بصحة ذلك جميعه • وأما حجة اليهود في هذه النبوات يقولون ويعتقدون انها حق وانها قول الله لكن يقولون انها عتيدة ان تكمل وتتم عند مجيء المسيح لكن المسيح ينكرون مجيئه ويقولون بعد ما جاء وان الذي جاء ليس هو المسيح هذا قولهم وكفاهم انهم يكفرون ويفتخرون مع الكفر ويقولون ان المسيح كان ضالا مضلا واما المسيح الحق فعتيد انه يأتي ويكمل نبوات الانبياء اذا جاء واذا جاء اتبعناه وكنا انصاره وهذا رأيهم واعتقادهم في السيد المسيح فماذا يكون أعظم من هذا الكفر الذي هم عليه ولاجل ذلك في هذا الكتاب سماهم المغضوب عليهم لاجل خلافهم لقول الله الذي نطقه على أفواه الانبياء ولما كنا نحن النصارى متمسكين بما أمرنا به الرسل الاطهار سمانا في هذا الكتاب المنعم عليهم وأما قولنا في الله ثلاثة اقانيم اله واحد فهو ان الله نطق به وأوضحه في التوراة وفي كتب الانبياء ومن ذلك ما جاء في السفر الاول من التوراة يقول حيث شاء الله ان يخلق آدم قال لنخلق خلقاً على شبهنا ومثالنا فمن هو شبهه ومثاله سوى كلمته وروح قدسه وحين خالف آدم وعصى ربه ها آدم قد صار كواحد منا وهذا واضح ان الله قال هذا القول لابنه اي كلمته وروح قدسه وقال هذا القول يستهزئ بآدم أي طلب ان يصير كواحد منا صار عرياناً مفتضحاً وقال الله عند ما أخسف بسدوم وعامورة قال في التوراة وأمطر الرب من عند الرب من السماء على سدوم وعامورة نارا وكبريتاً أوضح بهذا ربوبية الاب والابن بذكر ثالث * والجواب ان يقال أما كفر اليهود كلهم لما أرسل المسيح عليه السلام اليهم فلم يؤمنوا به وكفر

من كفر منهم قبل ذلك اما بقتل النبيين واما بتكذيبهم واما بالشرك واما بغير ذلك مما كفروا فيه بما انزل الله فهذا حق وهذا هو نظير كفر النصارى كلهم الذين بلغتهم دعوة محمد صلى الله عليه وسلم واقام الله عليهم الحجة به فلم يؤمنوا به وكفر من كفر منهم قبل ذلك بما انزل الله اما بتكذيب بعض ما انزله واما بتبديله واما بجعل ما لم ينزله الله منزلاً منه واما بغير ذلك مما فيه كفر بما انزل الله عز وجل وكذلك ما ذكر من ان الله أقام سنة جديدة وعهداً جديداً وهو مابعث به المسيح عليه السلام من الشريعة التي بعث بها وفيها تحليل بعض ى الله في التوراة كما في القراءة عن المسيح ولا حل لكم بعض الذي عليكم فهذا أيضاً حق

هم

(فصل) وأما قولكم السنة الجديدة المختارة هي السنة التي هدا من يدي الرسل الاطهار على ما تسلموها هم من المسيح عليه السلام فيقال لو كنتم على تلك السنة لم تغيروها لم ينفعكم المقام عليها إنهم الرسول النبي الامي الذى بعث اليكم والى سائر الخلق بسنة ت أكمل من السنن التي كانت قبله كما لم ينفع اليهود ولو تمسكوا التوراة ولم يتبعوا سنة المسيح الذى أرسل اليهم بل من كذب برسول واحد فهو كافر كما قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون إن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا فانه وان كانت السنة التي جاء بها المسيح عليه السلام حقا وكل من كان متبعاً له فهو مؤمن مسلم من أولياء الله من أهل الجنة الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون كما قاله

تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال تعالى (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) فمن اتبع المسيح كان مؤمنا ومن كفر به كان كافرا وقال تعالى (ياعيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لايحب الظالمين) لكن غيرتموها وبدلتموها قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فصرتم كفارا بتبديل شريعة المسيح وتكذيب شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما كفرت اليهود بتبديل شريعة التوراة وتكذيب شريعة الانجيل ثم كفروا بتكذيب شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر رسل الله أجمعين فان المسيح لم يسن لكم التثليث والقول بالاقانيم ولا القول بانه رب العالمين ولا سن لكم استحلال الخنزير وغيره من المحرمات ولا ترك الختان ولا الصلاة الى المشرق ولا اتخاذ أحبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله ولا الشرك واتخاذ التماثيل والصليب ودعاء الموتى والغائبين من الانبياء والصالحين وغيرهم وسؤالهم الحوائج ولا الرهبانية وغير ذلك من المنكرات التي أحدثتموها ولم يسنها لكم المسيح ولا ما أنتم عليه هي

السنة التى سلمتموها من رسل المسيح بل عامة ما أنتم عليه من السنن امور محدثة مبتدعة بعد الحواريين كصومكم خمسين يوماً زمن الربيع واتخاذكم عيدا يوم الخميس والجمعة والسبت فان هذا لم يسنه المسيح ولا أحد من الحواريين وكذلك عيد الحواريين الميلاد والغطاس وغير ذلك من أعيادكم بل عيد الصليب انما ابتدعته هيلانة الحرانية القندقانية أم قسطنطين فانتم تقولون انها هي التي أظهرت الصليب وصنعت لوقت ظهوره عيدا وذلك بعد المسيح والحواريين بعدة طويلة فى زمن ملك قسطنطين بعد المسيح باكثر من ثلثمائة سنة وفي ذلك الزمان احدثتم الامانة المخالفة لنصوص الانبياء فى غير موضع وأظهرتم استحلال الخنزير وعقوبة من يأكله وابتدعتم ذلك الزمان تعظيم الصليب وغير ذلك من بدعكم وكذلك كتب القوانين التي عندكم التي جعلتموها سنة وشريعة فيها شيء عن الانبياء والحواريين وكثير مما فيها ابتدعه من بعدهم لاينقلونه لاعن المسيح ولا عن الحواريين فكيف تدعون انكم على السنة والشريعة التى كان عليها المسيح عليه السلام وهذا مما يعلم بالاضطرار والتواتر انه كذب بين

(فصل) قالوا وأما قولنا فى الله ثلاثة اقانيم اله واحد فهو ان الله نطق به وأوضحه في التوراة وفي كتب الانبياء ومن ذلك ماجاء في السفر الاول من التوراة يقول حيث شاء الله أن يخلق آدم قال الله لنخلق خلقا على شبهنا ومثالنا فمن هو شبهه ومثاله سوى كلمته وروحه وحين خالف آدم وعصى ربه قال الله تعالى ها آدم قد صار كواحد منا وهو قول واضح ان الله قال هذا القول لابنه وروح قدسه والجواب ان

استدلالهم بهـذا على قولهم فى المسيح هو فى غاية الفساد والضلال فان لفظ التوراة نصنع آدم كصورتنا وشبهنا وبعضهم يترجمه نخلق بشرا على صورتنا شبهنا والمعنى واحد وهو كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن فقولهم من هو شبهه ومثاله سوى كلمتـه وروحـه من ابطل الأباطيل من وجوه احدها ان الله ليس كمثله شيء وليس لفظ النص على مثالنا ◦ الثانى انه لا اختصاص للمسيح بمـا ذكر على كل تقدير حق وباطل باى تفسير فسر قوله سنخلق بشرا على صورتنا شبهنا لم يخص ذلك المسيح ◦ الثالث انهم ان أرادوا بالكلمة التي هى شبهه ومثاله صفته التى هى العلم القائم به والحياة القائمة به مثلا فالصفة لا تكون مثالا للموصوف اذ الموصوف هو الذات القائمة بنفسها والصفة قائمة بها والقائم بغيره لا يكون مثل القائم بنفسه وان أرادوا به شيئاً غير صفاته مثل بدن المسيح وروحه فذلك مخلوق له والمخلوق لا يكون مثل الخالق وكذلك روح القدس سواء اريد به ملك أو هـدى وتأييد ليس مثـلا لله عز وجل الرابع انه قال لنخلق خلقا أو قال نخلق آدم أو نخلق بشراً على صورتنا وشبهنا وعلى ماقالوه نخلق خلقاً على شبهنا ومثالنا وبكل حال فهـذا مخلوق وكلمة الله وروحه عندهم غير مخلوق فامتنع ان يكون المراد بذلك كلمته وروحه وان قالوا أراد بذلك الناسوت المسيحي فلا فرق بين ذلك الناسوت وسائر النواسيت مع ان المراد بذلك النص آدم أبو البشر باتفاق الامم والناسوت نفسه ليس هو كلمة الله وروحه الخامس انه لو قدر انه أريد بذلك ان كلام الله يشبه ذاته من بعض الوجوه مثل كونه

قديماً بقدمه لم يكن فى ذلك مايدل على الاقانيم الثلاثة وكذلك اللفظ المعروف وهو قوله سنخلق بشراً على صورتنا شبهنا فهـذا لايدل على التثليث بوجه من الوجوه وشبه الشئ بالشيء يكون لمشابهته له من بعض الوجوه وذلك لايقتضى التماثل الذي يوجب ان يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع واذا قيل هذا حي عليم قدير وهذا حي عليم قدير فتشابها في مسمى الحي والعليم والقدير لم يوجب ذلك ان يكون هذا المسمي مماثلا لهـذا المسمى فيما يجب ويجوز ويمتنع بل هنا ثلثة أشياء أحدها القدر المشترك الذي تشابها فيه وهو معنى كلي لايختص به أحدهما ولا يوجد كلياً عاما مشتركا الافي علم العالم. والثاني ما يختص به هذا كما يختص الرب به من الحياة والعلم والقدرة والثالث ما يختص به العبد من الحياة والعلم والقدرة فما اختص به الرب عز وجل لا يشركه فيه العبد ولا يجوز عليه شيء من النقائص التى تجوز على صفات العبد وما يختص به العبد لايشركه فيه الرب ولا يستحق شيئاً من صفات الكمال التي يختص به الرب عز وجل وأما القدر المشترك كالمعنى الكلى الثابت في ذهن الانسان فهـذا لايستلزم خصائص الخالق ولا خصائص المخلوق فالاشتراك فيه لامحذور فيه ولفظ التوراة فيه سنخلق بشراً على صورتنا يشبهنا لم يقل على مثالنا وهو كقول النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لايقولن أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فان الله تعالى خلق آدم على صورته فلم تذكر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كموسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم الا لفظة شبه دون لفظ مثل وقد تنازع الناس هل لفظ الشبه والمثل بمعنى واحد أو معنيين على قولين أحدهما انهما بمعنى واحد

وانما دل عليه لفظ المثل مطلقاً ومقيداً يدل عليه لفظ الشبه وهذا قول طائفة من النظار . والثاني ان معناهما مختلف عند الاطلاق لغة وشرعاً وعقلا وان كان مع التقييد والقرينة يراد بأحدهما مايراد بالآخر وهذا قول أكثر الناس وهذا الاختلاف مبني على مسئلة عقلية وهو انه هل يجوز ان يشبه الشيء الشيء من وجه دون وجه؟ وللناس في ذلك قولان فمن منع ان يشبهه من وجه دون وجه قال المثل والشبه واحد ومن قال انه قد يشبه الشيء الشيء من وجه دون وجه فرق بينهما عند الاطلاق وهذا قول جمهور الناس فان العقل يعلم ان الاعراض مثل الألوان تشتبه في كونها الوانا مع ان السواد ليس مثل البياض وكذلك الأجسام والجواهر عند جمهور العقلاء تشتبه في مسمى الجسم والجوهر وان كانت حقائقها ليست متماثلة فليست حقيقة الماء مماثلة لحقيقة التراب ولا حقيقة النبات مماثلة لحقيقة الحيوان ولا حقيقة النار مماثلة لحقيقة الماء وان اشتركا فى ان كلا منهما جوهر وجسم وقائم بنفسه وأيضاً فمعلوم فى اللغة ان يقال هذا يشبه هذا وفيه شبه من هذا اذا أشبهه من بعض الوجوه وان كان مخالفاً له فى الحقيقة قال الله تعالى (وأتوا به متشابها) وقوله منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) فوصف القولين بالتماثل والقلوب بالتشابه لا بالتماثل فان القلوب وان اشتركت فى هذا القول فهى مختلفة لا متماثلة وقال النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور متشابهات لا يعلمهن

كثير من الناس فدل على انه يعلمها بعض الناس وهى في نفس الامر ليست متماثلة بل بعضها حرام وبعضها حلال الوجه السادس ان قوله سنخلق خلقاً على شبهنا لايتناول صفته مثل كلامه وحياته القائمة به فان ذلك ليس بمخلوق وحينئذ فهذا لايتناول اللاهوت الذي يزعمون انه تدرع الناسوت فان اللاهوت ليس بمخلوق وأما الناسوت فهو كسائر نواسيت الناس لااختصاص له بأن يكون شبيهاً لله دون سائر النواسيت فقوله فمن هو الشبه المخلوق سوى كلمته وروحه باطل على كل تقدير وأما قوله هاادم قد صار كواحد منا وقولهم ان هذا قول واضح ان الله قال هذا القول لابنه وروح قدسه فان أرادوا انه يجعل الذي صار كواحد منا لابنه كان هذا من أبطل الكلام فان هذا الابن ان كان المراد به الكلمة التي هى صفة لله فتلك لم يخلق لها أمر يصير كواحد منهم وتلك لاتسمى آدم ولا سماها الله ابناً وان أريد به ناسوت المسيح فذاك مخلوق مبتدع يمتنع ان يكون كالقديم الازلى وأيضاً فان الله قال هذا عن آدم وآدم ليس هو المسيح ولا يجوز ان يقال آدم ويراد به المسيح كما لايجوز ان يقال عصى آدم ويراد به المسيح وايضاً فانه قال هاآدم صار كواحد منا وهذا اشارة الي أمر قد كان فى الزمن الماضى ليس هو اشارة الى ما سيكون بعد ذلك بالوف السنين وان أرادوا ان الله قال لابنه الذى هو كلمته وروحه وهذا هو مرادهم كقولهم انه قال هذا القول يستهزئ بآدم اى انه طلب ان يصير كواحد صار هكذا عرياناً مفتضحا ويكون شبهتهم قوله منا لانه عبر بصيغة الجمع وكذلك ان أرادوا هذا بقوله نخلق بشرا على صورتنا وشبهنا فاحتجوا على التثليث بصيغة الجمع وهـذا مما احتج به نصارى

نجران على النبي صلى الله عليه وسلم فاحتجوا بقوله تعالى انا ونحن قالوا وهذا يدل على انهم ثلاثه وكان هـذا من المتشابه الذى اتبعوه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وتركوا المحكم المبين الذى لا يحتمل إلا واحداً فان الله في جميع كتبه الالهية قد بين انه اله واحد وانه لاشريك له ولا مثل له وقوله انا ونحن لفظ يقع فى جميع اللغات على من كان له شركاء وامثال وعلى الواحد المطاع المعظم الذى له أعوان يطيعونه وان لم يكونوا شركاء ولا نظراء والله تعالى خالق كل ماسواه فيمتنع ان يكون له شريك أو مثل والملائكة وسائر العالمين جنوده قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقال تعالى(ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزاً حكيما) فاذا كان الواحد من الملوك يقول انا ونحن ولا يريدون انهم ثلاثة ملوك فمالك الملك رب العالمين ورب كل شيء ومليكه هو احق بان يقول انا ونحن مع انه ليس له شريك ولا مثـل بل له جنود السموات والارض وأيضا فمن المعلوم ان آدم لم يطالب ان يصير مثل الله ولا مثـل صفاته كعلمه وصفاته وأيضا فليس فى ظاهر اللفظ ان الله خاطب صفاته بذلك وأيضاً فالصفة القائمـة بالموصوف لا تخاطب ولا تخاطب وانمـا يخاطب الموصوف ولم يكن قد خلق آدم ناسوت المسيح ولا غيره من البشر حتى يخاطب فعلم ان دعواهم ان الله خاطب صفته التي سموها هم ابنا وروح قدس كلام باطل .بل قد يخاطب ملائكته وآدم عليه السلام أراد ما أطمعه الشيطان من الخلد والملك كما قال تعالى فوسوس لهما الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى

(فصل) قالوا وقال الله عند ما أخسف بسدوم وعامورة قال في التوراة وامطر الرب من عند الرب من السماء على سدوم وعامورة ناراً وكبريتا أوضح بهذا ربوبية الاب والابن والجواب ان احتجاجهم بهذا من ابطل الأباطيل لوجوه أحدها ان تسمية الله علمه وحياته ابنا وربا تسمية باطلة لم يسم موسى فى التوراة شيئا من صفات الله باسم الابن ولا باسم الرب فدعوى المدعى ان موسى عليه السلام اراد بالرب شيئاً من صفات الله او ان له صفة تسمى ابنه كلام باطل. الثاني انه لو قدر ان صفة الله تسمى بذلك معلوم ان الذي أمطر كان هو الذي كان المطر عنده لم يكن المطر عند أحدهما والآخر هو الممطر كما لايجوز ان يقال خلق احدهما من شيء عند الآخر ولا أنزل احدهما المطر من سحاب الآخر الثالث ان الصفة لاتفعل شيئاً ولا عندها شيء بل هى قائمة بالموصوف والذات المتصفة بالصفة هى التى تفعل وعندها يكون ما يكون. الرابع ان هذا بمنزلة قوله أمطر الرب من عنده لكن جعل الاسم الظاهر موضع المضمر اظهاراً لان الامر له وحده في هذا وهذا ومثل هذا فى القرآن كقوله الحاقة ما الحاقة القارعة ماالقارعة وقال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم، تنزيل من الرحمن الرحيم) والله هو المنزل ولم يقل منى

(فصل) قالوا نذكر ثالثا وقال داود في الزبور فى المزمور المائة والتسعة قائلا قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى اضع اعداءك تحت موطأ قدميك والجواب من وجوه. احدها انه لايجوز ان يراد بربي شيئاً من صفات الله فانه لم يسم داود ولا احد من الانبياء شيئاً

من صفات الله رباً ولا ابناً ولا قال احد لشيء من صفات الله يارب
ارحمني ولا قال لعلم الله او كلامه او قدرته يارب واذا لم يكونوا يسمون
صفات الله رباً فلو كان المسيح صفة من صفاته لم يجز ان يكون هو الله.
المراد بلفظ الرب فكيف وناسوته ابعد عن اللاهوت ان يراد بذلك.
فعلم انهم لم يريدوا بذلك لا اللاهوت ولا الناسوت. الثاني انه قال قال
الرب لربي فاضاف اليه الثاني دون الاول وانه هو ربه الذي خلقه وعامة
ماعند النصارى من الغلو ان يقولوا إله حق من اله حق ويجعلونه خالقاً
بأن يجعلوه احق من الاب بكونه رب داود فهذا لم يقولوه وهو
ظاهر البطلان. الثالث انه ليس في هذا ذكر الاقانيم الثلاثة غايته لو كان
كما تأولوه ان يكون فيه ذكر الابن واما الاقانيم الثلاثة فلم ينطق بها
شيء من كتب الله التي بأيديهم فضلاً عن القرآن لا بلفظها ولا معناها
بل ابتدعوا لفظ الاقنوم وعبروا به عن ماجعلوه مدلول كتب الله
وهي لاتدل على ذلك فكانوا في ذلك مترجمين لكلام الله وهم لم
يفهموا معناه ولا عبروا عنه بعبارة تدل على المراد. الرابع انه قال لربي
وهذا يراد به السيد كما قال يوسف انه بي أحسن مثواي وقال لغلام
الملك اذكرني عند ربك وقال تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه وهذا
ذكر الاول مطلقاً والثاني مقيداً فيكون المعنى وقال الله لسيدي قال
رب العالمين لسيدي وسماه سيداً تواضعاً من داود وتعظيماً له لاعتقاده
انه افضل منه

(فصل) قالوا نذكر رابعاً وقال في الزبور الثاني الذي قال لي أنت
ابني وأنا اليوم ولدتك والجواب من وجوه احدها ان هذا ليس فيه

تسمية صفات الله عامه وحياته ابناً ولا فيه ذكر الاقانيم الثلاثه فليس فيه حجة لشيء مما تدعونه • والثاني ان هذا حجة عليهم فانه سمى داود ابنه فعلم ان اسم الابن ليس مختصاً بالمسيح عليه السلام بل سمى غيره من عباده ابناً فعلم ان اسم الابن ليس اسما لصفاته بل هو اسم لمن رباه من عبيده وحينئذ فلا يكون تسميته ابناً لكون الرب او صفته اتحدت به بل كما سمى داود ابناً وكما سمى اسرائيل ابناً فقال أنت ابني بكرى وهذا في كتبهم كما ذاك في كتبهم فلا حجة فيه لان قول غير المعصوم ليس بحجة الثالث ان قوله وانا اليوم ولدتك يدل على حدوث هذا الفعل وعندهم تولد الكلمة التي سموها الابن من الاب قديم أزلي كما قالوا في امانتهم وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق من جوهر أبيه مولود غير مخلوق مساوى الاب في الجوهر الذي به كان كل شيء فهذا الابن عندهم مولود من الأب قبل كل الدهور وذاك ولده في يوم خاطبه بعد خلق داود فلم يكن في هذا المحدث دليل على وجود ذلك القديم . الوجه الرابع انه اذا كان الاب فى لغتهم هو الرب الذى يربى عبده اعظم مما يربى الاب ابنه كان معنى لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الابوة فيكون المعنى اليوم جعلتك مرحوماً مصطفى مختاراً والنصارى قد يجعلون الخطاب الذى هو ضمير لغير المسيح يراد به المسيح فقد يقولون المراد بهذا المسيح وهذا باطل لايدل اللفظ عليه وبتقدير صحته فهو يدل على ان المسيح هو الناسوت المخلوق وهو المسمى بالابن كقوله وانا اليوم ولدتك واللاهوت عندهم مولود من

قبل الدهور وحينئذ فان كان المراد به يوم ولادته فالمعنى خلقتك وان كان يوم اصطفاه فالمراد اليوم اصطفيتك واحببتك كأنه قال اليوم جعلتك والداً وابناً على لغتهم

(فصل) قالوا نذكر خامسا وفي السفر الثانى من التوراة وكلم الله موسى من العليقة قائلاً انا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ولم يقل انا اله اسحق بل كرر اسم الاله ثلاث دفوع قائلا انا اله واله واله لتحقق مسئلة الثلاث اقانيم في لاهوته والجواب ان الاحتجاج بهذا على الاقانيم الثلاثة من افسد الاشياء وذلك يظهر من وجوه احدها انه لو أريد بلفظ الاله اقنوم الوجود وبلفظ الاله مرة ثانيــة اقنوم الكلمة وبالثالث اقنوم الحياة لكان الاقنوم الواحــد اله ابراهيم والاقنوم الثاني اله اسحق والاقنوم الثالث اله يعقوب فيكون كل من الاقانيم الثلاثة اله احد الانبياء الثلاثة والاقنومين ليسا بالهين له وهذا كفر عندهم وعند جميــع اهل الملل وأيضاً فيلزم من ذلك ان يكون الآلهة الثــلاثة ثلاثة وهم يقولون اله واحد ثم هم اذا قالوا كل من الاقانيم اله واحد فيجعلون الجميع اله كل نبي فاذا احتجوا بهــذا النص على قولهم لزم ان يكون اله كل نبي ليس هو اله النبي الآخر مع كون الآلهة ثلاثة . الوجه الثاني انه يقال ان الله رب العالمين ورب السموات ورب الارض ورب العرش ورب كل شيء فيلزم ان يكون رب كل شيء ويقال اله موسى واله محمد مع قولنا اله ابراهيم واسحق افتراه أثبت الهين احدهما الهه والآخر اله الثلاثة ؟ الوجه الثالث ان العطف يكون تارة لتغاير الذوات وتارة لتغاير الصفات كقوله تعالى

(سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى) والذى خلق هو الذى قدر واخرج وكذلك قوله الهك واله آبائك وهو هو سبحانه وقال ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه لقوله (أفرأيتم ماتعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذى هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتني ثم يحيين والذى اطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) والذى خالقه هو الذى يطعمه ويسقيه وهو الذى يميته ثم يحييه فقوله في التوراة اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب هو من هذا الباب ولا يختص هذا بثلاثة بل يقال في الاثنين والاربعة والخمسة بحسب مايقصد المتكلم ذكره من الصفات وفى هذا من الفائدة ماليس في قوله اله ابراهيم واسحق ويعقوب فانه لوقيل ذلك لم يفد الا انه معبود الثلاثة لا يدل على انهم عبدوه مستقلين كل منهم عبده عبادة اختص بها لم تكن هي نفس عبادة الاول وأيضاً فانه اذا قيل اله ابراهيم واسحق ويعقوب دل على عبادة كل منهم باللزوم واذا قال واله دل على معبود كل من الثلاثة فاعاده باسم الاله الذى يدل على العبادة دلالة باللفظ المتضمن لها وفي ذلك من ظهور المعنى للسامع وتقرعه بصورة له من غير فكر ماليس فى دلالة الملزوم

(فصل) قالوا وكذلك شهد اشعيا بتحقق الثالوث بوحدانية جوهره وذلك بقوله رب القوات و بقوله رب السموات والارض ومثل هـذا القول فى التوراة والمزامير شيء كثير حتى اليهود يقرؤن هذه النبوات ولا يعرفون لها تأويلا وهم مقرون بذلك ولاينكرون منه كلمة واحدة

وانما قلوبهم مغلوقةعن فهمه لقساوتها على ما ذكرنا قبل ذلك وانهم اذا اجتمعوا في كنيستهم كل سبت يقف الحزان أمامهم ويقول كلاما عبرانياً هذا تفسيره ولا يجحدونه نقدسك ونعظمك ونثلث لك تقديساً مثلثاً كالمكتوب على لسان نبيك فيصرخ الجميع مجاوبين قدوس قدوس قدوس رب القوات ورب السموات والارض فما أوضح اقرارهم بالثالوث وأشد كفرهم بمعناه فنحن لاجل هذا البيان الواضح الذي قاله الله في التوراة وفي كتب الانبياء نجعله ثلثةأقانيم جوهراً واحداً طبعه واحدة الهاً واحداً أبا واحداً خالقاً واحداً وهو الذي نقوله أب وابن وروح قدس والجواب اماما في كتب الانبياءعليهم السلام من تسميته اسم الرب عند اضافته الى مخلوق آخرفهو من نمط تسميته اسم الاله وهذالايقتضي تعدد الارباب والآلهة وهذا يقتضي جعلهم اثنين واربعة اذا ذكر اللفظ مرتين وأربعة فكذلك اذا كان ثلاث مرات لايقتضي ان الارباب ثلاثة وهم أيضاً لايقولون بثلاثة ارباب وثلاثة الهة يدل على نقيض قولهم بل هم يزعمون انهم انما يثبتون الهاً واحداً ولكنهم يتناقضون فيصرحون بثلاثة الهة ويقولون هم اله واحد والكتب لاتدل على قولهم المتناقض بوجه من الوجوه وأما ماذكروه من اعتراف اليهود بألفاظ هذه النبوات ودعواه انهم لايعرفون لها تأويلاً فان أراد بالتأويل تفسيرها وما يدل عليه لفظها فهذا ظاهر لايخفى على الصبيان من اليهود وغيرهم ولكن النصارى ادعوا مايدل عليه اللفظ فهذا انما يحتاج اليه ان أرادوا بالتأويل معنى يخالف ظاهر اللفظ فهذا انما يحتاج اليه ان كان يحتاج اليه اذا كان ظاهره معنى باطلا لايجوز ارادته وليس ماذكر هنا من هذا

الباب بل الكتب الالهية يكثر فيها مثل هذا الكلام عند أهل الكتاب وعند المسلمين ولا يفهم منها ثلاثة أرباب أو ثلاثة آلهة الا من اتبع هواه بغير هدى من الله وقال قولا مختلفاً يؤفك عنه من أفك ومثل هذا موجود في سائر الكلام فقال هذا أمير البلد الفلاني وأمير البلد الفلاني وأمير البلد الفلاني وهو أمير واحد ويقال هذا رسول الى الاميين ورسول الى أهل الكتاب ورسول الى الجن والانس وهو رسول واحد

(فصل)وأما قولهم نقدسك ونعظمك ونثلث لك تقديساً مثلثاً كالمكتوب على لسان نبيك أشعيا وقولهم قدوس قدوس قدوس رب القوات ورب السموات والارض فيقال هذا الكلام صريح في ان المثلث هو نفس التقديس لا نفس الاله المقدس وكذلك قولهم قدوس قدوس قدوس قدسوه ثلاث مرات فانه قال نقدسك ونثلث لك تقديساً مثلثاً فنصب التثليث على المصدر الذي ينصب بفعل التقديس فقال نقدسك تقديساً مثلثاً فنصب التقديس على المصدر كما تقول سبحتك تسبيحاً مثلثاً أي سبحتك ثلاث مرات وقال نثلث لك أي نثلث تقديساً لك لم يقل أنت ثلاثة بل جعلوا أنفسهم هم الذين يقدسون التقديس المثلث وهم يثلثون له وهذا صريح في أنهم يسبحونه ثلاث مرات لا يسبحون ثلاثة الهة ولا ثلاثة أقانيم وهذا كما في السنن عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال العبد في ركوعه سبحان ربي العظيم ثلاثاً فقد تم ركوعه وذلك أدناه واذا قال في سجوده سبحان ربي الأعلى ثلاثاً فقد تم سجوده وذلك ادناه والتسبيح هو تقديس الرب وأدناه ان يقدسه ثلاث مرات فمعنى قدسوه ثلاث مرات لا تقتصروا على مرة واحدة

ولهذا قالوا مجاوبين قدوس قدوس قدوس فيقدسونه ثلاث مرات فعلم ان المراد تثليث مادل على لفظه وما يفعلونه ممتثلين لهذا الامر وما يفعل فى نظير ذلك تثليث تقديسه وان يقدس ثلاث مرات لاان يكون المقدس ثلاث أقانيم فان هذا أمر لم ينطق نبي من الأنبياء به لالفظاً ولا معنى بل جميع الانبياء عليهم السلام اثبتوا الهاً واحداً له الأسماء الحسنى واسماؤه متعددة تدل على صفاته المتعددة ولا يختص ذلك بثلاثة اسماء ولا بثلاثة صفات وليست الصفات أقنوما هو ذات وصفة بل ليس الا ذات واحدة لها صفات متعددة فالتعدد فى الصفات لافي الذات التي سموها الجوهر ولافى الذات والصفة التي يسمونها الاقنوم

(فصل) قالوا فما أعظم اقرارهم في الثالوث وأشد كفرهم بمعناه* فيقال هذا من الافتراء الظاهر على اليهود (وجعلهم) كفارا فلم يكن كفرهم لاجل انكار الثالوث بل لو أقروا به كان زيادة في كفرهم يزيد به عذابهم كما ان النصارى لما كفروا لم يكن كفرهم باقرارهم بان المسيح المبشر به قد ظهر ليس هو المسيح الدجال الذي تنتظره اليهود واذا خرج كانوا شيعته ويقتلهم المسلمون معه شر قتلة حتى ان الشجر والحجر يقول يامسلم هذا يهودى ورائى تعال فاقتله بل لو كفروا بالمسيح كما كفرت اليهود لكان ذلك زيادة فى كفرهم وعند اليهود وعندهم في التوراة من التوحيد المحض مما يبطل تثليثكم مالا يخفى إلا عمن اعرض عن ذكر الله الذى انزله وهداه الذي يهدى به عباده

(فصل) قالوا فلاجل هذا البيان الواضح الذي قاله الله فى التوراة

وفي كتب الانبياء نجعل ثلاثة اقانيم جوهراً واحداً الهاً واحداً رباً واحداً خالقاً واحـداً وهو الذى نقول اب وابن وروح قـدس * والجواب من وجوه أحدها ان في التوراة والكتب الالهية من اثبات وحدانية الله ونفى تعدد الآلهة ونفى إلهية ماسواه ماهو صريح في ابطال قول النصارى ونحوهم وليس فيها ذكر الاقانيم لا لفظاً ولا معنى حيث يجعـلون الاقنوم اسما للذات مع الصفة والذات واحدة والتعدد فى الصفات لا في الذات ولا يمكن ان تتحد صفة دون الاخرى ولا دون الذات فيمتنع اتحاد اقنوم أو حلوله بشيء من المخلوقات دون الاقنوم الآخر ولا اثبات ثلاثة اقانيم ولا اثبات ثلاث صفات دون ما سواها فى شيء من الكتب الالهية ولا كلام الحواريين ولا اثبات انه حق من اله حق ولا تسمية صفات الله مثل كلامه وحياته لا ابنا ولا إلهاً ولا ربا ولا اثبات اتحاد الرب خالق السموات والارض بشيء من الآدميين ولا حلول ذات وصفة دون ذات مع الصفات الاخري ولا حلول نفس الصفة ببدنه فى غيره ولا علمه ولا كلامه ولا حياته ولا غير ذلك بل جميع ما أثبتوه من التثليث والحلول والاتحاد ليس في كتب الانبياء التي بايديهم ما يدل عليه بل فيها أقوال كثيرة صريحـة بنقيض ذلك مع القرآن والعقل فهم مخالفون للمعقول وكتب الله المنزلة • الثاني انهم يقولون إنما نثبت إلها واحدا ثم يقولون في امانتهم وأدلتهم وغير ذلك من كلامهم ماهو صريح باثبات ثلاثة الهة فينقضون كلام بعضهم ببعض ويقولون من الاقوال المتناقضـة مايعلم بطلانه كل عاقل تصوره ولهذا لا ينضبط لهم قول مطرد كما يقول من يقول من عقلاء الناس

ان النصارى ليس لهم قول يعقله عاقل وليست أقوالهم منصوصة عن الأنبياء فليس معهم لا سمع ولا عقل كما قال الله تعالى عن اصحاب النار (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وهم ايضا يبطنون خلاف مايظهرون ويفهم جمهور الناس مقالاتهم خلاف مايزعم بعضهم انه مرادهم فانه قد تقدم آنفاً من استدلالهم بالتوراة وقوله وكلم الله موسى من العليقة قائلاً انا اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب قالوا ولم يقل انا اله ابراهيم واسحاق ويعقوب بل كرر اسم الاله ثلاث دفوع قائلاً انا اله واله واله لتتحقق مسئلة الثلاث اقانيم في لاهوته فيقال لهم وان كان هذا التكرير لايقتضى الا اثبات اله واحد فلا حجة لكم فيه كما لو قال انا اله ابراهيم واسحق ويعقوب وان كان يقتضى اثبات ثلاثة آلهة فقد اثبتم ثلاثة آلهة وانتم تقولون لانثبت الا الهاً واحداً وان كان المعنى انه اله واحد موصوف بانه معبود ابراهيم ومعبود اسحاق ومعبود يعقوب فلا حجة لكم فيه على التثليث والاقانيم حيث تجعلون الاقنوم اسماً للذات مع صفة والذات واحدة فالتعدد فى الصفات لافى الذات ولا يمكن ان تتحد صفة دون أخرى ولا دون الذات فيمتنع اتحاد اقنوم وحلوله بشيء من المخلوقات دون الاقنوم الآخر ٭ الوجه الثالث قولهم وهو الذي نقوله أب وابن وروح القدس قد تقدم ان هذا القول هم معترفون بانهم لم يقولوه ابتداً ولا علموا بالعقل التثليث الذي قالوه في امانتهم ثم عبروا عنه بهذه العبارة بل هذه العبارة منقولة عندهم فى بعض الاناجيل ان المسيح عليه الصلاة والسلام امر ان يعمدوا الناس بها وحينئذ فالواجب اذا كان المسيح قالها ان

ينظر ما أراد بها وينظر سائر الفاظه ومعانيها فيفسر كلامه بلغته التي تكلم بها تفسيراً يناسب سائر كلامه ، وهؤلاء حملوا كلام المسيح والانبياء عليهم السلام على شئ لايدل عليه كلامهم بل يدل على نقيضه فسموا كلام الله او علمه او حكمته او نطقه ابناً وهذه تسمية ابتدعوها لم يسم أحد من الانبياء شيئاً من صفات الله باسم الابن ولا باسم الرب ولا اله ثم لما احدثوا هذه التسمية قالوا مراد المسيح بالابن هو الكلمة وهذا افتراء على المسيح عليه السلام وحمل لكلامه على معنى لايدل عليه لفظه ولفظ الابن عندهم في كتبهم يراد به من رباه الله تبارك وتعالى فلا يطلق عندهم في كلام الانبياء لفظ الابن قط الا على مخلوق محدث ولا يطلق الا على الناسوت دون اللاهوت فلا يسمى عندهم اسرائيل ابناً وداود ابناً لله والحواريون كذلك بل عندهم في انجيل يوحنا في ذكر المسيح الى خاصته أى وخاصته لم يقبلوه والذين قبلوه أعطاهم ليكونوا ابناء الله الذى ليس من دم ولا مشيئة لحم ولا من مشيئة رجل بل من الله ولد فهذا أخبار بأنهم يكونون جميعاً ابناء الله وهم معترفون بانه ليس فيهم لاهوت يتحد بناسوت بل كل منهم ناسوت محض فعلم ان الكتب ناطقة بان لفظ ابن الله يتناول الناسوت فقط وليس معهم لفظ ابن الله والمراد به صفة من صفات الله فقولهم ان المسيح أراد بلفظ الابن اللاهوت كذب بين عليه والمسيح يسمى ابناً بهذه الاعتبار وروح القدس لم يعبر بها أحد من الانبياء عن حياة الله التي هي صفته بل روح القدس في كتب الله يراد بها الملك ويراد بها الهدى والوحي والتأييد فيقال روح الله كما يقال نور الله وهدى

الله ووحي الله وملك الله ورسول الله لم يرد به أحـد من الانبياء بقوله روح الله وروح القـدس ما يريده الانسان بقوله روحي فان الانسان مركب من روح وبدن وفي بدنه بخار يخرج من القلب ويسري في بدنه وله جوف يخرج منه هواء ويدخل فيـه فاذا قيل روح الانسان فقد يراد بها الروح التي مع البدن وقد يراد بهاء البخار اللطيف الذي في البدن وقد يراد بها الريح الذي يخرج من جوف البدن ويدخل فيه والله تبارك وتعالى باجماع المسلمين واليهود والنصارى ليس هو روحاً وبدناً كالانسان وهو سبحانه أحد صمد لا جوف له ولا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه شيء لا بخار ولا هواء متردد وقد يعبر بعض الناس بلفظ الروح عن الحياة والله تعالى حي له حياة ولكن لم ترد الانبياء عليهم السلام بقولهم روح القدس حياة الله بل أرادوا به مايجعله الله في قلوب الانبياء وايدهم به كما يراد بنور الله ذلك قال الله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) فضرب الله مثلاً للمؤمن الذي جعل صدره كالمشكاة وقلبه كالزجاجة في المشكاة ونور الايمان الذي في قلبه وهو نور الله كالمصباح الذي في الزجاجة وذلك النور الذي في قلبه ليس هو نفس صفة الله القائمة به فتبين ان العارف كلما تدبر ما قالته الانبياء وما قاله أهل البـدع من النصاري وغيرهم لم يجد لهم في كلام الانبياء الا مايدل على نقيض ضلالهم

لا مايدل على ضلالهم

(فصل) قالوا وقد علمنا انه لايلزمنا اذا قلناهذا عبادة ثلاثة الهة بل اله واحد كما لايلزمنا اذا قلنا الانسان ونطقه وروحه ثلاثة اناس بل انسان واحد ولا اذا قلنا لهيب النار وضوء النار وحرارة النار ثلاثة نيران ولا اذا قلنا قرص الشمس وضوء الشمس وشعاع الشمس ثلاثة شموس واذا كان هذا رأينا في الله تقدست اسماؤه وجلت الآؤه فلا لوم علينا ولا ذنب لنا اذ لم نهمل ما تسلمناه ولا نرفض ما تقلدناه ونتبع ماسواه * والجواب من وجوه أحدها انكم صرحتم بتعدد الآلهة الارباب فى عقيدة ايمانكم وفي استدلالكم وغير ذلك من كلامكم فليس ذلكم شيئاً الزمكم الناس به بل انتم تصرحون بذلك كما تقدم من قولكم نؤمن باله واحد ضابط الكل خالق مايرى ومالا يري وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق من جوهر أبيه مولود غير مخلوق مساو الاب فى الجوهر وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب الذي معه الآب مسجود له وممجده فهذا تصريح بالثلاثة أرباب وان الابن اله حق من اله حق مع تصريحكم بثلاثة أرباب وتصريحكم بان هذا اله حق من اله حق تقولون ان ذلك اله واحد وهذا تصريح بتعدد الآلهة مع القول باله واحد ولولم تذكروا مايقتضي انه جوهر آخر لامكن ان يحمل كلامكم على عطف الصفة لكن كان يكون كلامكم أعظم كفراً فتكونون قد جعلتم المسيح هو نفس اله الواحد الاب خالق مايرى ومالايرى وهذا من أعظم كفركم مع ان هذا

حقيقة قولكم فانكم تقولون المسيح هو الله وتقولون هو ابن الله كما ذكر الله القولين عنكم في كلامه وكفّركم بذلك وليس هذا قول طائفة كما يقوله بعض الناس بل القولان جميعا يقولهما فرق النصارى كالنسطورية واليعقوبية والملكية ونحوهم وهذا أيضاً من تناقضكم فانه ان كان هو الله لم يكن هو ابن الله سواء عبر بالابن عن الصفة أو غيرها فان الاب هو الذات والذات ليست هي الصفة وان عنى بالابن الذات مع صفة الكلام كما تفسرون الاقنوم بذلك فهذه الذات متصفة مع ذلك بالحياة والكلامُ سواء عنوا به العلم أو البيان مع العلم هو مع الحياة قائم بالاب والصفة ليست غير الموصوف بل ولا يعبر عنها بانها ابن الموصوف ولا عبر بذلك أحد من الانبياء عليهم السلام والمقصود انهم لم يريدوا بقولهم ورب واحد يسوع المسيح عطف الصفة وان هذا هو الاب كما قال إله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب فهذا اله واحد والعطف لتغاير الصفة فلو كان المراد بالابن نفس الاب لكان هذا خلاف مذهبهم ويكونون قد جعلوه إلهاً من نفسه فقالوا آلهان بل ثلاثة وهو واحد فهذا لو أرادوه لكان أعظم من الكفر بل قالوا ورب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق من جوهر ابيه مولود غير مخلوق فصرحوا بانه رب وانه اله حق من اله حق وصرحوا باله ثانٍ مع الاله الاول وقالوا مع ذلك انه مولود من الاب قبل كل الدهور وانه مولود غير مخلوق فامتنع ان يريدوا بذلك الناسوت فان الناسوت مخلوق وهم يقولون ان الكلمة هى المتولدة من الاب والكلمةُ صفة المتكلم

وقائمـة به والكلام ليس برب ولا باله بل هو كلام الرب الاله كما ان سائر كلام الله كالتوراة والانجيل والقرآن ليس هو الرب والاله ثم قلتم مساو الاب في الجوهر فاقتضى هـذا ان يكون المولود الذي هو الكلمـة جوهرا وانه مساوي الاب فى الجوهر والمساوي ليس هو المساوى وهذا يقتضى اثبات جوهر ثانٍ مساوى الجوهر الاول وهو صريح باثبات الهين ونقولون مع ذلك انه اله واحد جوهر واحد ولا يقال الجوهر مع العلم الذي تعبرون عنه بالاقنوم مساوي الجوهر الذي هو الذات فان الجوهر هو الذات وليس هنا جوهران أحدهما مجرد عن العلم والآخر متصف به حتى يقال ان أحدهما مساو للآخر بل الرب تعالى هو الذات المتصفة بالعلم فان كان الاب هو الذات المجردة فالابن أكمل من الاب وهو الذات مع العلم والاب بعض الابن وكذلك يلزمهم ان يكون الابن هو بعض روح القـدس فانهم فى أمانتهم جعلوا روح القدس هو الرب المحيي والرب المحيي هو الذات المتصفة بالحياة والذات المجردة بعض ذلك فان كان الاب هو الذات المجردة فالاب بعض روح القدس ثم قلتم في اقنوم روح القدس الذى جعلتموه الرب المحيي انه منبثق من الاب مسجود له ممجـد ناطق في الانبياء فان كان المنبثق رباحياً فهذا اثبات اله ثالث وقد جعلتم الذات الحية منبثقة من الذات المجردة وفى كل منهما من الكفر والتناقض مالا يخفى ثم جعلتم هـذا الثالث مسجوداً له والمسجود له هو الاله المعبود وهذا تصريح بالسجود لاله ثالث مع مافيه من التناقض ثم جعلتموه ناطقاً بالانبياء وهذا تصريح بحلول هذا الاقنوم الثالث بجميع الانبياء فيلزمكم ان تجعلوا كل

نبي مركبا من لاهوت وناسوت وانه اله تام وانسان تام كما قلتم في المسيح اذ لافرق بين حلول الكلمة وحلول روح القدس كلاهما اقنوم وأيضاً فيمتنع حلول احدى الصفتين دون الاخرى وحلول الصفة دون الذات فيلزم ان يكون الاله الحي الناطق باقانيمه الثلاثة حالاً في كل نبي ويكون كل نبي هو رب العالمين ويقال مع ذلك هو ابنه وفي هذا من الكفر الكبير والتناقض العظيم مالا يخفى وهذا لازم للنصارى لزوماً لامحيد عنه فان ماثبت لشيء ثبت لنظيره ولا يجوز التفريق بين المتماثلين وليس لهم ان يقولوا الحلول أو الاتحاد في المسيح ثبت بالنص ولا نص في غيره لوجوه أحدها ان النصوص لم تدل على شيء من ذلك كما قد بين • الثاني ان في غير المسيح من النصوص ما شابه النصوص الواردة فيه كلفظ الابن ولفظ حلول روح القدس فيه ونحو ذلك • الثالث ان الدليل لاينعكس فلايلزم من عدم الدليل المعين عدم المدلول وليس كل ما علمه الله وأكرم به انبياءه اعلم به الخلق بنص صريح بل من جملة الدلالات دلالة الالتزام واذا ثبت الحلول والاتحاد في أحد النبيين لمعنى مشترك بينه وبين النبي الآخر وجب التسوية بين المتماثلين كما اذا ثبت ان النبي يجب تصديقه لانه نبي ويكفر من كذبه لانه نبي فيلزم من ذلك انه يجب تصديق كل نبي وتكفير من كذبه • الرابع هب انه لادليل على ثبوت ذلك في الغير فيلزم تجويز ذلك في الغير اذ لادليل على انتفائه كما يقولون ان ذلك كان ثابتاً في المسيح قبل اظهاره الآيات على قولهم وحينئذ فيلزمهم ان يجوزوا في كل نبي ان يكون الله قد جعله الهاً تاماً وانساناً تاماً كالمسيح وان لم يعلم ذلك • الخامس انه لو لم يقع ذلك لكنه جائز عندهم اذلافرق

فى قدرة الله بين اتحاده بالمسيح واتحاده بسائر الادميين فيلزمهم تجويز
ان يجعل الله كل انسان إلهاً تاما وانساناً تاماً ويكون كل انسان مركباً
من لاهوت وناسوت وقد تقرب الى هذا اللازم الباطل من قال بأن
أرواح بنى آدم من ذات الله وانها لاهوت قديم أزلى فيجعلون نصف
كل آدمي لاهوتاً ونصفه ناسوتاً وهؤلاء يلزمهم من المحالات أكثر مما
يلزم النصارى من بعض الوجوه والمحالات التى تلزم النصارى أكثر
من بعض الوجوه • الوجه الثاني قولهم ولا يلزمنا اذا قلنا هذا عبادة
ثلاثة الهة بل اله واحد كما لا يلزمنا اذا قلنا الانسان وروحه ونطقه
ثلاث أناسى ولا اذا قلنا النار وحرها وضوءها ثلاث نيران ولا اذا قلنا
الشمس وضوءها وشعاعها ثلاث شموس * فيقال هذا تمثيل باطل لوجوه.
أحدها ان حرّ النار وضوءها القائم بها ليس ناراً من نار ولا جوهراً
من جوهر ولا هو مساوى النار والشمس في الجوهر وكذلك نطق
الانسان ليس هو انساناً من انسان ولا هو مساوى الانسان في الجوهر
وكذلك الشمس وضوءها القائم بها وشعاعها القائم بها ليس شمساً ولا
جوهراً قائما بنفسه وانتم قلتم اله حق من اله حق فقلتم في الامانة نؤمن
باله واحد أب ضابط الكل وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد
المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق
من جوهر أبيه مساوى الاب في الجوهر وقلتم فى روح القدس انه رب
ممجد مسجود له فاثبتم ثلاثة أرباب • الثانى ان الضوء فى الشمس والنار
يراد به نفس الضوء القائم بها ويراد به الشعاع القائم بالارض والجدران
وهذا مباين لها ليس قائما بها ولفظ النور يعبر به عن هذا وهذا وكلاهما

صفة قائمة بغيرها وعرض وقد يراد بلفظ النور نفس النار ونفس الشمس والقمر فيكون النور جوهرا قائما بنفسه واذا كان كذلك فهم جعلوا الاب ربا جوهرا قائما بنفسه والابن أيضا ربا جوهرا قائما بنفسه وروح القدس ربا جوهرا قائما بنفسه ومعلوم ان ضوء النار والشمس وحرارتها ليس كل منهما شمسا ونارا قائمة بنفسها ولا جوهرا قائما بنفسه فلو أثبتوا حياة الله وعلمه أو كلامه صفتين قائمتين به ولم يجعلوا هذا ربا جوهرا قائما بنفسه وهذا ربا جوهرا قائما بنفسه لكان قولهم حقا وتمثيلهم مطابقاً ولكنهم لم يقتصروا على مجرد جعلهما صفتين لله حتى جعلوا كلا منهما ربا وجوهرا وخالقا بل صرحوا بأن المسيح الذي يزعمون اتحاد أحدهما به الها واحدا وخالقا فلو كان نفس كلمة الله وعلمه لم تكن الها خالقا فان كلام الله وعلمه ليس إلها خالقا فكيف والمسيح مخلوق بكلمة الله ليس هو نفس كلمة الله؟ الوجه الثالث ان قولهم الشمس وشعاعها وضوءها إن أرادوا بالضوء مايقوم بها وبالشعاع ما ينفصل عنها فليس هذا مثال النار وحرها ولهيبها اذ كلاهما يقوم بها وعلى هذا فالشمس لم تقم بها الا صفة واحدة لا صفتين فلا يكون التمثيل بها مطابقا وان أرادوا بالضوء والشعاع كلاهما مايقوم بها أو كلاهما ماينفصل عنها فكلاهما صفة واحدة ليس هما صفتان كالحياة والعلم فعلم ان تمثيلهم بالشمس خطأ وبعضهم يقول الشمس وحرها وضوءها كما يقولون مثل ذلك في النار وهذا التمثيل اصح لو ثبت ان في جرم الشمس حرارة تقوم فان هذه لم يقم عليه دليل وكثير من العقلاء ينكره ويزعم ان جرم الشمس والقمر والكواكب لاتوصف بحرارة ولا برودة وهو قول ارسطو واتباعه

وأما تمثيلهم بروح الانسان ونطقه فان أرادوا بالروح حياته فليس هذا هو مفهوم الروح وان أرادوا الروح التى تفارق بدنه بالموت وتسمى النفس الناطقة فهذه جوهر قائم بنفسه ليس عرضا من أعراضه وحينئذ فيلزم ان تكون روح الله جوهراً قائمًا بنفسه مع جوهر آخر نظير بدن الانسان ويكون الرب سبحانه وتعالى مركبا من بدن وروح كالانسان وليس هذا قول أهل الملل لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى فتبين ان تمثيلهم بالثلاثة باطل. الوجه الرابع ان التمثيل إما ان يقع بصفات الشمس والنار والانسان أو النفس القائمة بهذه الجواهر او بما هو مباين لذلك كالضوء الذي يقع على الارض والحيطان والهواء وغير ذلك من الاجسام اذا قابلت الشمس أو النار أو الانسان أو النفس القائمة بهذه الجواهر فان أريد بهذا فهذا شعاع منعكس وضوء منقلب وليس هو صفة قائمة بالشمس والنار واذا أريد بما حل فى المسيح فهذا وهذا يسمى نورا وروحا ويسمى نور الله كما قال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء) وقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) فاخبر انه جعل الروح الذى أوحاه نورا يهدى به من يشاء وقال تعالى (أولئك الذين كتب الله في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) وقال تعالى (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه) وقال تعالى (ويجعل لكم نوراً

) وقال تعالى (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) فاذا
ل في المسيح من الروح والكلمة بهـذا المعنى فلا اختصاص
ذلك فان هذا يحل في جميع الانبياء والمؤمنين وان كانوا متفاضلين
، درجاتهم وليس هذا الحال فيهم نفس صفة الله القائمة به وان
، حاصلا عنها ومسببا عنها لـكن ليس هو نفس صفة الله وان
الناس من يقول بل صفة الله التي اتصف بها حلت في العبد
ـ خطأ فان صفة الموصوف القائمة به يمتنع قيامها بعينها بغيره
'نسان اذا تعلم علم غيره وبلغ كلام غيره يقال هـذا علم فلان
لان هذا الثاني بلغه عنه والمقصود هو عـلم الاول وكلامه مع
نفس ماقام بذات الاول ليس هو عين ماقام بذات الثاني وان
كون مثله وقد يكون الاول هو المقصود بالثاني مثل من بلغ
ـه فكلام المبلغ هو المقصود بالتبليغ وصفات المبلغ كحركته
ا يحصل التبليغ ليس هو نفس المقصود واذا قيل هذا كلام
فالاشارة الى حقيقة الكلام المقصود بالتبليغ لا الى مايختص به
أفعاله وصفاته ولهذا شبه الناس من قال بحلول صفة الرب
النصارى القائلين بالحلول وهو شبيه بهم من بعض الوجوه
ـارى لا يقولون بحلول صفة مجردة بل بحلول الاقنوم الذى هو
ة بالصفة ويقولون ان المسيح خالق ورازق وهو خالق آدم ومريم
دم ومريم وهو خالق لهما بلاهوته ابن لهما بناسوته ويقولون هو
ـو الله بلاهوته ويقولون أيضاً باللاهوت والناسوت لاجل الاتحاد
هم بقولهم ان الله هو المسيح بن مريم ونحو ذلك وان أرادوا

بتمثيلهم بصفات الشمس والنار والنفس التمثيل بنفس مايقوم بالشمس
والنار والنفس من الضوء والحياة والنطق وجعلوا مايثبتونه من الاب
والابن وروح القدس صفات لله كما ان هذه صفات لهذه المخلوقات • قيل
لهم أولا لم يعبر أحد من الانبياء عليهم السلام عن صفات الله باسم
الاب والابن وروح القدس فليس لكم اذا وجدتم فى كلام المسيح عليه
السلام او غيره من الانبياء ذكر الايمان بالاب والابن وروح القدس
أن تقولوا مرادهم بذلك صفة الله التي هى الكلمة والعلم ولا حياة الله
اذ كانوا لم يريدوا هذا المعنى بهذا اللفظ وانما أرادوا باسم الابن وروح
القدس ماهو بائن عن الله عز وجل والبائن عن الله ليس صفة لله
فضلاً عن أن يكون هو الخالق فضلا عن أن يكون البشر المتحد به
خالقاً فقد ضللتم ضلالا بعد ضلال ضلالا حيث جعلتم مراد المسيح
وغيره بالابن وروح القدس صفة الرب ثم ضلالا ثانياً حيث جعلتم
الصفة خالقاً ورباً ثم ضلالا ثالثاً حيث جعلتم الصفة تتحد ببشر هو عيسى
ويسمى المسيح ويكون هو الخالق رب العالمين فضللتم فى الحلول ضلالا
مثلثاً بعد ضلالكم فى التثليث أيضا ضلالات أخر حيث أثبتم ثلاث
صفات دون غيرها وجعلتموها جواهر أرباباً ثم قلتم اله واحد فضللتم
ضلالا مثلثا في التثليث وضلالا مثلثا في الاتحاد وقيل لكم ثانيا اذا
جعلتم ذلك صفات الله كما ان الضوء والنطق والحرارة صفات لما تقوم
بها امتنع ان تحل بغيرها وامتنع مع الحلول ان تكون فاعلة فعل النار
والشمس والنفس وأنتم جعلتم الكلمة والحياة حالة بغير الله وجعلتم
مايحل به الهاً خالقاً بل هو الاله الخالق ومعلوم ان احداً من العقلاء

لايجعل مايحصل فيه ضوء النار ناراً ولا ما يحصل فيه شعاع الشمس شمساً ولا مايحصل فيه نطق زيد وعلمه هو نفس زيد فكان جعلكم المسيح هو الخالق للعالم مخالفا لتمثيلكم وتبين بذلك ان ماذكرتموه لايطابقه شيء من الامثلة اذ كان كلاما باطلاً متناقضا يمتنع تحققه فلا تمثيل بشيء من الموجودات الثابتة المعلومة الا كان تمثيلا غير مطابق ولهذا يشبهون الحلول والاتحاد تارة بحلول الماء في الظرف وتارة بحلول النار في الحديد وتارة بالنفس والبدن وتارة يقولون بانهما جوهر واحد اختلطا كاختلاط الماء واللبن وكل هذه الامثال التي ضربوها لله أمثال باطلة فان الماء في الظرف وغيره من الاوعية محتاج الى وعائه لو انخرق وعاؤه اتبدد وهو محيط ولا يتصف الظرف بشيء من صفات الماء والرب تعالى يمتنع ان يحتاج الى شيء من مخلوقاته لاالى العرش ولا غيره او يحيط به شيء من الموجودات اذ هو الظاهر فليس فوقه شيء كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء فهو غني عن كل ماسواه وكل ما سواه فقير اليه ولهذا لم يكن ماوصف به نفسه مماثلا لصفات المخلوقين كما لم تكن ذاته كذوات المخلوقين فهو مستو على عرشه كما أخبر عنه نفسه مع غناه عن العرش والمخلوق المستوي على السرير او الفلك او الدابة لو ذهب ماتحته لسقط لحاجته اليه والله غني عن كل ماسواه وهو الحامل للعرش ولحملة العرش وفرق النصارى الثلاثة يقولون بالاتحاد فلا ينفعهم التمثيل بحلول الماء في الظرف ولوقدر

انهـم قالوا بالحلول المجرد مع ان الرب لايحتاج الى الناسوت لايحويه ولا يمسه بل كما خاطب موسى من الشجرة فهـذا يوجب ان الناسوت لايتصف بشيء من الالهية كالشجرة ثم انه معلوم بالضرورة ان الصوت الذي كان يسمع هو صوت الناسوت فالتمثيل بالشجرة ايضا باطل كما بسط في موضعه واما الحديد والخشب وغـيرهما اذا التى فى النار فانه يستحيل ناراً لاتصاله بالنار لا ان النار الذي استحال اليها كانت موجودة فحلت به فهنا استحالة بلا حـلول والنار الذي صارت في الحديدة حادثة عن تلك النار ليست اياها ثم تلك الحديدة اذا طرقت وقع التطريق على النار وكذلك اذا القيت في الماء فلو كان هـذا تمثيلا مطابقا لكان الضرب والصلب والاهانة وقع على اللاهوت وكان اللاهوت هو الذي يغتسل بالماء وهو الذى يأكل ويشرب وهذا من أعظم الكفر ويحكى عن بعض طائفة منهـم كاليعقوبية انه يقول بهذا الكفر وان كان كثير منهم كالملكية والنسطورية ينكره فهو لازم لهم وكذلك اذا شبهوه بالنفس والبدن فان النفس تتألم تألم البدن وتستحيل صفاتها بكونها في البدن وتكتسب عن البدن اخلاقا وصفات فلو كان هذا تمثيلا مطابقا لزم تألم اللاهوت بآلام البدن وان يكون متألمـاً بجوع البدن وعطشه وضربه وصلبه وان يكون مستحيلاً لما اكتسبه من صفات الناسوت الذى هو عنـدهم بمنزلة البدن للنفس وأما قولهم اذ لم نهمل ما تسلمناه ولم نرفض ماتقلدناه فقولهم في ذلك بمنزلة قول اليهود للمسيح انا لانهمل ماتسلمناه ولا نرفض ماتقلدناه من موسى عليه السلام *وجواب الطائفتين من وجهين أحدهما انكم بدلتم وحرفتم

الكتاب الذى أنزل اليكم والشرع الذى شرع لكم وتبديل المعاني والاحكام لاريب فيه عند جميع عقلاء الانام وما كان عليه اليهود بعد التبديل لم يكن هو الشرع الذى شرعه موسى عليه السلام وما كان عليه النصارى بعد التبديل لم يكن هو الشرع الذي شرعه المسيح عليه السلام • والثاني انكم كذبتم بالكتاب الآخر والرسول الآخر الذى أرسل اليكم ومن كذب ما أنزل اليه من ربه والرسول الذى أرسل اليه كان كافراً مستحقاً لعذاب الدنيا والآخرة وان كان قبل ذلك متبعاً لشرع رسول وكتاب غير مبدل فكيف اذا كان قد بدل مابدل من أحكامه ومعانيه؟

(فصل) واما قولهم وانا هذه الشهادات والدلائل من الكتاب الذى في أيدى هؤلاء القوم• فيقال لايصح استشهادهم بهذا الكتاب واستدلالهم به بوجه من الوجوه فانه الذى قد جاء به وقدعلم تواتر عنه انه أخبر انه مرسل اليهم وانهم كفار اذا لم يؤمنوا به مستحقون للجهاد ومن لم يستحل جهادهم فهو كافر والقرآن مملوء بكفرهم فان كان هذا رسولا من الله وقدأخبر بكفرهم ثبت انهم كفار فانالرسول لايقول على الله الا حقاً لا يكذب على الله فى شئ ومن كذب على الله ولو في كلمة واحدة فهو من الكذابين المفترين على اللهالكذب مستحق لعقوبة الكذابين كما قال تعالى(ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) وقال تعالى (أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشاء الله يختم على قلبك ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) وقال تعالى واذا بدلنا آية مكان

آية والله أعلم بمـا ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) وقال تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل مايكون لي ان أبدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا مايوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون) فمتى كانت كلمة من كلمات هذا الكتاب كذبا على الله لم يكن كتاب الله ولم يكن الذي جاء به رسول الله فان الكاذب قد يصدق في اكثر مايقوله لكن اذا كذب في بعض مايقوله كان كاذباً والله تعالى لا يرسـل من يكذب عليه فان المخلوق لايرضى ان يرسل من يعلم انه يكذب عليه ولو فعل ذلك دل على جهله أو عجزه فكيف يرسل رب العالمين من يعلم انه يكذب عليه وحينئذ فمتى كذبوا بكلمة واحدة ممـا في الكتاب لم يصح استشهادهم واستدلالهم بشيء مما في الكتاب وان صدقوا بالكتاب كله لزمهم الايمان بمـا جاء به واتباع شريعته والاعتراف بكفر الذين كذبوه وكفر الذين يقولون ان الله هو المسيح بن مريم وان الله ثالث ثلاثة وهذا بخلاف من آمن بالرسول ولم يثبت عنده بعض ما نقل عنه أولم يعرف معناه فان هذا لا يقدح في أصل ايمانه بالرسول ٠ فالمسلمون اذا كذبوا ببعض مانقل عن موسى والمسيح فهو لطعنهم في الناقل لا في النبي المنقول عنه ٠ وأما النصارى فيعلمون ان محمداً جاء بالقرآن فطعنهم في بعضه طعن في الرسول نفسه وكفر به وليس هذا بمنزلة ما مثلوا به من الوثيقـة التي كتب وفاها في ظهرها فان الذي له الدين اقر

بالاستيفاء المسقط له فلم يبق هناك حق له يدعيه بخلاف مايخبر به الذى يقول انه رسول الله فانه يقول ان الله ازل على هـذا الكتاب كله وأرسانى بكذا وكذا الى كذا وكذا فان كذب فى شيء مما أخبر به عن الله لم يكن الله أرسله فان الذى أرسله هو الذى جعله يبلغ عنه ما يقوله بلا زيادة ولا نقص وارسال الله للرسول يتضمن شيئين انشاء الله للرسالة والله حكيم وهو أعلم حيث يجعل رسالته لا يجعلها إلا في من هو أكمل الخلق وأصدقهم ويتضمن إخبار الله عنه بانه صادق عليه فيما يبلغه عنه مما يقول ان الله أرسله به فكما صدقه بالآيات المعجزات في قوله انه أرسانى فقد صدقه بما يقول انه أرسلنى به اذ التصديق بكونه أرسله من غير معرفة بصدقه فيما يخبر به لا فائدة فيه ولا يحصل به مقصود الارسال والله عليم بما يشهد به لمن أرسله بخلاف المخلوق الذى يبعث من يظنه يصدق فيما يبلغه عنه فيظهر انه كذب عليه والله يعلم عواقب الامور والرسالةُ صادرة من علمه وحكمته وهو عليم حكيم ومن يكذب على الله ولو فى كلمة لم يبلغ عنه ما يقوله على هـذا الوجه فلا يكون رسوله ولهذا اتفق أهل الملل على ان الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله لا يكذبون عليه عمدا ولا خطأً فان هذا مقصود الرسالة فكان تمثيل هذا بالوثيقة تمثيلاً باطلاً فان المدعى للاسقاط لم يدع كلاماً متناقضاً بل قال اقررت الدين ثم وفيتك اياه وانت تقر بوفائه واقرارك مكتوب فى ظهرها فليس لك ان تحتج باقرارى بالدين دون اقرارك بالوفاء بل اما ان تعتبر مافي الوثيقة من اقراري واقرارك واما ان تبطل الامرين وهذا كلام عدل كالشريكين المتفاوضين مثل شريكي

العنان اذا قال لصاحبه ان حصل ربح فهو لي ولك وان لم يحصل ربح فلا لي ولا لك وكذلك البايع والموآجر الذي يقول ان كان بيننا معاوضة فعليك تسليم مابذلته وعليّ تسليم مابذلته لايستحق هـذا الا بهذا فهذا كله كلام عدل وانصاف بخلاف الشخص الذى يقال فيه انه رسول الله والكتاب الذى يقال انه كلام الله وان الله أنزله فان هـذا ان كان رسولا صادقا فجميع مابلغه عن الله حق وان كان كاذبا لم يكن الله أرسله فجميع مابلغه عن الله كذب على الله فلا يجوز بمجرد خبره ان ينسب الى الله شئ ولا يحتج بما يخبر به عن الله على شيء الا ترى ان من ادعى الرسالة وعلم انه كاذب كالاسود العنسى ومسيلمة الكذاب وطليحة الاسدى والحارث الدمشقي وبابا الرومي وغير هؤلاء لايجوز لاحد ان يحتج بشئ مما ذكروا ان الله أرسلهم به وان كان ذلك القول قد علم انه حق من جهة أخرى فانه قد علم بكذبهم ان الله لم يرسلهم فاى شئ قالوا ان الله أنزله عليهم كانوا كاذبين فيه ومتى علم انه كاذب في نفس الخبر المعين لم يجز ان يحتج بجنس الذى علم انه كاذب فيه وكذلك لوقال رجل عندى ان موسى او داود او المسيح لم يرسلهم الله بشيء لكن كذبوا في قولهم ان الله أرسلهم فاذا أراد مع هذا ان يحتج بما ينقل من التوراة والزبور والانجيل عن الله كان متناقضاً وكان احتجاجه باطلا غير مقبول بل لو قال انا اشك في بعض ما أخبروا به عن الله هل كذبوا فيه أم لا كان ذلك شكا في ان الله أرسلهم فان من أرسله لايكذب في شئ لاخطأ ولا عمدا ومع شكه فى ذلك لايجوز ان يحتج بشئ مما ينقلونه عن الله لتجويز ان يكونوا كاذبين في نفس ذلك

الذى نقلوه عن الله وليس هذا مثل رسول الواحد من الآدميين فانه قد يكون أرسله ثم ان الرسول صدق في بعض مابلغه من مرسله وكذب في البعض ويجوز على الآدمى ان يرسل من يكذب عليه لعدم علمه بكذبه او عدم حكمته فى ارساله واما الرب تعالى فلا يجوز ان يرسل من يكذب عليه لاعمداً ولا خطأ وكذلك الشاهد والمخبر الذى قد علم انه تارة يصدق وتارة يكذب يمكن ان يستدل ببعض أخباره الذى يظهر فيها صدقه لدلالات تقترن بذلك بخلاف الرسول فانه اذا كذب كذبة واحدة امتنع ان يكون الله أرسله فصار جميع مايبلغه عن الله هو كاذب في ان الله ارسله به فكذبه في كلمة واحدة يوجب انه كاذب فى جميع ما بلغه عن الله وان جميع ماحكاه ورواه عن الله قد كذب فيه وان قدر ان ذلك الكلام فى نفسه حق لكن تبليغه عن الله ونقله وروايته وحكايته عن الله كذب على الله وقد أخبر الله انه ينسخ مايلقيه الشيطان مما يناقض مقصود التبليغ بقوله تعالى(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة او يأتيهم عذاب يوم عقيم) وان قالوا خبره يناقض بعضه بعضاً كان الجواب من وجهين أحدهما ان هذا أيضاً ان كان حقاً فانه يقدح فى رسالته فان الرسول لايناقض بعض خبره بعضاً

ومن كان كذلك لم يصح لكم ان تحتجوا بشئ ممـا جاء به وان كان باطلا لم يرد عليه فعلم ان استدلالهم بما فى هذا الكتاب على صحة دينهم الذى خالفوا به هذا الكتاب في غاية الفساد وهو جمع بين النقيضين واستدلال بما في الكتاب على مايوجب بطلان الاستدلال بشىء مما فى الكتاب واذا كانت النتيجة تستلزم فساد بعض مقدمات الدليل بطل الاستدلال بذلك الدليل الذى لا يصح الا بصحة مقـدماته فاذا كانت مقدمته لاتصح الا مع فساد نتيجته ونتيجته مستلزمة لفساد مقدمته كان الجمع بين صحة المقدمة والنتيجة جمعاً بين النقيضين وكذلك من استدل بشىء من الكتاب على ماينافض مافى الكتاب كاستدلال النصارى بآيات فيه على صحة دينهم كان تناقضاً فانه ان صح ذلك الدليل بان مدح دينهم مع ذمه كان متناقضاً والكتاب المتناقض لايكون كتاب الله وان فسد احدهما اما فساد دينهم واما فساد مدحه فالكتاب الذى فيـه فساد لايكون كتاب الله فيلزم ان لايكون كتاب الله على التقديرين فلا يصح الاستدلال به من جهة كونه خبرالله واما الاستدلال به من جهة كون المتكلم به رجلا عالماً حكيما وهذا لايفيد العلم اذ ليس معصوما الا الانبياء عليهم السلام . والنصارى يجوزون ان يكون معصوما غير الانبياء فبتقدير ان يكون كذلك فهو حجة عليهم وان قالوا هو رجل عالم ليس برسول من الله . قيل لهم فهذا قوله ليس بحجة لجواز ان يخطىء ولكن يعتضد بقوله واما اذا ادعى ان الله ارسله وهو لم يرسله بهذا الكتاب كله فهذا كذاب لايحتج بشيء من كلامه ولايكون مثل هذا عدلا فضـلا عن ان يكون حكيما بل هو من الذين افتروا

على الله كذباً ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا اوقال اوحى الي ولم يوح اليه شيء)*والجواب الثاني انا قد بينا ماذكروه انه لايناقض شيئاً مما أخبر به وانه ليس في هذا الكتاب تناقض يحتجون به بوجه من الوجوه واما قولهم واعظم حجتنا ماوجدناه فيه من الشهادة لنا بان الله جعلنا فوق الذين كفروا الى يوم القيامة • فيقال بل ما ذكروه حجة عليهم لا لهم فان الله أخبر المسيح انه جاعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا الى يوم القيامة وخبر الله حق ووعد الله صدق والله لايخلف الميعاد فاما اتبع المسيح من آمن به جعلهم الله فوق الذين كفروا به من اليهود وغيرهم ثم لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين الذى بعث به المسيح وسائر الأنبياء قبله وكان محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما جاء به المسيح وكان المسيح مبشراً برسول يأتي من بعده اسمه احمد صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم اتبع للمسيح عليه السلام من النصارى الذين غيروا شريعته وكذبوه فيما بشر به فجعل الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوق النصارى الى يوم القيامة كما جعلهم أيضاً فوق اليهود الى يوم القيامة والنصارى بعد النسخ والتبديل ليسوا متبعين المسيح لكنهم اتبع له من اليهود الذين بالغوا في تكذيبه وسبه فانهم كذبوه اولا وكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم ثانياً فصاروا ابعد عن متابعة المسيح من اليهود فكانوا مجعولين فوق اليهود • والمؤمنون أمة محمد صلى الله عليه وسلم هم المتبعون للمسيح عليه السلام ومن سواهم كافر به فامة محمد صلى الله عليه وسلم فوق اليهود والنصارى الى يوم القيامة ولهذا لما جاء المسلمون يقاتلون النصارى غلبوهم وأخذوا منهم

خيار الارض الارض المقدسة وما حولها من مصر والجزيرة وأرض العرب ولم تزل المسلمون منتصرين على النصارى ولا يزالون الى يوم القيامة لم تنتصر النصارى قط على جميع المسلمين وانما تنتصر على طائفة من المسلمين بسبب ذنوبهم ثم يؤيدالله المؤمنين عليهم ولو كان النصارى هم المتبعين للمسيح عليه السلام والمسلمون كفاراً به لوجب ان ينتصروا على جميع المسلمين لان جميع المسلمين ينكرون آلهية المسيح ويكفرون النصارى فعلم ان المتبعين للمسيح هم المسلمون دون النصارى

(فصل) قالوا وأما تجسم كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء وتجسدها بانسان مخلوق وهو الذي أخذ من مريم العذرا المصطفاة التي فضلت على نساء العالمين واتحدت الكلمة به اتحاداً بريا من اختلاط أو تغيير أو استحالة وخاطب الناس كما خاطب الله لموسى النبي من العوسجة ففعل المعجز بلاهوته وأظهر العجز بناسوته والفعلان هما من المسيح الواحد * والجواب ان فى هذا الكلام من أنواع الكذب والكفر والتناقض اموراً كثيرة وذلك يظهر بوجوه الاول ان قولهم كلمة الله الخالقة التى بها خلق كل شيء كلام متناقض فان الخالق هو الاله الخالق وهو خلق الاشياء بكلامه وهو قوله كن فالخالق لم يخلق به الاشياء بل هو خلقها والكلام الذي به خلقت الاشياء ليس هو الخالق لها بل به خلق الخالق الاشياء والفرق بين الخالق والمخلوق وبين مابه خلق الخالق معقول وهؤلاء جعلوا الخالق هو الذى به خلقت المخلوقات فجعلوا الكلمة هى الخالق وجعلوا المخلوقات خلقت بها وايضاح هذا ان الكلمة ان كانت مجردة الصفة فالصفة ليست خالقة

وان كانت الصفة مع الموصوف فهذا هو الخالق ليس هذا هو المخلوق به • والثاني قولهم تجسدها بإنسان مخلوق وقولهم تجسم كلمة الله فان قولهم تجسمت وتجسدت يقتضي ان الكلمة صارت جسداً وجسما بالانسان المخلوق وذلك يقتضي انقلابها جسداً وجسما وهـذا يقتضي استحالتها وتغيرها وهم قالوا اتحاداً بريا من تغير واستحالة *الثالث قولهم اتحدت الكلمة به اتحاداً بريا من اختلاط أو تغير أو استحالة كلام متناقض ايضاً فان الاتحاد ان يصير الاثنان واحـداً فيقال قبـل الاتحاد كان اللاهوت جوهراً والناسوت جوهراً آخر وان شئت قلت كان هذا شيئاً وهذا شيئاً أو هذا عينا قائمة بنفسها وهذا عيناً قائمة بنفسها فبعد الاتحاد اما ان يكونا اثنين كما كانا أو صار الاثنان واحـداً فان كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد بل هما متعددان كما كانا متعددين وان كانا قد صارا شيئاً واحداً فان كان هذا الواحد هو أحدهما فالآخر قد عدم وهذا عدم لاحدهما لا اتحاده وان كان هذا الذى صار واحداً ليس هو احدهما فلا بد من تغيرها واستحالتهما والا فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقيين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد فاذا قيل اتحدا اتحادا بريا من اختلاط أو تغير أو استحالة كان هذا كلاماً متناقضا ينقض بعضه بعضه فان هذا انما يكون مع التعدد والمباينة لا مع الاتحاد يوضح ذلك انه اذا اتحد الماء واللبن أو الماء والخمر ونحو ذلك كان الحاصل من اتحادهما شيئا ثالثاً ليس ماء محضا ولا لبنا محضا بل هو نوع ثالث وكل من الماء واللبن قد استحال وتغير واختلط وأما اتحاد بدون ذلك فغير معقول ولهذا عظم اضطراب النصارى في هذا الموضع وكثر اختلافهم وصار

كل منهم يرد على الآخر ما يقوله ويقول هو قولا يكون مردودا فكانت أقوالهم كلها باطلة مردودة اذ كانوا اشتركوا في أصل فاسد يستلزم احد امور كلها باطلة فاى شيء اخذ من تلك اللوازم كان باطلا ولا بد له منها فيأخذ هذا بعض اللوازم فيرده الآخر ويأخذ الآخر لازما آخر فيرده الآخر وهذا شأن جميع المقالات الباطلة اذا اشترك فيها طائفة لزمها لوازم باطلة وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم فانه اذا تحقق الملزوم تحقق اللازم واذا انتفى اللازم انتفى الملزوم وهذا يتبين بالوجه الرابع وهو ان يقال كثير من النصارى يقول انهما بعد الاتحاد جوهر واحد وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وهذا القول يضاف الى اليعقوبية ويقولون ان اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كما يختلط الماء واللبن والماء والخمر وهذا القول هو حقيقة الاتحاد لا يعقل الاتحاد الا هكذا لكن فساده ظاهر لعقول الناس واذا كان هذا لازما لقول النصارى وفساده ظاهر كان فساد اللازم يدل على فساد الملزوم فان حقيقة هذا القول ان الذي كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط والذي ضرب وبصق في وجهه ووضع الشوك على رأسه هو رب العالمين ونفس تصور هذا القول مما يوجب العلم ببطلانه وتنزيه الله عن ذلك وان قائله من أعظم المفترين على الله قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ اذًّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) الوجه الخامس قولهم وخاطب الناس كما

خاطب الله موسى من العوسجة يوجب ان يكون الذين كلمهم المسيح ممن آمن به وكفر به هو بمنزلة موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليما ومعلوم ان تكليم الله لموسى عليه الصلاة والسلام مما فضله به على غيره من النبيين فان كان آحاد الناس بمنزلة موسى بن عمران لزم ان يكون كل من آحاد الناس فى ذلك بمنزلة موسى بن عمران وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل • الوجه السادس انه من المعلوم ان خطاب الله لانبيائه ورسله أفضل من خطابه لمن ليس بنبي ولا رسول والمسيح عليه السلام لم يكلم عامة النبيين والمرسلين بل لم يكلم الا ناساً منهم من آمن به ومنهم من كفر والتحقيق انه لم يكلم أحداً من رسل الله ولكن النصارى يزعمون ان الحواريين رسل الله وهذا باطل ولو سلم فلم يكلم الا اثنى عشر رسولا وقد بعث الله قبله رسلا كثيرين قد روى في حديث أبي ذران عدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وقد قال الله فى القرآن (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (وان من أمة الا خلا فيها نذير) وفي الحديث الذي فى المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل وهذه السبعون سواء كانت هي التي هداها أو هى الجميع فانه يدل على أكثرية الرسل ولم يكلم الله أحداً من هؤلاء من بشر حل فيه فلو كان المكلم للناس في عيسى هو الله لكان تكليم الله للذين كلمهم عيسى من الكفار . والمؤمنون أكمل من يكلمه رسل الله الذين أرسلهم. الوجه السابع ان الناسوت ناسوت المسيح هو من جنس سائر

النواسيت والانسان لايستطيع ان يرى الله في الدنيا كما أخبر بذلك موسى وعيسى ومحمد فاذا لم يستطع ان يراه كان ان لايستطيع الاتصال به ومماسته فضلا عن الاتحاد به أولى وأحرى ٠ الوجه الثامن ان الله لما كلم موسى عليه السلام من الشجرة كان الكلام المسموع مخالفاً لما يسمع من كلام الناس ولهذا لم تطق بنوا اسرائيل سماع ذلك الصوت بل قالوا لموسى صف لنا ذلك وهذا عندهم في التوراة كما روى الجلال في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل فيما رواه من حديث الزهري قال لما سمع موسى كلام الله قال يارب هذا الكلام الذي أسمع هو كلامك قال نعم ياموسى هو كلامي وانما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الالسن كلها وأنا أقوى من ذلك وانما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك ولو كلمتك بأكثر من هذا لمت فلما رجع موسى الى قومه قالوا له صف لنا كلام ربك فقال سبحان الله وهل استطيع ان أصفه لكم قالوا فشبهه لنا قال هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة وسمعتموها فكأنه مثله ٠ وأما المسيح عليه السلام فكان كل أحد يسمع صوته كصوت سائر الناس لم يتميز عنهم بما يوجب ان يكونوا سمعوا كلام الله كما سمعه موسى بن عمران ٠ الوجه التاسع ان الجني اذا حل في الانسي كما يحل في المصروع ويتكلم على لسانه فانه يتغير الكلام ويعرف الحاضرون انه ليس هو كلام الانسي مع انه يتكلم بلسان الانسي وحركة أعضائه فيعلم ان الصوت حصل بحركة بدن الأنسي مع العلم بانه قد تغير تغيرا خالف به المعهود من كلام الانسي والانسان الذي حل فيه الجني يغيب عنه عقله ولا يشعر بما تكلم الجني على لسانه فرب العالمين

سبحانه وتعالى لو حل فى بشر واتحد به وتكلم بكلامه وكان الكلام المسموع كلام الله المسموع منه لكان يظهر من الفرق بين ذلك وبين المعهود من كلام الانسى ماهو في غاية الظهور وكان يتغير حال الانسى غاية التغير فان الرب عز وجل لما تجلى للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فاذا كان البدن الانسى لايثبت لتجليه للجبل فكيف يثبت لحلوله فيه ويكلمه على لسانه من غير تغير في البدن وقد كان الوحي والملائكة اذا نزلت على الانبياء في باطنهم يظهر التغير فى أبدانهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي ثقل حتى ينزل به البعير وان كان فخذه على فخذ أحد ثقل حتى كاد يرضه وفى الصحيحين عن عائشة ان الحارث بن هشام قال يارسول الله كيف يأتيك الوحي قال أحياناً يأتيني فى مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ماقال واحيانا يتمثل لى الملك يكلمني فاعي مايقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وموسى عليه السلام لما سمع كلام الله مقت الآدميين لما وقر في سمعه من كلام الله وكان النور يظهر على وجهه حتى كان يتبرقع والمسيح عند النصارى قد اتحد به اللاهوت من حين علقت به مريم ولم يزل متحداً به وهو حمل فى بطنها يعظم اتحاده به كلما كبر ثم كذلك كان متحدا به وهو صبي الى ان رفع الى السماء وقعد عن يمين أبيه وهو متحد به عندهم واللاهوت والناسوت جميعاً ومع هذا لم يتغير بدن المسيح تغيرا يناسب ذلك ولاظهر من الانوار ما يناسب ذلك بل عندهم ان المسيح قبل ان يعمده يوحنا ويرى شبه الحمامة نازلا عليه لم يظهر الآيات بل كان كآحاد الناس وأوله

ما ظهر من الآيات قلب الماء خمراً وموسى عليه السلام بمجرد ما سمع الكلام وكلمه الله من الشجرة ظهر عليه النور واين سمع الكلام من الاتحاد به وموسى لما سمع الكلام وكلمه الله من الشجرة نزلت الملائكة وظهر له من آيات الله وعظمته ما يناسب تكليم الله عز وجل والرب دائماً عند النصارى متحد ببدن المسيح ولم يظهر من آيات الربوبية والعظمة الا ما يظهر اكثر منه لبعض الانبياء • الوجه العاشر ان المخاطب للناس ان كان هو مجموع اللاهوت والناسوت فكلامه صريح في انه مخلوق مربوب يدعو ويسأل والمجموع ليس بمخلوق يسأل الله ويعبده وان كان هو اللاهوت وحده كما يقتضيه كلامهم هذا فهو ابعد وابعد وان كان هو الناسوت وحده فلم يكن اللاهوت مخاطبا للناس ولم يكلم الله الناس من الناسوت كما كلم الله موسى من الشجرة وايضاً فلم يكن فرق بين حقيقة كلام الناسوت وكلام اللاهوت وكلام المسيح الصريح في انه مخلوق كثير وهم يقرون به ولكن يقولون ذلك كلام عن الناسوت فيقال لهم حينئذ فالمخاطب للناس هو الناسوت دون اللاهوت وانتم قلتم ان الله خاطب الخلق من بدن المسيح كما خاطب موسى من الشجرة والخطاب الذي سمعه موسى من الشجرة هو كله كلام اللاهوت والكلام الذي كان يسمع من المسيح ليس فيه شيء يختص باللاهوت بل عامته صريح في انه كلام الناسوت • الوجه الحادي عشر ان الله لما كلم موسى من الشجرة كان الكلام كلام الله وحده لم يكن للشجرة كلام اصلا بوجه من الوجوه فان كان هذا المثل مطابقاً كان الذي يكلم الناس من ناسوت المسيح هو اللاهوت وحده ومعلوم ان في الانجيل وغيره من النصوص

الصريحة ما يدل على ان الناسوت كان هو المتكلم مما يبين الفرق الواضح بين
هذا وهذا • الوجه الثاني عشر ان الذى نادى موسى من الشجرة لم يتكلم
الا بكلام الربوبية فقال (اني انا الله رب العالمين أني انا الله لا اله الا انا
فاعبدني واقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى
كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه
فتردى) وسائر ما تكلم به كله يقتضى انه كلام رب العالمين وأما
المتكلم على لسان المسيح فلم يقل كلمة من هذا اصلا بل كان في كلامه
من الاقرار بانه رسول وانه مخلوق محتاج وانه ابن البشر وغير ذلك
ما يناقض من كل وجه كلام المنادي لموسى من الشجرة فمن سوى
بين هذا وهذا كان قد سوى بين رب العالمين و بين انسان من
الآدميين وهو أضل من الذين قال الله فيهم (تالله ان كنا لفى
ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) فان أولئك جعلوهم أنداداً لله
في بعض الامور مع اعترافهم بانهم مخلوقون وهؤلاء الضلال جعلوا
هذا الانسان الذى يتكلم هو رب العالمين الذي كلم موسى من الشجرة
وقالوا ان هذا الذى كلم العباد هو ذاك الذي نادى موسى من الشجرة
الوجه الثالث عشر ان يقال معلوم ان الله اجل وأعظم واكبر من
رسله بما لا يقدر المخلوق قدره فلو كان هو الذي كلم الخلق على لسان
المسيح وكان الحواريون رسله الذين سمعوا كلامه منه بلا واسطة لكان
الحواريون اما مثل موسى وإما أعظم ومعلوم ان المسيح نفسه لم تكن
له آيات مثل آيات موسى فضلا عن الحواريين فان أعظم آيات المسيح
عليه السلام احياء الموتى وهذه الآية قد شاركه فيها غيره من الانبياء

كالياس وغيره وأهل الكتاب عندهم في كتبهم ان غير المسيح احي الله على يديه الموتى وموسى بن عمران من جملة آياته العصا التي انقلبت فصارت ثعبانا مبينا حتى باعت الحبال والعصى التي للسحرة وكان غير مرة يلقيها فتصير ثعبانا ثم يمسكها فتعود عصا ومعلوم ان هذه آية لم تكن لغيره وهي أعظم من احياء الموتى فان الانسان اذا كانت فيه الحياة فاذا عاش فقد عاد الى مثل حاله الاول والله تعالى يحي الموتى باقامتهم من قبورهم وقد أحيي غير واحد من الموتى فى الدنيا • واما انقلاب خشبة تصير حيوانا ثم تعود خشبة مرة بعد مرة وتبتلع الحبال والعصى فهذا أعجب من حياة الميت وايضاً فالله قد أخبر انه احيي من الموتى على يد موسى وغيره من أنبياء بنى اسرائيل اعظم ممن احياهم على يد المسيح قال تعالى (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وقال تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) وقال تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم) وأيضاً فموسى عليه الصلاة والسلام كان يخرج يده بيضاء من غير سوء وهذا أعظم من ابراء البرص الذى فعله المسيح عليه السلام فان البرص مرض معتاد وانما العجب الابراء منه وأما بياض اليد من غير برص ثم عودها الى حالها الاول ففيه أمران عجيبان لا يعرف لهما نظير وايضاً فموسى فلق الله له البحر حتى عبر فيه بنوا اسرائيل وغرق فيه فرعون وجنوده وهذا امر باهر فيه من عظمة هذه الآية ومن اهلاك الله لعدو موسى مالم يكن مثله للمسيح وايضا فموسى كان الله

يطعمهم على يده المن والسلوى مع كثرة بني اسرائيل ويفجر لهم بضربه للحجر كل يوم اثنى اعشر عينا يكفيهم وهذا أعظم من انزال المسيح عليه السلام للمائدة ومن قلب الماء خمرا ونحو ذلك مما يحكى عنه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكان لموسى في عدوه من القمل والضفادع والدم وسائر الآيات مالم يكن مثله للمسيح فلو كان الحواريون رسلا قد كلمهم الله مثل ما كلم موسى من الشجرة كانوا مثل موسى فكيف والمسيح نفسه لم يكن له آيات مثل آيات موسى ولو كان المسيح هو اللاهوت الذى كلم موسى لكان يظهر من قدرته أعظم مما أظهره على يد موسى فانه لم يحل فى بدن موسى ولا كان اللاهوت يكلم الخلق من موسى كما يزعمه هؤلاء في المسيح ومع هذا فالآيات التي أيد بها عبده موسى تلك الآيات العظيمة فكيف تكون آياته اذا كان هو نفسه الذي قد حل في بدن المسيح وهو الذى يخاطب الناس على لسان المسيح • الوجه الرابع عشر ان يقال ان قولهم ان الله خاطب الناس في المسيح كما خاطب موسى النبي من العوسجة من ابطل الباطل فان الله باتفاق الامم كلها لم يحل في الشجرة ولم يتجسد بها كما يزعمون هم انه حل بالمسيح واتحد به فانه عندهم حل بباطن المسيح بل وبظاهره واتحد به باطنا وظاهراً والرب تعالى لم يكن في باطن الشجرة ولا حل فيها ولا اتحد بها وقول الله انه كلمه منها وناداه منها كقوله انه نودي من شاطئ الوادى الايمن وذلك مثل قوله (وهل أتيك حديث موسى اذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى) وفي البقعة المباركة ونحو ذلك وليس في شئ من ذلك ان الرب حل فى باطن الوادي المقدس او

البقعة المباركة او الجانب الايمن ولا انه اتحد بشيء من ذلك ولا صار هو وشيء من ذلك جوهراً واحداً ولا شخصاً واحداً كما يقول بعض النصارى ان اللاهوت والناسوت صارا جوهراً واحداً وبعضهم يقول صارا شخصاً واحداً بل ولا قال احد انه حل في شيء من ذلك كحلول الماء في اللبن او النار في الحديد كما يقول بعضهم ان اللاهوت حل في الناسوت كذلك لو قدر ان بعض الناس قال شيئاً من المقالات التي لاتدل عليها الكتب الآلهية ولاتعلم بالعقل لم يكن قوله حجة اذ لايحتج الا بنقل ثابت عن الانبياء او بما يعلم بالعقل • الوجه الخامس عشر ان الذي كلم موسى وناداه هو الله رب العالمين وتكليمه له من الشجرة من جنس ما أخبر بنزوله الى السماء الدنيا ونزوله يوم القيامة لحساب الخلق والكلامُ على ذلك مبسوط في غير هذا الموضع • واما حلوله في البشر او اتحاده به فيمتنع من وجوه كثيرة عقلا وسمعاً مع انه لم يخبر به نبي • وما تقوله النصارى في غاية التناقض فانهم يزعمون ان المسيح هو الكلمة وهو الخالق لان الكلمة والذات شيء واحد فلا يفرقون بين الصفة والموصوف ثم يقولون المتحد بالمسيح هو الكلمة دون الذات التي يسمونها الاب ويقولون مع ذلك انه لم يتبعض ولم يتجزأ ومعلوم بصريح العقل ان الكلمة التي هي الصفة لايمكن مفارقتها للموصوف فلا تتحد وتحل دون الموصوف لاسيما والمتحد الحال عندهم هو الخالق فيجب ان يكون هو الاب وهم لايقولون المتحد الحال هو الاب بل هو الابن واذا قالوا ان الابن هو المتحد الحال دون الاب فالمتحد ليس هو الذي ما اتحد والابن اتحد والاب ما اتحد ويقولون ان المتحد اتخذ

عيسى حجاباً احتجب به ومسكنا يسكن فيه خاطب الناس فيه ويقولون
مع ذلك انه اتحد به والاب لم يحتجب به ولم يسكن فيه ولم يتحد به فلزم
قطعاً ان يكون منه شيء اتحد ومنه شيء لم يتحد فالاب لم يتحد والابن
اتحد وهذا يناقض قولهم لم يتبعض ويبطلُ تمثيلهم بالخاطب من الشجرة
فان ذلك هو الله رب العالمين ليس هو الابن دون الاب مع ماذكر من
الفروق الكثيرة البينة التي تبين بطلان تمثيل هذا بهذا ٠ الوجه السادس
عشر ان الرب عز وجل اذا تكلم تكلم بكلام الربوبيـــة فلو كان في
المسيح اللاهوت الذي أرسل موسى وغيره لم يخضع لموسى والتوراته
ويذكر انه انما جاء ليكملها لالينقصها ولا كان يقوم بشرائعها فان رب
العالمين أعظم وأجل من ذلك بل لو كان ملكا من الملائكة لم يفعل مثل
ذلك فكيف برب العالمين واذا قالت النصارى فعل ذلك خوفاً من بني
اسرائيل او خوفاً ان يكذبوه كان عذرهم اقبح من ذنبهم فرب العالمين
ممن يخاف ؟ سبحانه وتعالى ٠ وموسى لما كان فرعون يكذبه كان يظهر من
الآيات ما يذل بها فرعون وقومه مع عتوه وعتو قومه ٠ ولم تكن بنوا
اسرائيل اعتى من فرعون وقومه فلو كان هو رب العالمين كان مايؤيد
به نفسه من الآيات أعظم مما يؤيد به عبده موسى ومن عجائب النصارى
انهم يدعون فيه الالهيــة مع ادعائهم فيه غاية العجز حتى صلب واما
المسلمون فيقولون هو رسول مؤيد لم يصلب وهـــذه سنته سبحانه
في رســله فانه يؤيدهم وينصرهم على عدوهم كما نصر نوحا وابراهيم
ومحمدا صلوات الله عليهـــم وسلامه فاذا كان لايجوز ان يكون رسولا
مغلوباً فكيف يكون رباً مصلوباً ٠ الوجه السابع عشر قولهم فعل المعجز

بلاهوته وأظهر العجز بناسوته* فيقال لهم ان الله فعل من المعجزات ماهو أعظم من المعجزات التي ظهرت على يد المسيح عليه السلام ولم يكن متحداً بشيء من البشر فاي ضرورة به الى ان يتحد بالبشر اذا فعل معجزات دون ذلك • الوجه الثامن عشر ان المسيح ظهرت على يديه معجزات كما ظهر لسائر المرسلين ومعجزاتُ بعضهم اعظم من معجزاته ومع هذا فلم تكن المعجزات دليلا على اتحاد اللاهوت بالنبي الذي ظهرت على يديه فعلم ان الاستدلال بظهور المعجزات على يديه في غاية الفساد • الوجه التاسع عشر ان اللاهوت ان كان متحداً بالناسوت لم يتميز فعله عن فعل الناسوت فانهما اذا صارا شيئاً واحداً كان كل مافعله من عجز ومعجز هو ذلك الواحد كالامثال التي يضربونها لله سبحانه فانهم يمثلون ذلك بالنار مع الحديد والماء مع اللبن والخمر ومعلوم ان الحديدة اذا أدخلت النار حتى صارت بيضاء كالنار البيضاء ففعلها فعل واحد ليس لها فعلان متميزان احدهما بالحديد والآخر بالنار بل فيها قوة الحديد وقوة النار بل فيها قوة ثالثة ليست قوة الحديد ولاقوة النار اذ ليست حديداً محضاً ولا ناراً محضاً وكذلك الماء اذا اختلط باللبن والخمر فالمتحد منهما شيء واحد فعله فعل واحد منه ليس ماء محضاً ولا لبناً محضاً لايقول عاقل ان له فعلين يتميز أحدهما عن الآخر فعلا بكونه لبناً محضاً وفعلا بكونه ماء محضاً فقولهم بالاتحاد يوجب استحالة اللاهوت بالناسوت وان يصير فعل المتحد شيئاً واحداً وان كان اللاهوت لم يتحد به فهما اثنان شخصان جوهران وطبيعتان ومشيئتان وليس هذا دين النصارى مع ان حلول الرب عز وجل

في البشر ممتنع وكذلك اذا مثلوه بالنفس مع البدن فان النفس تتغير صفاتها بمفارقة البدن وكذلك البدن تتغير صفاته بمفارقة الروح له والانسان الذي نفخت فيه الروح هو نوع ثالث ليس فيه بدن محض وروح محض حتى يقال انه يفعل كذا ببدنه وكذا بنفسه بل افعاله تشترك فيها الروح فهو اذا أكل وشرب فالروح تتلذذ بالاكل والشرب وبها صار آكلاً شارباً والا فالبدن الميت لا يأكل ولا يشرب واذا نظر واستدل وسمع ورأى وتسلم فالنفس فعلت ذلك بالبدن والبدن يظهر فيه ذلك والروح وحدها لاتفعل ذلك وعندهم ان فعل هو فعل اللاهوت بعد الاتحاد والقول بهذا مع الاتحاد في غاية التناقض والفساد ولا يعقل نظير هذا في شيء من الموجودات ونفس المتكلم بهذا من النصارى لايتصور مايقول ولا يمكنه ان يمثله بشيء معقول

(فصل) قالوا وقد جاء في هذا الكتاب الذي جاء به هذا الانسان يقول (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) وهذا يوافق قولنا اذ قد شهد انه انسان مثلنا أي بالناسوت الذي أخذ من مريم وكلمة الله وروحه المتحدة فيه وحاشا ان تكون كلمة الله وروحه الخالقة مثلنا نحن المخلوقين وأيضاً قال في سورة النساء (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) فاشار بهذا القول الى اللاهوت الذي هو كلمة الله التى لم يدخل عليها ألم ولاعرض وقال أيضاً (ياعيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وقال في سورة المائدة عن عيسى انه قال (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني

كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد)فاعنى بموته عن موت الناسوت الذي أخذ من مريم العذراء وقال أيضاً في سورة النساء (وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه)فاشار بهذا الى اللاهوت الذى هو كلمة الله الخالقة وعلى هذا القياس نقول ان المسيح صلب وتألم بناسوته ولم يصلب ولا تألم بلاهوته*والجواب من وجوه أحدها ان يقال دعواهم على محمد صلى الله عليه وسلم انه أثبت فى المسيح اللاهوت والناسوت كما يزعمه هؤلاء النصارى فيه هو من الكذب الواضح المعلوم على محمد صلى الله عليه وسلم الذى يعلم من دينه بالاضطرار كما يعلم من دينه تصديق المسيح عليه السلام واثبات رسالته فلو ادعى اليهودي على محمد صلى الله عليه وسلم انه كان يكذب المسيح ويجحد رسالته كان كدعوى النصارى عليه انه كان يقول انه رب العالمين وان اللاهوت اتحد بالناسوت ومحمد صلى الله عليه وسلم قد أخبر فيما بلغه عن الله عز وجل بكفر من قال ذلك وبما يناقض ذلك فى غير موضع كقوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير) وقوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الى الله

ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله مالايملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم قل يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولاتتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) وقال تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولوكره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون ياأيها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) وقال تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون وانه لعلم للساعة فلاتمترن بها واتبعونى هذا صراط مستقيم ولايصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولا بين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب

من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم) وقال تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت لناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان أقول ماليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسى ولا أعلم مافي نفسك انك أنت علام الغيوب ماقلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد) فاخبر عن المسيح انه لم يقل لهم الا ما أمره الله به بقوله ان اعبدوا الله ربي وربكم وكان عليهم شهيدا مادام فيهم وبعد وفاته كان الله الرقيب عليهم فاذا كان بعضهم قد غلط في النقل عنه او في تفسير كلامه او تعمد تغير دينه لم يكن على المسيح عليه السلام من ذلك درك وانما هو رسول عليه البلاغ المبين وقد أخبر الله سبحانه ان أول ماتكلم به المسيح ان قال انى عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركا أينما كنت واوصاني بالصلاة والزكوة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلني جباراً شقيا(ثم طلب لنفسه السلام فقال) والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيا والنصارى يقولون علينا منه السلام كما يقوله الغالية فيمن يدعون فيه الالهية كالنصيرية فى على والحاكمية في الحاكم الوجه الثانى ان يقال ان الله لم يذكر ان المسيح مات ولا قتل وانما قال ياعيسى انى متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وقال المسيح فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد وقال تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون

الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم أموال الناس بالباطل) فذم الله اليهود باشياء منها قولهم على مريم بهتاناً عظيما حيث زعموا أنها بغي ومنها قولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قال تعالى (وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم) واضاف هذا القول اليهم وذمهم عليه ولم يذكر النصارى لان الذين تولوا صلب المصلوب المشبه به هم اليهود ولم يكن أحد من النصارى شاهداً معهم بل كان الحواريون خائفين غائبين فلم يشهد أحد منهم الصلب وانما شهده اليهود وهم الذين أخبروا الناس انهم صلبوا المسيح والذين نقلوا ان المسيح صلب من النصارى وغيرهم انما نقلوه عن أولئك اليهود وهم شرط من أعوان الظلمة لم يكونوا خلقا كثيرا يمتنع تواطؤهم على الكذب قال تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) فنفى عنه القتل ثم قال (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) وهذا عند أكثر العلماء معناه قبل موت المسيح وقد قيل قبل موت اليهودي وهو ضعيف كما قيل انه قبل موت محمد صلى الله عليه وسلم وهو أضعف فانه لو آمن به قبل الموت لنفعه ايمانه به فان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر وان قيل المراد به الايمان الذي يكون بعد الغرغرة لم

يكن في هذا فائدة فان كل أحد بعد موته يؤمن بالغيب الذي كان يجحده فلا اختصاص للمسيح به ولانه قال قبل موته ولم يقل بعد موته ولانه لافرق بين ايمانه بالمسيح وبمحمد صلوات الله عليهما وسلامه واليهودي الذي يموت على اليهودية فيموت كافراً بمحمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام ولانه قال وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وقوله ليؤمنن به فعل مقسم عليه وهذا انما يكون في المستقبل فدل ذلك على ان هذا الايمان بعد إخبار الله بهذا ولوأريد قبل موت الكتابي لقال وان من أهل الكتاب الامن يؤمن به لم يقل ليؤمنن به وأيضا فانه قال وان من أهل الكتاب وهذا يعم اليهود والنصارى فدل ذلك على ان جميع أهل الكتاب اليهود والنصارى يؤمنون بالمسيح قبل موت المسيح وذلك اذا نزل آمنت اليهود والنصارى بأنه رسول الله ليس كاذبا كما يقول اليهودي ولا هو الله كما تقوله النصارى والمحافظة على هذا العموم أولى من ان يدعى ان كل كتابي ليؤمنن به قبل ان يموت الكتابي فان هذا يستلزم إيمان كل يهودي ونصراني وهذا خلاف الواقع وهو لما قال وان منهم الا ليؤمنن به قبل موته ودل على ان المراد بايمانهم قبل ان يموت هو علم انه أريد بالعموم عموم من كان موجوداً حين نزوله أي لايختلف منهم أحد عن الايمان به لا ايمان من كان منهم ميتاً وهذا كما يقال انه لايبقى بلد الا دخله الدجال الامكة والمدينة أي في المدائن الموجودة حينئذ وسبب ايمان أهل الكتاب به حينئذ ظاهر فانه يظهر لكل احد انه رسول مؤيد ليس بكذاب ولا هو رب العالمين فالله تعالى ذكر ايمانهم به اذا نزل الى الارض فانه تعالى لما

ذكر رفعه الى الله بقوله انى متوفيك ورافعك الي وهو ينزل الى الارض قبل يوم القيامة ويموت حينئذ اخبر بايمانهم به قبل موته كما قال تعالى في الآية الاخرى (ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعونى هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولا بين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم) وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا واماما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية . وقوله تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما) بيان ان الله رفعه حيا وسلمه من القتل وبين انهم يؤمنون به قبل ان يموت وكذلك قوله (ومطهرك من الذين كفروا) ولو مات لم يكن فرق بينه وبين غيره ولفظ التوفي في لغة العرب معناه الاستيفاء والقبض وذلك ثلاثة أنواع احدها توفي النوم والثاني توفي الموت والثالث توفي الروح والبدن جميعاً فانه بذلك خرج عن حال أهل الارض الذين يحتاجون الى الاكل والشرب واللباس ويخرج منهم الغائط والبول والمسيح عليه السلام توفاه الله وهو فى السماء الثانية الى ان ينزل الى الارض ليست حاله كحالة اهل الارض فى الاكل

والشرب واللباس والنوم والغائط والبول ونحو ذلك • الوجه الثالث قولهم انه عنى بموته عن موت الناسوت كان ينبغي لهم ان يقولوا على أصلهم عنى بتوفيته عن توفى الناسوت وسواء قيل موته أو توفيته فليس هو شيئا غير الناسوت فليس هناك شيء غيره لم يتوف والله تعالى قال (انى متوفيك ورافعك الى) فالمتوفي هو المرفوع الى الله وقولهم ان المرفوع هو اللاهوت مخالف لنص القرآن ولو كان هناك موت فكيف اذا لم يكن فانهم جعلوا المرفوع غير المتوفي والقرآن اخبر ان المرفوع هو المتوفي وكذلك قوله فى الآية الأخرى (وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه هو تكذيب لليهود فى قولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله واليهود لم يدعوا قتل لاهوت ولا أثبتوا لله لاهوتاً في المسيح والله تعالى لم يذكر دعوى قتله عن النصارى حتى يقال ان مقصودهم قتل الناسوت دون اللاهوت بل عن اليهود الذين لايثبتون الا الناسوت وقد زعموا انهم قتلوه فقال تعالى (وماقتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه) فاثبت رفع الذي قالوا انهم قتلوه وانما هو الناسوت فعلم انه هو الذى نفى عنه القتل وهو الذي رفع والنصارى معترفون برفع الناسوت لكن يزعمون انه صلب واقام في القبر اما يوماً واما ثلاثة أيام ثم صعد الى السماء وقعد عن يمين الاب الناسوت مع اللاهوت وقوله تعالى (وما قتلوه يقيناً) معناه ان نفي قتله هو يقين لاريب فيه بخلاف الذين اختلفوا بانهم فى شك منه من قتله وغير قتله فليسوا مستيقنين انه قتل اذ لاحجة معهم بذلك ولذلك كانت طائفة من النصارى يقولون انه لم يصلب فان الذين صلبوا المصلوب هم اليهود وكان قد اشتبه عليهم المسيح بغيره كما دل عليه

القرآن وكذلك عند أهل الكتاب انه اشتبه بغيره فلم يعرفوا من هو المسيح من أولئك حتى قال لهم بعض الناس انا أعرفه فعرفوه وقول من قال معنى الكلام ماقتلوه علماً بل ظنا قول ضعيف ٠الوجه الرابع انه قال تعالى (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا) فلوكان المرفوع هواللاهوت لكان رب العالمين قال لنفسه اولكلمته انى ارفعك اليّ وكذلك قوله (بل رفعه الله اليه) فالمسيح عندهم هو الله ومن المعلوم انه يمتنع رفع نفسه الى نفسه واذا قالوا هو الكلمة فهم يقولون مع ذلك انه الاله الخالق لايجعلونه بمنزلة التوراة والقرآن ونحوهما مما هو من كلام الله الذى قال فيه اليه يصعد الكلم الطيب بل عندهم هوالله الخالق الرازق رب العالمين ورفعُ رب العالمين الى رب العالمين ممتنع ٠الوجه الخامس قوله (وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) دليل على انه بعد توفيته لم يكن الرقيب عليهم الا الله دون المسيح فان قوله كنت أنت يدل على الحصر كقوله ان كان هذا هو الحق ونحو ذلك فعلم ان المسيح بعد توفيته ليس رقيباً على اتباعه بل الله هو الرقيب المطلع عليهم المحصى أعمالهم المجازي عليها والمسيح ليس برقيب فلا يطلع على أعمالهم ولا يحصيها ولا يجازيهم بها

(فصل) قالوا وقد سماه الله أيضاً فى هذا الكتاب خالقاً حيث قال واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني) فاشار بالخالق الى كلمة الله المتحدة فى الناسوت المأخوذ من مريم لانه كذا قال على لسان داود النبي بكلمة الله خلقت السموات والارض ليس

خالق الا الله وكلته وروحه وهذا مما يوافق رأينا واعتقادنا في السيد المسيح لذكره لانه حيث قال وتخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله أى باذن اللاهوت الكلمة المتحدة في الناسوت والجواب ان جميع ما يحتجون به من هذه الآيات وغيرها فهو حجة عليهم لالهم وهكذا شأن جميع أهل الضلال اذا احتجوا بشئ من كتب الله وكلام انبيائه كان فى نفس ما احتجوا به مايدل على فساد قولهم وذلك لعظمة كتب الله المنزلة وما انطق به انبياءه فانه جعل ذلك هدى وبياناً للخلق وشفاء لما فى الصدور فلا بد أن يكون في كلام الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين من الهدى والبيان ما يفرق الله به بين الحق والباطل والصدق والكذب لكن الناس يؤتون من قبل أنفسهم لامن قبل أنبياء الله تعالى إما من كونهم لم يتدبروا القول الذى قالته الانبياء حق التدبر حتى يفقهوه ويفهموه واما من جهة أخذهم ببعض الحق دون بعض مثل ان يؤمنوا ببعض ما أنزله الله دون بعض فيضلون من جهة مالم يؤمنوا به كما قال تعالى عن النصارى (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) واما من جهة نسبتهم الى الانبياء مالم يقولوه من أقوال كذبت عليهم ومن جهة ترجمة أقوالهم بغير ماتستحقه من الترجمة وتفسيرها بغير ماتستحقه من التفسير الذى دل عليه كلام الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فانه يجب ان يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض ويؤخذ كلامه ههنا وههنا وتعرف ماعادته يعنيه ويريده بذلك اللفظ اذا تكلم به وتعرف

المعاني التي عرف انه ارادها في موضع آخر فاذا عرف عرفه وعادته في معانيه والفاظه كان هذا مما يستعان به على معرفة مراده واما اذا استعمل لفظه في معنى لم تجر عادته باستعماله فيه وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف انه يريده بذلك اللفظ يجعل كلامه متناقضاً ويترك كلامه على ما يناسب سائر كلامه كان ذلك تحريفاً لكلامه عن موضعه وتبديلا لمقاصده وكذبا عليه

فهذا أصل من ضل في تأويل كلام الانبياء على غير مرادهم فاذا عرف هذا فنقول الجواب عما ذكروه هنا من وجوه أحدها ان الله لم يذكر عن المسيح خلقاً مطلقاً ولا خلقاً عاما كما ذكر عن نفسه تبارك وتعالى فاول ما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (اقرأ باسم ربك الاعلى الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) وقال تعالى (هو الله الذي لااله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لااله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى) فذكر نفسه بانه الخالق البارىء المصور ولم يصف قط شيئاً من المخلوقات بهذا لا ملكا ولا نبياً وكذلك قال تعالى (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض) وقال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) ووصف نفسه بانه رب العالمين وبانه مالك يوم

الدين وانه له الملك وله الحمد وانه الحي القيوم لا تأخذ سنة ولا نوم وانه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم ونحو ذلك من خصائص الربوبية ولم يصف شيئاً من مخلوقاته لا ملكا مقربا ولا نبياً مرسلا بشيء من الخصائص التي يختص بها التي وصف بها نفسه سبحانه وتعالى. وأما المسيح عليه السلام فقال فيه (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني وتبرىء الاكمه والابرص باذني) وقال المسيح عن نفسه وأخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرىء الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله فلم يذكر الا خلق شيء معين خاص باذن الله فكيف يكون هذا الخالق هو ذاك الوجه الثاني انه خلق من الطين كهيئة الطير والمراد به تصويره بصورة الطير وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس فانه يمكن أحدهم ان يصور من الطين كهيئة الطير وغير الطير من الحيوانات ولكن هذا التصوير محرم بخلاف تصوير المسيح فان الله أذن له فيه والمعجزة انه ينفخ فيه الروح فيصير طيراً باذن الله عز وجل ليس المعجزة مجرد خلقه من الطين فان هذا مشترك وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم المصورين وقال ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون الوجه الثالث ان الله اخبر ان المسيح انما فعل التصوير والنفخ باذنه تعالى وأخبر المسيح عليه السلام انه فعله باذن الله واخبر الله ان هذا من نعمته التي أنعم بها على المسيح عليه السلام كما قال تعالى (ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل) وقال تعالى له ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ

علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني وتبرىء الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات وهذا كله صريح فى انه ليس هو الله وانما هو عبد لله فعل ذلك باذن الله كما فعل مثل ذلك غيره من الانبياء وصرح بان الاذن غير المأذون له والمعلم ليس هو المعلم والمنعم عليه وعلى والدته ليس هو اياه كما ليس هو والدته • الوجه الرابع انهم قالوا اشار بالخالق الى كلمة الله المتحدة في الناسوت ثم قالوا في قوله باذن الله أي باذن الكلمة المتحدة فى الناسوت وهذا يبين تناقضهم وافتراءهم على القرآن لان الله أخبر فى القرآن ان المسيح خلق من الطين كهيئة الطير باذن الله ففرق بين المسيح وبين الله وبيّن ان الله هو الآذن للمسيح وهؤلاء زعموا ان مراده بذلك ان اللاهوت المتحد بناسوت المسيح هو الخالق وهو الآذن فجعلوا الخالق هو الآذن وهو تفسير للقرآن بما يخالف صريح القرآن • الوجه الخامس ان اللاهوت اذا كان هو الخالق لم يحتج الى ان يأذن لنفسه فانهم يقولون هو اله واحد وهو الخالق فكيف يحتاج ان يأذن لنفسه وينعم على نفسه • الوجه السادس ان الخالق اما أن يكون هو الذات الموصوفة بالكلام او الكلام الذي هو صفة للذات فان كان هو الكلام فالكلام صفة لا تكون ذاتاً قائمة بنفسها خالقة ولو لم تتحد بالناسوت واتحادها بالناسوت دون الموصوف ممتنع لو كان الاتحاد ممكناً فكيف وهو ممتنع فقد تبين امتناع كون الكلمة تكون خالقة من وجوه • وان كان الخالق هو الذات المتصفة بالكلام فذاك هو الله الخالق لكل شى

رب العالمين وعنـدهم هو الاب والمسيح عنـدهم ليس هو الاب فلا يكون هو الخالق لكل شئ والقرآن يبين ان الله هو الذى اذن للمسيح حتى خلق من الطين كهيئة الطير فتبين ان الذى خلق من الطين كهيئة الطير ليس هو الله ولا صفة من صفاته فليس المسيح هو الله ولا ابن قديم ازلي لله ولكن عبده فعل باذنه • الوجه السابع قولهم فاشار بالخالق الى كلة الله المتحدة في الناسوت المأخوذ من مريم لانه كذا قال على لسان داود النبي بكلمة الله خلقت السموات والارض * فيقال لهم هذا النص عن داود حجة عليكم كما ان التوراة والقرآن وسائر ماثبت عن الانبياء حجة عليكم فان داود عليـه السلام قال بكلمة الله خلقت السموات والارض ولم يقل ان كلة الله هى الخالقة كما قلتم أنتم انه اشار بالخالق الى كلة الله والفرق بين الخالق للسموات والارض وبين الكلمة التي بها خلقت السموات والارض امر ظاهر معروف كالفرق بين القادر والقدرة فان القادر هو الخالق وقد خلق الاشياء بقدرته وليست القدرة هى الخالقـة وكذلك الفرق بين المريد والارادة فان الله خلق الاشياء بمشيئته وليست مشيئته هى الخالقـة وكذلك الدعاء والعبادة هو للاله الخالق لالشئ من صفاته فالناس كلهم يقولون يا الله يا ربنا ياخالقنا ارحمنا واغفر لنا ولا يقول احد ياكلام الله اغفر لنا وارحمنا ولا ياقدرة الله ويامشيئة الله ويا علم الله اغفر لنا وارحمنا والله تعالى يخلق بقـدرته ومشيئته وكلامه وليست صفاته هي الخالقة • الوجه الثامن ان قول داود عليـه السلام بكلمة الله خلقت السموات والارض يوافق ماجاء في القرآن والتوراة وغير ذلك من كتب الانبياء ان الله يقول للشئ كن

فيكون وهذا في القرآن في غير موضع وفي التوراة قال الله ليكن كذا ليكن كذا • الوجه التاسع قولهم لانه ليس خالق الا الله وكلمته وروحه • ان أرادوا بكلمته كلامه وبروحه حياته فهذه من صفات الله كعلمه وقدرته فلم يعبر أحد من الانبياء عن حياة الله بانها روح الله فمن حمل كلام أحد من الانبياء بلفظ الروح انه يراد به حياة الله فقد كذب عليه ثم يقال هذه كلامه وحياته من صفات الله كعلمه وقدرته وحينئذ فالخالق هو الله وحده وصفاته داخلة في مسمى اسمه لايحتاج ان تجعل معطوفة على اسمه بواو التشريك التي تؤذن ان الله له شريك في خلقه فان الله لاشريك له ولهذا لما قال الله تعالى الله خالق كل شيء دخل كل ماسواه في مخلوقاته ولم تدخل صفاته كعلمه وقدرته ومشيئته وكلامه لان هذه داخلة في مسمى اسمه ليست اشياء مباينة له بل اسماؤه الحسنى متناولة لذاته المقدسة المتصفة بهذه الصفات لايجوز ان يراد باسمائه ذاتاً مجردة عن صفات الكمال فان تلك لاحقيقة لها ويمتنع وجود ذات مجردة عن صفة فضلا عن وجود ذاته تعالى مجردة عن صفات كماله التي هي لازمة لذاته يمتنع تحقق ذاته دونها ولهذا لايقال الله وعلمه خلق والله وقدرته خلق وان أرادوا بكلمته وروحه المسيح او شيئاً اتحد بناسوت المسيح فالمسيح عليه السلام كله مخلوق كسائر الرسل والله وحده هو الخالق وان شئت قلت ان أريد بالروح والكلمة ماهو صفة لله فتلك داخلة في مسمى اسمه وان اريد ماليس بصفة فذلك مخلوق له كالناسوت • الوجه العاشر ان داود عليه السلام لايجوز ان يريد بكلمة الله المسيح لان المسيح عند جميع الناس هو اسم

للناسوت وهو عندهم اسم للاهوت والناسوت لما اتحد والاتحادُ فعل حادث عندهم فقبل الاتحاد لم يكن هناك ناسوت ولا مايسمى مسيحاً فعلم ان داود لم يرد بكلمة الله المسيح ولكن غايتهم ان يقولوا أراد الكلمة التي اتحدت فيما بعد بالمسيح لكن الذى خلق باذن الله هو المسيح كما نطق به القرآن بقوله(يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين)فالكلمة التي ذكرها وانها هي التى بها خلقت السموات والارض ليست هى المسيح الذي خلق من الطين كهيئة الطير باذن الله فاحتجاجهم بهذا على هذا احتجاج باطل بل تلك الكلمة التي بها خلقت السموات والارض لم يكن معها ناسوت حين خلقت باتفاق الامم والمسيحُ لابد ان يدخل فيه الناسوت فعلم انه لم يرد بالكلمة المسيح

(فصل) قالوا وقال أيضاً في موضع آخر ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب) فاعنى بقوله مثل عيسى اشارة الى البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة لانه لم يذكرهنا اسم المسيح الاذكر عيسى فقط (وفي نسخة أخرى (١)) وكما ان آدم خلق من غير جماع ومباضعة فكذلك جسدالسيد المسيح خلق من غير جماع ولا مباضعة وكما ان جسد آدم ذاق الموت فكذلك جسدالمسيح ذاق الموت وقد يبرهن بقوله رأينا أيضاً قائلاان الله القى كلمته الى مريم وذلك حسب قولنا معشر النصارى ان كلمةالله الازلية الخالقة حلت في مريم وتجسدت بانسان كامل وعلى هذا المثال نقول في السيد المسيح طبيعتان طبيعة لاهوتية التي هى طبيعة كلمة

(١) فاعنى بقوله مثل آدم اشارة الى الناسوت المأخوذ من مريم الطاهرة

الله وروحه وطبيعة ناسوتية التي أخذت من مريم العذراء واتحدت به ولما تقدم به القول من الله تعالى على لسان موسى النبي اذ يقول اليس هـذا الاب الذى خلقك وبراك واقتناك قيل وعلى لسان داود النبي روحك القـدس لاتنزع مني وأيضاً على لسان داود النبي بكلمة الله تشددت السموات وبروح فاه جميع قواهن وليس يدل هذا القول على ثلاثة خالقين بل خالق واحد الاب ونطقه أى كلمته وروحه أى حياته*والجواب من وجوه أحدها ان قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) كلام حق فانه سبحانه خلق هذا النوع البشرى على الاقسام الممكنة ليبين عموم قدرته فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق زوجته حوّاء من ذكر بلا أنثى كما قال وخلق منها زوجها وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى وكان خلق آدم وحوّاء أعجب من خلق المسيح فان حوّاء خلقت من ضلع آدم وهـذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم وخلق آدم أعجب من هذا وهذا وهو أصل خلق حواء فلهـذا شبهه الله بخلق آدم الذى هو أعجب من خلق المسيح فاذا كان سبحانه قادرا ان يخلقه من تراب والتراب ليس من جنس بدن الانسان أفلا يقدر ان يخلقـه من امرأة هي من جنس بدن الانسان وهو سبحانه خلق آدم من تراب ثم قال له كن فيكون لما نفخ فيه من روحه فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه وقال له كن فيكون ولم يكن آدم بما نفخ فيه من روحه لاهوتاً وناسوتاً بل كله ناسوت فكذلك المسيح كله ناسوت والله تبارك وتعالى ذكر هذه الآية فى ضمن الآيات

التى انزلها فى شأن النصارى لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وناظروه في المسيح وأنزل الله فيه ما أنزل فبين فيه قول الحق الذى اختلفت فيه اليهود والنصارى فكذب الله الطائفتين هؤلاء في غلوهم فيه وهؤلاء فى ذمهم له وقال عقب هذه الآية (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) وقد امتثل النبي صلى الله عليه وسلم قول الله فدعاهم الى المباهلة فعرفوا انهم إن باهلوه انزل الله عليهم لعنته فاقروا بالجزية وهم صاغرون ثم كتب النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل ملك الروم بقوله تعالى (ياأهل الكتاب تعالوا الى آخرها وكان أحياناً يقرأ بها فى الركعة الثانية من ركعتى الفجر ويقرأ فى الاولى بقوله (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وهذا كله يبين به ان المسيح عبد ليس باله وانه مخلوق كما خلق آدم وقد أمر ان يباهل من قال انه اله فيدعو كل من المتباهلين ابناءه ونساءه وقريبه المختص به ثم يبتهل هؤلاء وهؤلاء ويدعون الله ان يجعل لعنته على الكاذبين فان كان النصارى كاذبين فى قولهم هو الله حقت اللعنة عليهم وان كان من قال

ليس هو الله بل عبد الله كاذبا حقت اللعنة عليه وهـذا انصاف من صاحب يقين يعلم انه على الحق • والنصارى لما لم يعلموا انهم على الحق نكلوا عن المباهلة وقد قال عقب ذلك (ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله) تكذيبا للنصارى الذين يقولون هو إله حق من إله حق فكيف يقال انه أراد ان المسيح فيه لاهوت وناسوت وان هذا هو الناسوت فقط دون اللاهوت وبهذا ظهر الجواب عن قولهم قال في موضع آخر ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فاعنى بقوله عيسى أشار الي البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة لانه لم يذكر الناسوت ههنا اسم المسيح الا ذكر عيسى فقط فانه يقال عيسى هو المسيح بدليل انه قال (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) فاخبر انه ليس المسيح الا رسولا ليس هو بآله وانه ابن مريم والذى هو ابن مريم هو الناسوت وقال (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له مافي السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً) وقال تعالى (وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعاً* الوجه الثانى ان ماذكروه من موته قد بينا

ان الله لم يذكر ذلك وان المسيح لم يمت بعد وما ذكروه من انه صلب ناسوته دون لاهوته باطل من وجهين فان ناسوته لم يصلب وليس فيه لاهوت وهم ذكروا ذلك دعوى مجردة فيكفي في مقابلتها المنع لكن نقول في الوجه الثالث انهم في اتحاد اللاهوت بالناسوت يشبهونه تارة باتحاد الماء باللبن وهذا تشبيه اليعقوبية وتارة باتحاد النار بالحديد أو النفس بالجسم وهذا تشبيه الملكانية وغيرهم ومعلوم انه لا يصل الى الماء شيء الا وصل الى اللبن فانه لا يتميز أحدهما عن الآخر وكذلك النار التي في الحديد متى طرق الحديد أو بصق عليه لحق ذلك بالنار التي فيه والبدن اذا ضرب وعذب لحق الم الضرب والعذاب للنفس فكان حقيقة تمثيلهم يقتضي ان اللاهوت أصابه ما أصاب الناسوت من اهانة اليهود وتعذيبهم واتلافهم له والصلب الذي ادعوه وهذا لازم على القول بالاتحاد فان الاتحاد لو كان ما يصيب احدهما لا يشركه الآخر فيه لم يكن هنا اتحاد بل تعدد . الرابع ان هؤلاء الضلال لم يكفهم ان جعلوا إله السموات والارض متحدا ببشر في جوف امرأة وجعلوه له مسكناً ثم جعلوا اخابث خلق الله امسكوه وبصقوا في وجهه ووضعوا الشوك على رأسه وصلبوه بين لصين وهو في ذلك يستغيث بالله ويقول إلهي إلهي لم تركتني وهم يقولون ان الذي كان يسمع الناس كلامه هو اللاهوت كما سمع موسى كلام الله من الشجرة ويقولون هما شخص واحد ويقول بعضهم لهما مشيئة واحدة وطبيعة واحدة والكلام انما يكون بمشيئة المتكلم فيلزم ان يكون المتكلم الداعي المستغيث المصلوب هو اللاهوت هو المستغيث المتضرع

وهو المستغاث به وايضاً فهم يقولون ان اللاهوت والناسوت شخص واحد فمع القول بانهما شخص واحد اما ان يكون مستغيثا واما ان يكون مستغاثا به واما ان يكون داعيا واما يكون مدعوا فاذا قالوا ان الداعي هو غير المدعو لزم ان يكونا اثنين لا واحدا واذا قالوا هما واحد فالداعي هو المدعو ٭ الوجه الخامس ان يقال لايخلو اما ان يقولوا ان اللاهوت كان قادرا على دفعهم عن ناسوته واما ان يقولوا لم يكن قادرا فان قالوا لم يكن قادرا لزم ان يكون أولئك اليهود أقدر من رب العالمين وان يكون رب العالمين مقهورا مأسورا مع قوم من شرار اليهود وهذا من أعظم الكفر والتنقص برب العالمين وهذا أعظم من قولهم ان لله ولدا وانه بخيل وانه فقير ونحو ذلك مما سبّ به الكفارُ رب العالمين وإن قالوا كان قادرا فان كان ذلك من عدوان الكفار على ناسوته وهو كاره لذلك فسنة الله في مثل ذلك نصرُ رسله المستغيثين به فكيف لم يغث ناسوته المستصرخ به وهذا بخلاف من قتل من النبيين وهو صابر فان أولئك صبروا حتى قتلوا شهداء والناسوتُ عندهم استغاث وقال إلهي إلهي لماذا تركتني. وان كان هو قد فعل ذلك مكرا كما يزعمون انه مكر بالشيطان وأخفى نفسه حتى يأخذه بوجه حق فناسوته اعلم بذلك من جميع الخلق فكان الواجب ان لايجزع ولايهرب لما في ذلك من الحكمة وهم يذكرون من جزع الناسوت وهربه ودعائه مايقتضي ان كل ما جرى عليه كان بغير اختياره ويقول بعضهم مشيئتهما واحدة فكيف شاء ذلك وهرب مما يكرهه الناسوت بل لو يشاء اللاهوت مايكرهه كانا متباينين وقد اتفقا على المكر بالعدو لم يجزع

الناسوت كما جرى ليوسف مع أخيه لما وافقه على انه يجعل الصواع في رحله ويظهر انه سارق لم يجزع أخوه لما ظهر الصواع فى رحله كما جزع اخوته حيث لم يعلموا وكثيرٌ من الشطار العيارين يمسكون ويصابون وهم ثابتون صابرون فما بال هذا يجزع الجزع العظيم الذي يصفون به المسيح وهو يقتضى غاية النقص العظيم مع دعواهم فيه الالهية • الوجه السادس قولهم انه كلمته وروحه تناقضٌ منهم لانه عندهم اقنوم الكلمة فقط لا اقنوم الحياة • الوجه السابع قولهم وقد برهن بقوله رأينا ايضا فى موضع آخر قائلا ان الله ألقى كلمته الى مريم وذلك حسب قولنا معشر النصارى ان كلمة الله الخالقة الازلية حلت في مريم واتحدت بانسان كامل * فيقال لهم اما قول الله فى القرآن فهو حق ولكن ضللتم في تاويله كما ضللتم في تأويل غيره من كلام الانبياء وما بلغوه عن الله وذلك ان الله تعالى قال (اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) ففي هذا الكلام وجوه تبين انه مخلوق ليس هو مايقوله النصارى • • منها انه قال بكلمة منه وقوله بكلمة منه نكرة فى الاثبات يقتضى انه كلمة من كلمات الله ليس هو كلامه كله كما يقوله النصارى . ومنها انه بين مراده بقوله بكلمة منه وانه مخلوق حيث قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى امرا فانما يقول له فيكون) كما قال فى الآية الأخرى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له

كن فيكون)ن وقال تعالى في سورة كهيعص(ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) فهذه ثلاث آيات فى القرآن تبين انه قال له كن فيكون وهذا تفسير كونه كلمة منه وقال أسمه المسيح عيسى بن مريم أخبر انه ابن مريم وأخبر انه وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين وهذه كلها صفة مخلوق والله تعالي وكلامه الذي هو صفته لايقال فيه شيء من ذلك وقالت مريم انى يكون لى ولد فبين ان المسيح الذى هو الكلمة هو ولد مريم لاولد الله سبحانه وتعالى وقال في سورة النساء (ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له مافى السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) فقد نهى النصارى عن الغلو فى دينهم وان يقولوا على الله غير الحق وبين ان المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وأمرهم ان يؤمنوا بالله ورسله فبين انه رسوله ونهاهم ان يقولوا ثلاثه وقال انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد وهذا تكذيب لقولهم في المسيح انه اله حق من اله حق من جوهر أبيه

ثم قال سبحانه ان يكون له ولد فنزه نفسه وعظمها ان يكون له ولد كما تقوله النصارى ثم قال له مافي السموات وما في الارض فاخبر ان ذلك ملك له ليس فيه شيء من ذاته ثم قال لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون أي لن يستنكفوا ان يكونوا عبيداً لله تبارك وتعالى فمع هذا البيان الواضح الجلي هل يظن ظان ان مراده بقوله وكلمته انه اله خالق أو انه صفة لله قائمة به وان قوله وروح منه المراد به انه حياته أو روح منفصلة من ذاته ثم نقول ايضاً أما قوله وكلمته فقد بين مراده انه خلقه بكن وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن ان يسمى المفعول باسم المصدر فيسمى المخلوق خلقا لقوله هذا خلق الله ويقال درهم ضرب الامير أي مضروب الامير ولهذا يسمى المأمور به أمرا والمقدور قدرة وقدرا والمعلوم علما والمرحوم به رحمة كقوله تعالى (وكان أمر الله قدرا مقدورا) وقوله (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي ويقول للنار أنت عذابي أعذب بك من اشاء من عبادي وقال ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة فيها تتراحم الخلق ويتعاطفون وأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة جمع هذه الى تلك فرحم بها الخلق ويقال للمطر والآيات هذه قدرة عظيمة ويقال غفر الله لك علمه فيك أى معلومه فتسمية المخلوق بالكلمة كلمة من هذا الباب وقد ذكر الامام أحمد في كتاب الرد على الجهمية وذكره غيره ان النصارى الحلولية والجهمية المعطلة اعترضوا على أهل السنة فقالت النصارى القرآن كلام الله غير

مخلوق والمسيح كلمة الله فهو غير مخلوق وقالت الجهمية المسيح كلمة الله وهو مخلوق والقرآن كلام الله فيكون مخلوقا وأجاب احمد وغيره بان المسيح نفسه ليس هو كلاما فان المسيح انسان وبشر مولود من امرأة وكلامُ الله ليس بانسان ولا بشر ولا مولود من امرأة ولكن المسيح خلق بالكلام وأما القرآن فهو نفسه كلام الله فأين هذا من هذا وقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الاسماء وما من عاقل اذا سمع قوله تعالى في المسيح عليه السلام انه كلمته القاها الى مريم الا يعلم انه ليس المراد ان المسيح نفسه كلام الله ولا انه صفة لله ولا خالق ثم يقال للنصارى فلو قدر ان المسيح نفس الكلام فالكلام ليس بخالق فان القرآن كلام الله وليس بخالق والتوراة كلام الله وليست بخالقة وكلماتُ الله كثيرة وليس منها شيء خالق فلو كان المسيح نفس الكلام لم يجز ان يكون خالقا فكيف وليس هو الكلام وانما خلق بالكلمة وخص باسم الكلمة فانه لم يخلق على الوجه المعتاد الذى خلق عليه غيره بل خرج عن العادة فخلق بالكلمة من غير السنة المعروفة في البشر وقوله بروح منه لا يوجب ان يكون منفصلا من ذات الله كقوله تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) وقوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وقال تعالى (ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وقال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسولٌ من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة) فهذه الاشياء كلها من الله وهي مخلوقة وأبلغ من ذلك روح الله التي أرسلها الى مريم وهي مخلوقة

فالمسيح الذي هو روح من تلك الروح أولى ان يكون مخلوقا قال تعالى (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) وقد قال تعالى ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقال (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) فاخبر انه نفخ في مريم من روحه كما اخبر انه نفخ في آدم من روحه وقد بين انه ارسل اليها روحه فتمثل لها بشرا سويا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته) فهذا الروح الذى أرسله الله اليها ليهب لها غلاما زكيا مخلوق وهو روح القدس الذى خلق المسيح منه ومن مريم فاذا كان الاصل مخلوقاً فكيف الفرع الذى حصل به وهو روح القدس وقوله عن المسيح وروح منه خص المسيح بذلك لانه نفخ في أمه من الروح فحبلت به من ذلك النفخ وذلك غير روحه التى يشاركه فيها سائر البشر فامتاز بأن حبلت به من نفخ الروح فلهذا سمى روحا منه ولهذا قال طائفة من المفسرين روح منه أى رسول منه فسماه باسم الروح الرسول الذى نفخ فيها فكما يسمى كلمة يسمى روحا لانه كون بالكلمة لا كما يخلق الآدميون غيره ويسمى روحا لانه حبلت به امه بنفخ الروح الذى نفخ فيها لم تحبل به من ذكر كغيره من الآدميين وعلى هذا فيقال لما خلق من نفخ الروح ومن مريم سمى روحاً بخلاف سائر الآدميين فانه يخلق من ذكر

وانثى ثم ينفخ فيه الروح بعد مضى اربع اشهر والنصارى يقولون فى امانتهم تجسد من مريم ومن روح القدس ولو اقتصروا على هذا وفسروا روح القدس بالملك الذى نفخ فيها وهو روح الله لكان هذا موافقا لما اخبر الله به لكنهم جعلوا روح القدس حياة الله وجعلوه ربا وتناقضوا فى ذلك فانه على هذا كان ينبغي فيه اقنومان اقنوم الكلمة واقنوم الروح وهم يقولون ليس فيه الا اقنوم الكلمة وكما يسمى المسيح كلمة لانه خلق بالكلمة يسمى روحا لانه حل به من الروح فان قيل فقد قال فى القرآن والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك) وقال(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) وقد قال ائمة المسلمين وجمهورهم القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا وقال في المسيح وروح منه قيل هذا بمنزلة سائر المضاف الى الله ان كان عينا قائمة بنفسها او صفة فيها كان مخلوقا وان كان صفة مضافة الى الله كعلمه وكلامه ونحو ذلك كان اضافة صفة وكذلك ما منه ان كان عيناً قائمة أو صفة قائمة تعين بغيرها كما فى السموات والارض والنعم والروح الذى ارسلها الى مريم وقال انما أنا رسول ربك كان مخلوقا وان كان صفة لا تقوم بنفسها ولا يتصف بها المخلوق كالقرآن لم يكن مخلوقا فان ذلك قائم بالله وما يقوم بالله لا يكون مخلوقا والمقصود هنا بيان بطلان احتجاج النصارى وانه ليس لهم فى ظاهر القرآن ولا باطنه حجة كما ليس لهم حجة في سائر كتب الله وانما تمسكوا بآيات متشابهات وتركوا المحكم كما أخبر الله عنهم بقوله (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ

فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) والآية نزلت في النصارى فهم مرادون من الآية قطعاً ثم قال (وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عنـد ربنا) وفيها قولان وقرآءتان منهم من يقف عند قوله الا الله ويقول الراسخون فى العلم لا يعلمون تأويل المتشابه لايعلمه الا الله ومنهم من لايقف بل يصل بذلك قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عنـد ربنا ويقول الراسخون فى العلم يعلمون تأويل المتشابه وكلا القولـين مأثور عن طائفة من السلف وهؤلاء يقولون قد يكون الحال من المعطوف دون المعطوف عليـه كما في قوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهـم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا) أي قائلين وكلا القولين حق باعتبار فان لفظ التأويل يراد به التفسير ومعرفة معانيه والراسخون فى العلم يعلمون تفسـير القرآن قال الحسن البصري لم ينزل الله آية الا وهو يحب ان تعلم فيما ذا نزلت وماذا عنى بها وقد يعنى بالتأويل ما استأثر الله بعلمه من كيفية ماأخبر به عن نفسه وعن اليوم الآخر ووقت الساعة ونزول عيسى ونحو ذلك فهذا التأويل لايعلمه الا الله واما لفظ التأويل اذا أريد به صرف اللفظ عن ظاهره الى مايخالف ذلك لدليل يقترن به فلم يكن السلف يريدون بلفظ التأويل هذا ولا هو معنى التأويل فى كتاب الله عز وجل ولكن طائفة من المتأخرين خصوا لفظ التأويل بهـذا بل لفظ التأويل في كتاب الله يراد به مايؤول اليه الكلام وان وافق ظاهره كقوله تعالى (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسـوه من قبل)ومنه تأويل الرؤيا كقول يوسف الصديق

(هذا تأويل رؤياى من قبل) وكقوله (الا نبأتكما بتأويله) وقوله (ذلك خير وأحسن تأويلا) وهذا مبسوط فى موضع آخر والمقصود هنا انه ليس للنصارى حجة لافي ظاهر النصوص ولا باطنها كما قال تعالى (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) والكلمة عندهم هي جوهر وهي رب لا يخلق بها الخالق بل هي الخالقة لكل شيء كما قالوا فى كتابهم ان كلمة الله الخالقة الازلية حلت في مريم والله تعالى قد أخبر انه سبحانه القاها الى مريم والرب سبحانه هو الخالق والكلمة التى القاها ليست خالقة إذ الخالق لا يلقيه شيء بل هو يلقى غيره وكلمات الله نوعان كونية ودينية فالكونية كقوله للشيء كن فيكون والدينية أمره وشرعه التي جاءت به الرسل وكذلك أمره وارادته واذنه وارساله وبعثه ينقسم الى هذين القسمين وقد ذكر الله تعالى القاء القول فى غير هذا وقد قال تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا وقال تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلام وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة (واما لقيته القول فتلقاه فذلك اذا أردت ان تحفظه بخلاف ما اذا ألقيته اليه فان هذا يقوله فيما يخاطبه به وان لم يحفظه كمن القيت اليه القول بخلاف القول انكم لكاذبون والقوا اليهم السلام وليس هنا الا خطاب سمعوه لم يحصل نفس صفة المتكلم في المخاطب فكذلك مريم اذا القى الله كلمته

اليها وهى قول كن لم يلزم ان تكون نفس صفته القائمة به حلت فى مريم كما لم يلزم ان تكون صفته القائمة به حلت في سائر من القى اليه كلامه كما لا تحصل صفة كل متكلم فيمن يلقى اليه كلامه

(فصل)وأما قولهم وعلى هذا المثال نقول فى السيد المسيح طبيعتان طبيعة لاهوتية التى هى طبيعة كلمة الله وروحه وطبيعة ناسوتية التى أخذ من مريم العذراء،واتحدت به فيقال لهم كلام النصارى فى هذا الباب مضطرب مختلف متناقض وليس لهم في ذلك قول اتفقوا عليه ولا قول معقول ولا قول دل عليه كتاب بل هم فيه فرق وطوائف كل فرقة تكفر الاخرى كاليعقوبية والملكانية والنسطورية ونقل الاقوال عنهم فى ذلك مضطربة كثيرة الاختلاف ولهذا يقال لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا على أحد عشر قولا وذلك ان ماهم عليه من اعتقادهم من التثليث والاتحاد كما هو مذكور في أمانتهم لم ينطق به شيء من كتب الأنبياء ولا بوجد لا في كلام المسيح ولا الحواريين ولا أحد من الأنبياء ولكن عندهم في الكتب الفاظ متشابهة والفاظ محكمة يتنازعون فى فهمها ثم القائلون منهم بالامانة وهم عامة النصارى اليوم من الملكية والنسطورية واليعقوبية مختلفون فى تفسيرها ونفس قولهم متناقض يمتنع تصوره على الوجه الصحيح فلهذا صار كل منهم يقول مايظن انه اقرب من غيره فمنهم من يراعى لفظ امانتهم وان صرح بالكفر الذي يظهر فساده لكل أحد كاليعقوبية ومنهم من يستر بعض ذلك كالنسطورية وكثير منهم وهم الملكية بين هؤلاء وهؤلاء ولما ابتدعوا ماابتدعوا من التثليث والحلول كان فيهم

من يخالفهم في ذلك وقد يوجد نقل الناس لمقالاتهم مختلفا وذلك بحسب قول الطائفة التي ينقل ذلك الناقل قولها والقول الذي يحكيه كثير من نظار المسلمين يوجـد كثير منهم على خلافه كما نقلوا عنهم ماذكره أبو المعالى وصاحبه أبو القاسم الانصارى وغيرهما ان القديم واحد بالجوهر ثلاثة بالاقنوم وانهم يعنون بالاقنوم الوجود والحياة والعلم ونقلوا عنهم ان الحياة والعلم ليسا بوصفين زائدين على الذات موجودين بل هما صفتان نفسيتان للجوهر قالوا ولو مثل مذهبهم بمثال لقيل ان الاقانيم عندهم تنزل منزلة الاحوال والصفات النفسية عند مثبتها من المسلمين فان سوادية اللون ولونيته صفتان نفسيتان للعرض قال وربمـا يعبرون عن الاقانيم بالاب والابن وروح القدس فيعنون بالاب الوجود و بالابن المسيح والكلمة وربما سموا العلم كلمة والكلمة علماً ويعبرون عن الحياة بالروح قال ولا يريدون بالكلمة الكلام فان الكلام عندهم من صفات الفعل ولايسمون العـلم قبل تدرعه بالمسيح واتحاده به ابناً بل المسيح عندهم مع ماتدرع به ابن قالوا ومن مذهبهم ان الكلمة اتحـدت بالمسيح وتدرعت بالناسوت ثم اختلفوا فى معنى الاتحاد فمنهم من فسره بالاختلاط والامتزاج وهـذا مذهب طوائف من اليعقوبية والنسطورية والملكيـة قالوا ان الكلمة خالطت جسد المسيح ومازجته كما مازج الخمر الماء أو اللبن قالوا وهذا مذهب الروم ومعظمهم الملكية قالوا فمازجت الكلمة جسـد المسيح فصارت شيئاً واحداً وصارت الكثرة قلة وذهبت طائفة من اليعاقبـة الى ان الكلمة انقلبت لحماً ودماً قالوا وصارت شرذمة من كل صنف الي ان المراد بالاتحاد ظهور اللاهوت على الناسوت كظهور الصورة فى

المرآة والنقش فى الخاتم ومنهم من قال ظهور اللاهوت على الناسوت كاستواء الاله على العرش عند المسلمين وذهب كثير من هذه الطوائف الى ان المراد بالاتحاد الحلول قالوا وقد اختلفوا أيضاً في الجوهر والاقانيم فذهبت اليعقوبية والنسطورية الى ان الجوهر ليس بغير الاقانيم ولا يقال انه هى وصرحت الملكية بانه غير الاقانيم وآخرون قالوا هو الاقانيم قالوا وافترقت النصارى من وجه آخر فذهبت الروم الى التصريح باثبات ثلثه الهة وامتنعت اليعقوبية والنسطورية من ذلك فى وجه والتزموه من وجه وذلك انهم قالوا الكلمة اله والروح اله والاب اله والثلاثة الاقانيم التي كل أقنوم اله اله واحد قالوا وذهبت شرذمة من النصارى الى ان عيسى كان ابناً لله على جهة الكرامة فكما اتخذ ابراهيم خليلا كذلك اتخذ عيسى ابناً قالوا وهؤلاء يقال لهم الاريوسية فهذا نقل طائفة من نظار المسلمين وهذا قول لمن قاله من النصارى وفيه ما هو مخالف لصريح أمانتهم وما عليه جمهورهم مثل قوله انهم لا يسمون العلم قبل تدرعه بالمسيح ابناً بل المسيح مع ما تدرع به ابن فان هذا خلاف ما عليه فرق النصاري من الملكية واليعقوبية والنسطورية وخلاف ما تضمنته أمانتهم إذ صرحوا فيها بان الكلمة ابن قديم أزلي مولود قبل الدهور وهذا صفة اللاهوت عندهم وفيها أشياء يقولها بعض النصاري لا كلهم وكذلك نقلهم عنهم انهم لا يريدون بالكلمه الكلام فان الكلام عندهم صفة فعل وهذا قول طائفة منهم ومن اليهود وكثير منهم أو أكثرهم يقولون ان كلام الله غير مخلوق وينكرون على من يقول انه مخلوق ونقلت طائفة أخري منهم أبو الحسن ابن الزاغوني عنهم مايوافق هذا

من وجه دون وجه فقالوا اتفقت طوائف النصارى على ان الله ليس بجسم واتفقوا على انه جوهر واحد ثلاثة أقانيم وان كل واحد من الاقانيم جوهر خاص يجمعها الجوهر العام ثم اختلفوا فقال بعضهم ان الاقانيم مختلفة في الاقنومية متفقة في الجوهرية وقال آخرون ليست مختلفة فى الاقنومية بل متغايرة وقال فريق منهم ان كل واحد منها لاهو الآخر ولا هو غيره وليست متغايرة ولا مختلفة وزعموا ان الجوهر ليس هو غيرها الا ما ذكر عن طائفة من الملكية فانهم قالوا ان الاقانيم هى الجوهر وان الجوهر غير الاقانيم وزعموا ان الجوهر هو الاب والاقانيم الحياة وهى روح القدس والقدرة والعلم وان الله اتحد بأحد الاقانيم الذى هو الابن بعيسى بن مريم وكان مسيحاً عند الاتحاد لاهوتاً وناسوتاً حمل وولد ونشأ وقتل وصاب ودفن واختلفوا ايضاً فقالت النسطورية ان المسيح جوهران أقنومان قديم ومحدث وان اتحاده انما هو بالمشيئة وان مشيئتهما واحدة وان كانا جوهرين. وقالت اليعقوبية لما اتحدا صار الجوهران الجوهر القديم والجوهر المحدث جوهراً واحداً. واختلفوا اهاهنا فقال بعضهم الجوهر المحدث صار قديماً وزعم آخرون انهما لما اتحدا صارا جوهراً واحداً قديماً من وجه محدثاً من وجه. وقالت الملكية ان المسيح جوهران اقنوم واحد وحكي عن بعضهم انه اقنومان جوهر واحد وقال الاريوسية ان الله ليس بجسم ولا أقانيم له وان المسيح لم يصاب ولم يقتل وانه نبي وحكي عن بعضهم انه قال المسيح ليس بابن لله وحكي عن بعضهم انه ابن لله على التسمية والتقريب واختلفوا في الكلمة الملقاة الى مريم فقالت طائفة منهم ان الكلمة حلت في مريم حلول الممازجة كما يحل الماء في اللبن فيمازجه ويخالطه فقالت طائفة

منهم انها حلت في مريم من غير ممازجة كما ان شخص الانسان يحل في المرآة وفى الاجسام الصقيلة من غير ممازجة.وزعمت طائفة من النصارى ان الناسوت مع اللاهوت كمثل الخاتم مع الشمع يؤثر فيه بالنقش ثم لايبقى منه شيء الا اثره قالت هذه الطائفة . وأبو الحسن ابن الزاغوني ومن معه واختلفت النصارى في الاقانيم فقال قوم منهم هى جواهر وقال قوم هى خواص وقال قوم هى صفات وقال قوم هى أشخاص والاب عندهم الجوهر الجامع للاقانيم والابن هو الكلمة التى اتحدت عند مبدأ المسيح والروح هى الحياة واجتمعوا على ان الاتحاد صفة فعل وليس بصفة ذات قالوا واختلف قولهم فى الاتحاد اختلافاً متبايناً فزعم قوم منهم ان الاتحاد هو ان الكلمة التى هى الابن حلت جسد المسيح وقيل هذا قول الاكثرين منهم .وزعم قوم منهم ان الاتحاد هو الاختلاط والامتزاج وقال قوم من اليعقوبية هو ان كلمة الله انقلبت لحماً ودماً بالاختلاط وقال كثير من اليعقوبية والنسطورية الاتحاد هو ان الكلمة والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط الماء بالخمر وامتزاجهما وكذلك الخمر باللبن.وقال قوم منهم الاتحاد هو ان الكلمة والناسوت اتحدا فصارا هيكلا واحداً وقال قوم منهم الاتحاد مثل ظهور صورة الانسان في المرآة وكظهور الطابع في المطبوع مثل الخاتم في الشمع وقال قوم منهم الكلمة اتحدت بجسد المسيح على معنى انها حلته من غير مماسة ولا ممازجة كما نقول الله في السماء على العرش من غير مماسة ولا ممازجة وكما نقول ان العقل جوهر حال في النفس من غير مخالطة للنفس ولا مماسة لها . وقالت الملكية الاتحاد ان الاثنين

صارا واحداً وصارت الكثرة قلة وهذا الذى نقله عنهم أبو الحسن الزاغونى هو نحو ما نقله عنهم القاضى أبو بكر ابن الطيب والقاضي أبو يعلى وغيرهما وقال أبو محمد بن حزم النصارى فرق منهم اصحاب اريوس وكان قسيساً بالاسكندرية ومن قوله التوحيد المجرد وان عيسى عبد مخلوق وانه كلمة الله التي بها خلق السموات والارض وكان في زمن قسطنطين الاول باني القسطنطينية وأول من تنصر من ملوك الروم وكان على مذهب اريوس هذا قال ومنهم أصحاب بولس الشمشاطي وكان بطريازكا بانطاكية قبل ظهور النصرانية وكان قوله بالتوحيد المجرد الصحيح وان عيسى عبد الله ورسوله كاحد الانبياء عليهم السلام خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر وانه انسان لا الهية فيه البتة وكان يقول لا أدرى ما الكلمة ولا روح القدس قال وكان منهم اصحاب مقدنيوس كان بطريازكا بالقسطنطينية بعد ظهور النصرانية أيام قسطنطين ابن قسطنطين باني القسطنطينية وكان هذا الملك اريوسيا كابيه وكان من قول مقدنيوس هذا التوحيد المجرد وان عيسى عليه السلام عبد مخلوق انسان نبي رسول كسائر الانبياء عليهم السلام وان عيسى هو روح القدس وكلمة الله وان روح القدس والكلمة مخلوقان خلق الله كل ذلك قال وكان منهم البربرانية وهم يقولون ان عيسى وامه الهان من دون الله تعالى قال وهذه الفرق قد بادت وعمدتهم اليوم ثلاث فرق وأعظمها فرق الملكانية وهى مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا حاشا الحبشة والنوبة ومذهب عامة أهل مملكة النصارى حاشا النوبة والحبشة ومذهب جميع نصارى افريقية وصقلية والاندلس وجمهور

الشام وقولهم ان الله (تعالى الله عن قولهم) ثلاثة اشياء اب وابن وروح القدس كلها لم تزل وان عيسى اله تام كله وانسان تام كله ليس أحدهما غير الآخر وان الانسان منه هو الذى صلب وقتل وان الاله منه لم ينله شيء من ذلك وان مريم ولدت الاله والانسان وانهما معا شيء واحد ابن الله تعالى الله عن كفرهم. وقالت النسطورية مثل ذلك سواء بسواء الا انهم قالوا ان مريم لم تلد الاله وانما ولدت الانسان وان الله لم يلد الانسان وانما ولد الاله تعالى الله عن كفرهم وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس وخراسان وهم منسوبون الى نسطور وكان بطريازكا بالقسطنطينية وقالت اليعقوبية ان المسيح هو الله نفسه وان الله تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وقتل وان العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر والفلك بلا مدبر ثم قام ورجع كما كان والله عاد محدثاً والمحدث عاد قديما وانه تعالى هو كان فى بطن مريم محمولا به وهم في اعمال مصر وجميع النوبة وجميع الحبشة وملوك الامتين المذكورتين ومن أعلم الناس بمقالاتهم من كان من علمائهم واسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم كالحسن بن أيوب الذى كتب رسالة الى أخيه على بن أيوب يذكر فيها سبب اسلامه ويذكر الادلة على بطلان دين النصارى وصحة دين الاسلام قال في رسالته الى أخيه لما كتب اليه يسأله عن سبب اسلامه بعد ان ذكر خطبته (ثم اعلمك ان ابتداء أمرى في الشك الذى دخلنى فيما كنت عليه والاستبشاع للقول به من اكثر من عشرين سنة لما كنت اقف عليه فى المقالة من فساد التوحيد لله عز وجل بما ادخل فيه من القول بالثلاثة الاقانيم وغيرها

مما تضمنته شريعة النصارى ووضع الاحتجاجات التى لا تزكو ولا تثبت في تنوير ذلك وكنت اذا تجرته وأجلت الفكر فيه بان لى عواره ونفرت نفسى من قبوله واذا فكرت في دين الاسلام الذى من الله علي به وجدت أصوله ثابتة وفروعه مستقيمة وشرائعه جميلة وأصل ذلك مالا يختلف فيه احد ممن عرف الله عز وجل منكم ومن غيركم وهو الايمان بالله الحى القيوم السميع البصير الواحد الفرد الملك القدوس الجواد العدل اله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط واله عيسى وموسى وسائر النبيين والخلق اجمعين الذي لا ابتداء له ولا انتهاء ولا ضد ولا ند ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا الذى خلق الاشياء كلها لا من شيء ولا على مثال بل كيف شاء وبان قال لها كوني فكانت على ما قدر واراد وهو العليم القدير الرؤف الرحيم الذى لا يشبهه شيء وهو الغالب فلا يغلب والجواد فلا يبخل لا يفوته مطلوب ولا تخفى عليه خافية يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها فكل مذكور اوموهوم هومنه وكل ذلك به وكل له قانتون ثم نؤمن بان محمداً عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ونؤمن بموسى وعيسى وسائر الانبياء عليهم السلام لانفرق بين احد منهم ونؤمن بالتوراة والانجيل والزبور والقرآن وسائر الكتب التى انزلها الله تعالى على انبيائه وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور وان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين ذلك بما كسبت أيديهم وان الله ليس بظلام للعبيد) قال وكان

يحملني إلف ديني وطول المدة والعهد عليه والاجتماع مع الآباء والامهات والاخوة والاخوات والاقارب والاخوان والجيران واهل المودات على التسويف بالعزم والتلبث عن ابرام الامر ويعرض مع ذلك الفكر في امعان النظر والازدياد في البصيرة فلم ادع كتاباً من كتب انبياء التوراة والانجيل والزبور وكتب الانبياء والقرآن إلا نظرت فيه وتصفحته ولا شيئاً من مقالات النصرانية الا تأملته فلم أجد للحق مدفعاً ولا للشك فيه موضعاً ولا للاناة والتلبث وجهاً خرجت مهاجراً الى الله عز وجل بنفسي هاربا بديني عن نعمة وأهل ومستقر ومحل وعز ومتصرف في عمل فاظهرت ما أظهرته عن نية صحيحة وسريرة صادقة ويقين ثابت فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله واياه نسال ان لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا وان يهب لنا منه رحمة انه هو الوهاب قال ولما نظرت في مقالات النصارى وجدت صنفاً منهم يعرفون بالاريوسية يجردون توحيد الله ويعترفون بعبودية المسيح عليه السلام ولا يقولون فيه شيئاً مما يقوله النصارى من ربوبية ولا بنوة خاصة ولا غيرها وهم متمسكون بانجيل المسيح مقرون بما جاء به تلاميذه والحاملون عنه فكانت هذه الطبقة قريبة من الحق مخالفة لبعضه في جحود نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودفع ماجاء به من الكتاب والسنة قال ثم وجدت منهم صنفاً يعرفون باليعقوبية يقولون ان المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين إحداهما طبيعة الناسوت والاخرى طبيعه اللاهوت وان هاتين الطبيعتين تركبتا كما تركبت النفس مع البدن فصارتا انسانا واحداً وجوهراً واحداً وشخصاً واحداً وان هذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد

هو المسيح وهو اله كله وانسان كله وهو شخص واحد وطبيعة واحدة من طبيعتين وقالوا ان مريم ولدت الله تعالى الله عما يقولون وان الله مات والم وصلب متجسداً ودفن وقام من بين الاموات وصعد الى السماء فجاؤا من القول بما لو عرض على السماء لانفطرت أو على الأرض لانشقت أو على الجبال لانهدت فلم يكن لمحاجــة هؤلاء وجه اذ كان كفرهم بما صرحوا به أوضح من ان يقع فيه الشك وكان غيرهم من النصارى كالملكية والنسطورية يشهدون بذلك عليهم قال ثم نظرت فى قول الملكية وهم الروم وهم أكثر النصارى فوجدتهم قالوا ان الابن الازلي الذي هو الله الكلمة تجسد من مريم تجسدا كاملا كسائر اجساد الناس وركب في ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر انفس الناس وانه صار انسانا بالنفس والجسد اللذين هما من جوهر الناس وآلهاً بجوهر اللاهوت كمثل أبيه لم يزل وهو انسان بجوهر الناسوت مثل ابراهيم وداود وهو شخص واحد لم يزد عدده وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل وصح له جوهر الناسوت الذي لبسه من مريم وهو شخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان ولكل واحد من الطبيعتين مشيئة كاملة فله بلاهوته مشيئة مثل الاب والروح وله بناسوته مشيئة مثل مشيئة ابراهيم وداود وقالوا ان مريم ولدت الها وان المسيح وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت مات وقالوا ان الله لم يمت والذي ولدت مريم قد مات بجوهر ناسوته فهو اله تام بجوهر لاهوته وانسان تام بجوهر ناسوته وله مشيئة اللاهوت ومشيئة الناسوت وهو شخص واحد لانقول شخصان لئلا يلزمنا القول باربعة أقانيم قال فهؤلاء اتوا من ذلك بمثل ما أتت اليعقوبية

في ولادة مريم تعالى الله عما يقول الظالمون وقالوا إن المسيح وهو اسم لاتشك جماعة النصارى انه واقع على اللاهوت والناسوت مات وان الله لم يمت فكيف يكون ميت لم يمت وقائم قاعد في حال واحدة . وهل بين المقالتين فرق الا مااختلفوا فيه من الطبائع قال ثم نظرت في قول النسطورية فوجدتهم قالوا ان المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة وان طبيعة اللاهوت التي للمسيح غير طبيعة ناسوته وان طبيعة اللاهوت لما توحدت بالناسوت بشخصها الكلمة صارت الطبيعتان بجهة واحدة وارادة واحدة واللاهوت لايقبل زيادة ولا نقصانا ولا يمتزج بشيء والناسوت يقبل الزيادة والنقصان فكان المسيح بتلك الها وانسانا فهو اله بجوهر اللاهوت الذى لايزيد ولاينقص وهو انسان بجوهر الناسوت القابل للزيادة والنقصان وقالوا ان مريم ولدت المسيح بناسوته وان اللاهوت لم يفارقه قط منذ توحدت بناسوته قال فوجدنا اليعقوبية قد صرحوا بان مريم ولدت الله تعالى عما يصفه المبطلون ويقوله العادلون وانه الم وصلب ومات وقام بعد ثلاثة أيام من بين الموتى وهذا الكفر الذي تشهد به عليهم سائر ملل النصارى وغيرهم ووجدنا الملكية قد حادوا عن هذا التصريح الى ماهو دونه في الظاهر فقالوا ان المسيح شخص واحد وطبيعتان فلكل واحدة من الطبيعتين مشيئة فله بلاهوته مشيئة مثل الاب والروح وله بناسوته مشيئة كمشيئة ابراهيم وداود وأوهموا الواقف على قولهم انهم بما اخترعوه من هذا الاختيار قد فرقوا بين اللاهوت والناسوت ثم عادوا الى قول اليعقوبية فقالوا ان مريم ولدت الهاً وان المسيح وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت عند

جماعتهم لايشكون في ذلك مات بالجسد وان الله لم يمت والذى قد ولدته مريم قد مات بجوهر ناسوته فكيف يكون ميت لم يمت وهل بين المقالتين الا ما اختلفوا فيه من الطبايع فرق . او اذا كانوا اقدا عترفوا بان مريم ولدت الله وان الذي ولدته مريم وهو المسيح الاسم الجامع للجوهرين اللاهوت والناسوت قد مات فهل وقعت الولادة والموت وسائر الافعال التي تحكي النصارى انها فعلت بالمسيح الا عليهما فكيف يصح لذي عقل عبادة مولود من امرأة بشرية قد مات ونالته العلل والآفات . قلت ومما يوضح تناقضهم انهم يقولون ان المسيح وهو اللاهوت والناسوت شخص واحد واقنوم واحد مع قولهم انهما جوهران بطبيعتين ومشيئتين فيثبتون للجوهرين اقنوماً واحداً ويقولون هو شخص واحد ثم يقولون ان رب العالمين اله واحد وجوهر واحد وهو ثلاثة اقانيم فيثبتون للجوهر الواحد ثلاثة اقانيم وللجوهرين المتحدين اقنوماً واحداً مع ان مشيئة الاقانيم الثلاثة عندهم واحدة والناسوت واللاهوت يثبتون لهما مشيئتين وطبيعتين ومع هذا هما عندهم شخص واحد واقنوم واحد وهذا يقتضى غاية التناقض فسواء فسروا الاقنوم بالصفة أو الشخص أو الذات مع الصفة أو أي شيء قالوه وهو يبين ان الذين تكلموا بهذا الكلام ماتصوروا ما قالوه بل كانوا ضلالا جهالا بخلاف مايقوله الانبياء فانه حق فلهذا لايوجد عن المسيح ولا غيره من الانبياء مايوافق قولهم في التثليث والاقانيم والاتحاد ونحو ذلك مما ابتدعوه بغير سمع وعقل بل القوا أقوالاً مخالفة للشرع والعقل ثم قال الحسن بن أيوب ثم وجدنا النصارى المعروفين بالنسطورية قد خالفوا اليعقوبية

والملكية في قولهم بشخصين لهما مشيئة واحدة وان الطبيعتين اتحدتا فصارتا بجهة واحدة ثم عادوا الى شبيه قولهم في ان مريم ولدت المسيح فاذا كانت ولدت المسيح فقد لزمهم ووجب عليهم الاقرار بانها ولدت هذا اللاهوت والناسوت المتحدين وقد رجع المعنى الى قول اليعقوبية إلا انهم اختاروا لذلك الفاضاً زوقوها وقدروا بها التمويه على السامع ولم يصرحوا بالقول كتصريح اليعقوبية لان المتحد بالشيء هو الممازج له والمجتمع معه حتى صار الذي مازجه وهو شيئاً واحداً ثم اكدوا القول باقرارهم ان الناسوت منذ اتحد باللاهوت لم يفارقه فلم يفارق الشيء هل هو الا ان يجري مجراه في سائر متفرقاته من ضر ونفع وخير وشر وحاجة وغنى .قال وأما قولهم ان مريم ولدت المسيح بناسوته فهذه اغلوطة والا فكيف يولد ولد متحد بشيء آخر مجامع له دون ذلك الشيء وكيف يكون ذاك وهم يقولون انه لم يفارقه قط وهل يصح هذا عند أهل النظر أو ليس الحكم عند كل ناظر ومن كل ذي عقل يوجب ان تكون الولادة واقعة على اللاهوت والناسوت معاً بمعنى الاتحاد وبمعنى الاسم الجامع للاهوت والناسوت وهو المسيح وكذلك الحمل بهما جميعاً وان يكون البطن قد حواها قال فان لجوا في الباطل ودفعوا عن قبح هذه المقالة ومالوا الى تحسينها بالتمويهات المشككة لمن قصرت معرفته فنحن نقيم عليهم شاهداً من أنفسهم لايمكنهم دفعه وذلك ان شريعة ايمانهم التي الفها لهم رؤساؤهم من البطاركة والمطارنة والاساقفة والأحبار في دينهم وذوى العلم منهم بحضرة الملك عند اجتماعهم من آفاق الأرض بمدينة قسطنطينية

وكانوا ثلثمائة وثمانية عشر رجلا يصفون أنهم أنطقوا بها بروح القدس وهى التى لم تختلف جماعتهم عند اختلافهم في المقالات فيها ولا يتم لهم قربان الا بها على هذا النسق الذي نبينه (نؤمن بالله الاب مالك كل شيء صانع مايرى وما لا يرى وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها وليس بمصنوع اله حق من اله حق من جوهر أبيه الذي بيده اتقنت العوالم وخلق كل شيء الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار انسانا وحبل به وولد من مريم البتول والم وصلب أيام فيطوس بن بيلاطوس ودفن وقام فى اليوم الثالث كما هو مكتوب وصعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الاموات والاحياء ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذى يخرج من أبيه روح محيثه وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قديسية سليحية جاثليقية وبقيامة أبداننا وبالحياة الدائمة الى أبد الآبدين) قال فهذه الشريعة يجتمع على الايمان بها وتبذل المهج فيها واخراج الانفس دونها جماهيرهم من الملكية واليعقوبية والنسطورية وقد اعترفوا فيها جميعاً بان الرب المسيح الذى هذه صفته على ما اقتصصناه منها الاله الحق من الاله الحق نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار انسانا وحبل به وولد من مريم البتول والم وصلب قال فهل فى هذا الاقرار شبهة أو علقة يتعلق بها المعنت المدافع عن الحجة فتدبروا هذا القول يامعشر النصارى فانه لايمكن أحداً منكم ان يخرج عنه ولا ان يدفع ما صرح به فانكم ان قلتم ان المقتول المصلوب هو الله

فمريم على قولكم ولدت الله سبحانه وتعالى عما يقولون وان قلتم انه انسان فمريم ولدت انسانا وفي ذلك أجمع بطلان شريعة إيمانكم فاختاروا أى القولين شئتم فان فيه نقض الدين • قال وقد يجب على ذوي العقول ان تزجرهم عقولهم عن عبادة اله ولدته مريم وهي امرأة آدمية ثم مكث على الارض ثلاثين سنة تجرى عليه أحكام الآدميين من غذاء وتربية وصحة وسقم وخوف وامن وتعلم وتعليم لايتهيأ لكم ان تدعوا انه كان منه فى تلك المدة من أسباب اللاهوتية شيء ولا له من أحوال الآدميين كلها من حاجاتهم وضروراتهم وهمومهم ومحنهم وتصرفاتهم مخرج ثم أحدث بعد هذه المدة الطويلة ماأحدثه من اظهار أمر الله تعالى والنبوات والآيات الباهرة المعجزة بقوة الله تعالى وقد كان فى غيره من الانبياء مثلها وما هو أعلا منها فكانت مدته في ذلك أقل من ثلاث سنين ثم انقضى أمره بما يصفون انه انقضى به وينسبونه اليه من حبس وضرب وقذف وصلب وقتل فهل تقبل العقول مايقولون من ان الهاً نال عباده منه مثل ماتذكرون انه نيل منه .فان تأولتم ان ذلك حل بالجسم وليس بالقياس يحتمل ذلك لما شرحناه من معنى اتحاد اللاهوت به افاليس قد وقع بجسم توحدت اللاهوتية به وحلت الروح فيه وقد انتخبه الله على ماتزعمون وتصفون لخلاص الخلق وفوض اليه القضاء بين العباد فى اليوم الذى تجتمع فيه الاولون والآخرون للحساب وقد وجدناكم تأثرون أخباراً فى قوم عرضوا التوابيت فيها شهداء لكم بان الايدى التى بسطت اليها جفت أوهل نال أحداً من الجزع والهلع والغم والقلق والتضرع الى الله في ازالة ماحل به مثل

مايحكى في الانجيل انه ناله ووجدنا الكتب تنبيء بانه نيل من جورجيس أحد من كان على دين المسيح صلى الله عليه وسلم من العذاب الشديد بالقتل والحرق والنشر بالمناشير مالم يسمع بمثله في أحد من الخلق ونال خلقاً كثيراً من تلامذته أيضاً عذاب شديد وقيل لما كان الملوك المحاربون لهم يسومونهم اياه من الرجوع عن أديانهم الى الكفر الذى كان أولئك الملوك عليه فصبروا على ذلك واحتسبوا أنفسهم فلم يهربوا من الموت وقد كان يمكنهم الهرب من بلد الى بلد والاستتار واخفاء أشخاصهم وما أظهروا في حال من تلك الاحوال جزعا ولا هلعاً وهم بعض الآدميين التابعين له لانه خفف عنهم ما كانوا ينالون به بتأييد الله عز وجل اياهم . قال ثم نقول قولا آخر قد نستدل على صحة هذه الشريعة من سقمها باربعة أوجه لايقع فى شيء منها شك ولا طعن ولا زيادة ولا نقصان وهى أصل أمر المسيح عندكم فاولها البشرى التي أتى بها جبريل عليه السلام . والثانية قول يحيى بن زكريا الذى شهد له المسيح بانه لم تقم النساء عن مثله . والثالثة النداء المسموع من السماء . والرابعة قول المسيح عن نفسه حين سأله يحيي عن شأنه والذى قال جبريل على ماثبت في انجيلكم لمريم حين بشرها السلام عليك أيتها الممتلئة نعما ربنا معك أيتها المباركة فى النساء فلما رأته مريم ذعرت منه فقال لاترهبي يامريم فقد فزت بنعمة من ربك فها أنت تحبلين وتلدين ابنا وتسميه يسوع ويكون كبيراً ويسمى ابن الله العلى ويعطيه الله الرب كرسى أبيه داود ويكون ملكا على آل يعقوب الى الابد . فقالت مريم انى يكون لى ذلك ولم يمسسني رجل قال لها الملك ان روح القدس يأتيك أو قال

يحل فيك وقوة العلى تجالك من أجل ذلك يكون الذى يلد منك قديساً ويسمى ابن الله العلى . قال فلم تر الملك قال لها ان الذى تلدين وهو خالقك هو الرب كما سميتموه بل أزال الشك في ذلك بان قال ان الله الرب يعطيه كرسى أبيه داود ويصطفيه ويكرمه وان داود النبي أبوه وانه يسمى ابن الله وما قال أيضاً انه يكون ملكا على الارض وانما جعل له الملك على بنى اسرائيل فقط وقد علمتم ان من يسمى بابن الله كثير لا يحصون فمن ذلك اقراركم بانكم جميعاً أبناء الله بالمحبة وقول المسيح أبي وأبوكم والهى والهكم في غير موضع من الانجيل ثم تسمية الله يعقوب وغيره بنيه خصوصاً فالسبيل فى المسيح اذا لم تلحقوه في هذا الاسم بالجمهور ان يجرى فى هذه التسمية مجرى الجماعة الذين اختصوا بها من الانبياء والابرار ونسبة الملك اياه الى أبيه داود تحقق ان اباه داود وان التسمية الاولى على جهة الاصطفاء والمحبة وان حلول الروح عليه على الجهة التي قالها متى التلميد للشعب عن المسيح فى الانجيل لستم أنتم متكلمين بل روح الله تأتيكم تتكلم فيكم. فاخبر ان الروح تحل فى القوم أجمعين وتتكلم فيهم وقال الملك في بشارته لمريم بالمسيح عليه السلام انه يكون ملكا على آل يعقوب نخص آل يعقوب بتملكه عليهم دون غيرهم من الناس ولم يقل انه يكون الها للخلائق ومعنى قول جبريل عليه السلام لمريم وربنا معك مثل معنى قول الله عز وجل لموسى وغيره من الانبياء إني معكم فقد قال ليوشع ابن نون انى أكون معك كما كنت مع موسى عبدى .فقول النصارى كلهم فى مجارى لغتهم ومعانى ألفاظهم ان الله عز وجل وروح القدس مع كل خطيب

وراهب وفاضل في دينه على هذه السبيل قال. واما النداء الذي سمعه
يحي بن زكريا من السماء في المسيح وشهادة يحي له فان متى قال في انجيله
ان المسيح عليه السلام لما خرج من الأردن تفتحت له السماء فنظر
يحي الى روح القدس قد نزلت على المسيح كهيئة حمامة وسمع نداء من
السماء ان هذا ابني الحبيب الذى اصطفيته وقد علمنا وعلمتم ان
المصطفى مفعول والمفعول مخلوق وليس يستنكف المسيح عليه السلام
من الاعتراف بذلك عن الاعتراف بذلك في كل كلامه وما زال يقول
الهي الهكم وابي ابيكم وكلما يصحح به انه عبد مرسل مربوب
مبعوث مامور يؤدى ماسمع ويفعل ماحد له ونحن نشرح هذا في
موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ثم قال وقد وجدنا المسيح
عليه السلام احتاج الى تكميل امره بمعمودية يحي له فصار اليه لذلك
وسأله اياه فليس مرتبة المقصود بدون مرتبة القاصد الراغب وقال لوقا
التلميذ في انجيله ان يحي المعمدانى ارسل الى المسيح بعد ان عمده
وسأله انت ذلك الذى تجيء او نتوقع غيرك ؟ فكان جواب المسيح لرسله ان
ارجعوا فاخبروه بما ترون من عميان يبصرون وزمن ينهضون وصم
يسمعون فطوبى لمن لم يغتر بي او يذل في امرى قال فوجدنا يحي مع
محله وجلالة قدره عند الله عز وجل ثم ماشهد به المسيح له من انه
ماقامت النساء عن مثله قد شك فيه فاحتاج الى ان يسأله عن شانه ثم لم
يكن من جواب المسيح له بشيء مما تصفون من الربوبية ولا قال انى
خالقك وخالق كل شيء كما في شريعة ايمانكم بل حذر الغلط في امره
والاغترار ولا كان من قوله اكثر مما ذكر انه اظهره بنبوته من هذه

الآيات التي يسبق الى مثلها اكثر الانبياء . قال ولا راينا يحيي زاد في وضعه اياه لما قرظه واعلاه ذكره مع تشككه في امره وحاجته الى مسالته عن حاله على ان قال هو اقوى مني واني لا استحق ان احل معقد خفه ولم يقل انه خالقي وقد يقول الرجل الخير فيمن هو دونه مثل الذي قال يحيي فيه تواضعاً لله وخشوعا كما قال المسيح في يحيي انه ماقامت النساء عن مثله قال فتركتم ماأتت به الرسل والنبوات في المسيح وهو اصلكم الذي وقع عليه بناؤكم وجعلتم لانفسكم شريعة غيرها ومثل الذين عقدوا هذه الشريعة لكم مثل من آمن بنبوة رجل ينتفي من النبوة لان المسيح عليه السلام يقول انه مربوب مبعوث يقول جبريل انه مكرم مصطفى وان اباه داود وان الله جعله ملكا على آل يعقوب وينادى مناد من السماء بمثل ذلك ويشهد يحيي بن زكريا على مثله وتقولون بل هو خالق ازلي الا انه يستر نفسه ويقول المسيح وغيره ممن سمينا انه معطي وان الله معطيه ويقولون بل هو رازق النعم وواهبها ويقول ان الله ارسله وتقولون بل هو الذى نزل لخلاصنا وتعتقدون سبب نزوله من السماء انه اراد ان يخلصكم ويحتمل الخطيئة ويربط الشيطان فقد وجدنا الخلاص لم يقع والخطيئة قائمة لم تزل والشيطان اعتى ما كان لم يربط بل سلطه الله عليه على ماتقولون لحصره في الجبل اربعين يوماً يمتحنه وقال له في بعض احواله معه ان كنت ابن الله فقل لهذه الصخور تصير خبزاً فقال له المسيح مجيباً له انه مكتوب ان حياة الانسان لاتكون بالخبز بل بكل كلمة تخرج من الله ثم ساقه الشيطان الى مدينة بيت المقدس واقامه على قرنة الهيكل وقال له ان كنت ابن الله فارم

بنفسك من هاهنا فانه مكتوب ان الملائكة توكل بك لئلا تعثر رجلك بالحجر. قال يسوع ومكتوب ايضاً لاتجرب الرب الهك ثم ساقه الى جبل عال وأراه جميع مملكات الدنيا وزخارفها وقال له ان خررت على وجهك ساجدا لى جعلت هذا الذى ترى كله لك • قال له المسيح اغرب ايها الشيطان فانه مكتوب اسجد للرب الهك ولا تعبد شيئاً سواه ثم بعث الله عزّ وجل ملكا اقتلع العدو من مكانه ورمى به في البحر واطلق السبيل للمسيح وقال افلا يعلم من كان فى عقله ادنى مسكة ان هذا الفعل لايكون من شيطان الى إله ولو كان الهاً لازاله عن نفسه قبل ان ياتيه الملك من عند ربه ولما قال امرنا ان لانجرب الله وان نسجد للرب ولا نعبد شيئاً سواه وكيف لم يربط الشيطان عن نفسه قبل ان يربطه عن امته قال فهذه امور اذا تاملها المتامل قبحت جدا وكثر اختلافها واشتد تنقصها واضطرابها • قال ومما يعجب منه انكم تعتقدون الابن الازلى اتحد بالمسيح فصارا بجهة واحدة ولم يفارقه قط منذ اتحد به ومكث على ذلك في بطن امه تسعة اشهر ثم اقام مولودا وتغذى باللبن ومربوباً صبياً مغذى بالاغذية الى ان بلغ ثلاثين سنة لايظهر منه شيء من آلة الربوبية ولا امر يوجب هذا المحل ولا كان بينه وبين نظرائه من الآدميين فرق ولا سطع منه نور ولا ظهرت له سكينة ولا حفته الملائكة بالتهليل ولا الم به من الشعث بعد ذلك فوق ما كان من الانبياء قبله فقد كلم الله موسى من الموسجة كيف شاء فاشرق ما حولها نورا وكلمه من طور سيناء فاضطرمت فى الجبل النيران والتبس وجهه

النور الساطع حتى كان يتبرقع اذا جلس مع بنى اسرائيل بعد ذلك لانهم كانوا لايستطيعون النظر اليه ثم سأل موسى ربه عز وجل لما قرب منه فقال رب ارنى انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق من صعقته استقال ربه فتاب عليه وتجلى مجد الله لجماعة من الانبياء فرأوا حول مجده ربوات الملائكة وقال داود يارب انك حيث عبرت ببلاد سينين تزلزلت الارض منك وانفطرت من هيبتك وقال أيضاً كالمخاطب للبحر والجبال والمتعجب منها مالك أيها البحر هاربا وأنت يانهر الاردن لم وليت راجعاً ومالك ايتها الجبال تنفرين كالابابيل وما لكن ايتها الشوامخ والهضبات تنزوان نزو الشياه ثم قال كالمجيب عنهم من قدام الرب تزلزلت البقاع قال فان كان المسيح هو الازلى الخالق او كان متحداً به فكيف لم ترجف بين يديه الجبال ولم تتصرف عن مشيئته الانهار والبحار أو كيف لم تظهر منه آيات باهرات أجل من آيات الانبياء قبله مثل المشى على متون الهوى والاضطجاع على اكناف الرياح والاستغناء عن المآكل والمشارب واحراق من قرب منه من الشياطين والجن كما احرق ايليا من قرب منه من جند احاب الملك ويمنع الآدميين من نفسه وما فعلوا على زعمهم بجسمه ليعلم الناس انه خالقهم أو انه هيكل الخالق قال ووجدناكم تقولون ان الابن انما يسمى ابن الله وكلامه لانه تولد من الاب وظهر منه فلم نقف على معنى ذلك لان شريعة ايمانكم تقول ان الروح أيضاً تخرج من الاب فان كان الامر كما تقولون فالروح أيضاً ابن لانها تخرج عن الله

تعالى وإلا فما الفرق بينهما • قال ولم نفهم ايضاً قولكم ان الابن تجسد من روح القدس وان روح القدس ساقه الى البر ليمتحنه الشيطان فما كانت حاجة الابن الى ان تكون الروح وهي في قولكم مثله تدبره وتغيره من حال الى حال او ما علمتم ان المغير السابق المدبر فاعل والمسبوق المدبر مفعول به فالابن اذا دون الروح وليس كمثله لان الازلي لا ينفك من الازلي وهو مثله • قال وان كان المسيح من روح القدس كما قال جبريل الملك لامه مريم فلم سميتموه كلمة الله وابنه ولم تسموه روحه فانما قال لها الملك ان الذى تلدين من روح القدس والروح غير الابن ولو كان المعنى واحدا لما قالت الشريعة انه تجسد من روح القدس وان روح القدس ساقه الى البر وان روح القدس نزل عليه ولم تثلثون به في ايمانكم فتقولون نؤمن بالاب والابن وروح القدس قال ووجدناكم تقولون أيتها النسطورية ان لله علماً وحكمة هما الابن وحياة هى الروح قديمين ولعلمه وحياته ذات كذات الله وذلك ان علم الله له علم وحياة ولحياته التي هى روحه علم وحياة وان الله الاب لما رأى استيلاء العدو على خلقه ونكول الانبياء عن مناواته أرسل اليه ابنه الفرد وحبيبه وجعله فداء ووقاء للناس أجمعين وان الله نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار انسانا ثم ولد ونشأ وعاش ثلاثين سنة يتقلب بين بني اسرائيل كواحد منهم يصلي في كنايسهم ويستن بسنتهم لا يدعى ديناً غير دينهم ولا ينتحل رسالة ولا نبوة ولا بنوة حتى اذا انقضت تلك السنون اظهر الدعوة وجاء بالآيات الباهرة والبراهين المشهورة فانكرته اليهود وقتلته وصلبته ثم صعد الى السماء • وصدقتم

بشريعة الايمان وكفرتم من خالفها ثم لم تلبثوا ان خلعتموها وانسلختم منها وقلتم ان المسيح جوهران وأقنومان جوهر قديم وجوهر حديث ولكل جوهر اقنوم على حياله وان الله جوهر قديم يقوم بمعنيين فهو واحد يقوم بثلاثة معان وثلاثة لها معنى واحد كالشمس التي هي شيء واحد ولها ثلاثة معان القرص والحر والنور فالمسيح هو الله وهو مبعوث غير انه ليس بعبد فكان معنى قولكم هذا ان المسيح مولود لكنه ليس مفعولا به وهو مبعوث مرسل لكنكم تستحيون ان تسموه رسولا اذ كنتم لاتفرقون بين الله وبينه فى شيء من الاشياء وأقبلتم على الملكية واليعقوبية بالتكفير واللعن لقولهم ان الله والمسيح شيء واحد ثم لم تلبثوا ان قدمتم المسيح على الله تبارك وتعالي وبدأتم به في التمجيد ورفعتم اليه تهاليلكم ورغائبكم في أوقات القرابين خاصة وهي اجل صلواتكم وافضل محافلكم عندكم فانه الامام منكم على المذبح من مذابحكم واهله مرعوبون فتتوقعون نزول روح القدس بزعمكم من السماء بدعائه فيفتتح دعاءه ويقول ليتم علينا وعليكم نعمة يسوع المسيح ومحبة الله الاب ومشاركة روح القدس الى دهر الداهرين ثم يختم صلاته بمثل ذلك فهذا تصريح بالشرك وتصغير لعظمة الله وعزته ان جعلتم النعم والمواهب لمن هو دونه ومن هو معطى ومخول من عند الله على قولكم وجعلتم لله بعد المسيح محبة ولروحه مشاركة. قال ووجدنا كم قد عبتم على اليعقوبية قولهم ان مريم ولدت الله عز الله وجل عن ذلك وفى شريعة الايمان التي بيناها المجتمع عليها ان المسيح اله حق وانه ولد من مريم فما معنى المنافرة وما الفرق وما تنكرون من قولهم ان المقتول المصلوب هو

الله عز الله وجل عن ذلك • وشريعة ايمانكم تقول نؤمن بالرب المسيح الذي من خبره وحاله الذى ولد من مريم وألم وصلب على عهد الملك بيلاطس النبطى ودفن وقام في اليوم الثالث أليس هذا اقراراً بمثل قولكم فتدبروا هذا القول يا أولى الالباب. فانكم ان قلتم ان المقتول المصلوب هو الله فان مريم عندكم ولدت الله • وان قلتم انه انسان فان مريم ولدت انساناً وبطلت الشريعة فاى القولين اخترتموه ففيه نقض دينكم ثم عبتم على الملكية قولهم انه ليس للمسيح الا أقنوم واحد لانه صار مع الازلى الخالق شيئاً واحدا لا فرق بينهما وقلتم بان له أقنومين لكل جوهر أقنوم على حياله ثم لم تلبثوا ان رجعتم الى مثل قولهم فقلتم ان المسيح وان كان مخلوقاً من مريم مبعوثاً فانه هيكل لابن الله الازلي ونحن لانفرق بينهما فاذا كان الامر عندكم على هـذا فما تنقمون على الملكية وما معنى الافتراق وقد رجعتم في الاتحاد الى مثل قولهم ان هذا الامر تحار فيه الافهام • فان كانت الشريعة بمعنى الامانة عندكم حقاً فالقول ماقال يعقوب وذلك انا اذا ابتدأنا من الشريعة في ذكر المسيح ثم نسقنا المعاني نسقاً واحداً وانحدرنا فيها الى آخرها وجدنا القوم الذين ألفوها لكم قد صححوا ان يسوع المسيح هو ابن الله وهو بكر الخلائق كلها وهو الذي ولد من مريم ليس بمصنوع وهو اله حق من اله حق من جوهر أبيه وهو الذى اتقن العوالم وخالق كل شيء على يده وهو الذى نزل لخلاصكم فتجسد وحملته مريم وولدته وقتل وصلب فمن أنكر قول اليعقوبية لزمه ان ينكر هذه الشريعة التي تشهد بصحة قولهم وتلعن من ألفها. قالوا انما أخذت تلك الطائفة يعنى الذين وضعوا

الامانة بكلمات وذكروا انهم وجدوها فى الانجيل مشكلات تأولت فيها ماوقع بهواها وتركت مافى الانجيل من الكلام البين الواضح الذى يشهد بعبودية المسيح وشهادته بذلك على نفسه وشهادة تلاميذه به عليه فاخذت بالمشكل اليسير وجعلت له ما أحبت من التأويل والغت الواضح الكثير الذى لايحتاج الى تأويل • قال فاما احتجاجكم بالشمس وانها شيء واحد له ثلاثة معان وتشبيهكم ما يقولونه فى الثلاثة الاقانيم بها فان ذلك تمويه لايصح لان نور الشمس لايحد بحد الشمس وكذلك حرها لايحد بحد الشمس اذ كان حد الشمس جسما مستديراً مضيئاً مسخناً دائراً في وسط الافلاك دوراناً دائما ولايتهياء ان يحد نورها وحرها بمثل هذه الصفة ولا يقال ان نورها أو حرها جسم مستدير مضئ مسخن دائم الدوران ولو كان نورها وحرها شمساً حقاً من شمس حق من جوهر الشمس كما قالت الشريعة فى المسيح انه اله حق من اله حق من جوهر أبيه لكان ماقلتم له مثلا تاما والامر مخالف لذلك فلا يشبهه ولا يقع القياس عليه والحجة منكم فيه باطلة. قال ووجدناكم تذكرون ان المسيح نزل من السماء فابطل بنزوله الموت والآثام فان العجب ليطول من هذا القول واعجب منه من قبله ولم يتفكر فيه وممن لم يستقبح ان يعتقد ديانة لله تبارك وتعالى على مثل هذا القول المحال البائن عما تشهد به العقول وتنبي به المشاهدة ويدعو الناس اليها فما هو ببعيد من عقد ماهو محال وأبطل منها لانه ان كانت الخطيئة بطلت بمجيئه فالذين قتلوه اذا ليسوا خاطئين ولا مأثومين لانه لاخاطئ بعد مجيئه ولا خطيئة • وكذلك أيضاً الذين قتلوا حواريه

وأحرقوا أسفاره غير خاطئين وكذلك من يراه من جماعتكم منذ ذلك الدهر الى هــذا الوقت يقتل ويسرق ويزني ويلوط ويسكر ويكذب ويركب كل مانهى عنه من الكبائر وغيرها غير خاطئين ولا مأثومين. فمن جحد ذلك فليرجع الى التسبيحة التى تقرأ بعقب كل قربان وهو ان ياربنا الذى غلب بوجهه الموت الطاغي • وفى الاخرى التى تقال في اليوم الجمعة الثانية من الفصح ان نفخر نا بالصليب الذي بطل به سلطان الموت وصرنا الى الامن والنجاة بسببه • وفى بعض التسابيح بصلوات ربنا يسوع المسيح بطل الموت وانطمات فتن الشيطان ودرست آثارها فاى خطيئة بطلت ؟ وأى فتنة للشيطان انطفئت ؟ أو أى أمر كان الناس عليه قبل مجيئه من المحارم والآثام تغير عن حالته • قال فاذا كان التمويه يقع فيما يلحقه كل أحــد بالمعرفة والعيان فهو فيما أشكل من الامور وفعل بالتأويلات التى تأولها أولئك المتأولون أوقع • واذا كنتم قد قبلتم هــذا المحال الظاهر الذى لاخفاء به عن الصبيان فانتم لمــا هو أعظم منه من المحال اقبل وهذا انجيلكم يكذب هذا القول حيث يقول المسيح فيه ما أكثر من يقول لي يوم القيامة ياسيدنا أليس باسمك أخرجنا الشيطان فاقول اغربوا عنى أيتها الفجرة الغاوون فمــا ان عرفتكم قط فهذا خلاف قول علمائكم ماقالوا ووضعهم لكم ماوضعوا ومثــله قوله انى جامع الناس يوم القيامة عن ميمنــتي وميسرتى وقائل لاهــل الميسرة انى جعت فلم تطعمونى وعطشت فلم تســقونى وكنت غريبا فلم تاوونى ومحبوسا فلم تزورونى ومريضا فلم تعــودونى فاذهبوا الى النار المعدة لكم من قبل تأسيس الدنيا . وأقول لاهــل الميمنة فعلتم

بي هذه الاشياء فاذهبوا الى النعيم المعد لكم من قبل تأسيس الدنيا فهل ادخل اولائك النار الا خطاياهم التي ركبوها وهل صار هؤلاء الى النعيم الا أعمالهم الجميلة التي قدموها بتوفيق الله اياهم فمن قال ان الخطيئة قد بطلت فقد بهت وخالف قول المسيح وكان هو من الكاذبين . قال ويا أيها القوم الذين هم اولوا الالباب والمعرفة حيث ينسبونه الى الربوبية وينحلونه اللاهوتية ويجعلونه خالق الخلق أجمعين وآلههم بماذا ساغ ذلك لكم وما الحجة فيه عندكم. هل قالت كتب النبوات فيه ذلك أو هل قاله عن نفسه أو قاله أحد عن تلامذته والناقلين عنه الذين هم عماد دينكم وأساسه ومن أخذتم الشرائع والسنن عنه ومن كتب الانجيل وبينه بل قد أفصح في كل الانجيل من كلامه ومخاطباته ووصاياه بما لا يحصى كثرة بانه عبد مثلكم ومربوب معكم ومرسل من عند ربه وربكم ومبدى ما أمر به فيكم وحكى مثل ذلك من أمره حواريوه وتلامذته ووصفوه لمن سأل عنه. وفي كلامهم بانه رجل جاء من عند الله عز وجل ونبي له قوة وفضل فتاولتم في ذلك انه اخرج كلامه على معنى الناسوت ولو كان كما تقولون لافصح عن نفسه بانه اله كما أفصح بانه عبد ولكنه ما ذكره ولا ادعاه ولا دعي اليه ولا ادعته له كتب الانبياء قبله ولا كتب تلامذته ولا حكي عنهم ولا أوجبه كلام جبريل الذي أداه الى مريم ولا قول يحيي بن زكريا ماقال قال فان قلتم انكم استدللتم على ربوبيته بأنه أحيي الموتى وابراء الاكمه والابرص ومشى على الماء وصعد الى السماء وصير الماء خمرا وكثر القليل فيجب الآن ان ينظر الى كل من فصل من هذه الامور فملا

فنجعله ربا والهاً والا فما الفرق . فمن ذلك ان كتاب سفر الملوك يخبران
الياس احيي ابن الارملة وان اليسع احيي ابن الاسرائيلية وان حزقيال
احيي بشراً كثيرا ولم يكن أحد ممن ذكرنا باحيائه الموتى الهاً . واما ابرآء
الاكمه فهذه التوراة تخبران يوسف ابرأ عين أبيه يعقوب بعد ان
ذهبت وهذا موسى طرح العصا فصارت حية لها عينان تبصر بهما
وضرب بها الرمل فصار قملا لكل واحدة منها عينان تبصر بهما
ولم يكن واحد منهم بذلك الهاً . وأما ابرآءه الابرص فان كتاب سفر
الملوك يخبر بان رجلاً من عظماء الروم برص فرحل من بلده
قاصداً اليسع عليه السلام ليبرئه من برصه فأخبر الكتاب بان الرجل
وقف بباب اليسع أياما لايؤذن له فقيل لليسع ان ببابك رجلا يقال له
نعمان وهو أجل عظماء الروم به برص وقد قصدك لتبرئه من مرضه
فان أذنت له دخل اليك فلم يأذن له وقال لرجل من أصحابه أخرج الى
هذا الرجل فقل له ينغمس فى الاردن سبع مرات فابلغ الرسول
لنعمان ما أمره به اليسع ففعل ذلك فذهب عنه البرص ورجع قافلا الى
بلده فاتبعه خادم اليسع فاوهمه ان اليسع وجه به اليه يطلب منه مالا
فسر الرجل بذلك ودفع الى الخادم مالا وجوهراً ورجع فأخفى ذلك
وستره ثم دخل الى اليسع فلما مثل بين يديه قال له تبعت نعمان وأوهمته
عنى كذا وكذا وأخذت منه كذا وأخفيته في موضع كذا اذ فعلت الذي
فعلت به فليصر برصه عليك وعلى نسلك فبرص ذلك الخادم على المكان
قال فهذا اليسع قد ابرأ ابرص وأبرص صحيحاً وهو أعظم مما فعل
المسيح عليه السلام فلم يكن فى فعله ذلك الهاً . قال وأما قولكم انه مشى

على الماء فان كتاب سفر الملوك يخبر بان الياس عليه السلام صار الى الاردن ومعه اليسع تلميذه فاخذ عمامته فضرب بها الاردن فاستيبس له الماء حتى مشى عليه هو واليسع ثم صعد الى السماء على فرس من نور واليسع يراه ودفع عمامته الى اليسع فلما رجع اليسع الى الاردن ضرب بها الماء فاستيبس له حتى مشى عليه راجعاً ولم يكن واحد منهما بمشيه على الماء الهاً ولا كان الياس بصعوده الى السماء الهاً . قال وأما قولكم انه صير ماء خمراً فهذا كتاب سفر الملوك يخبر بان اليسع نزل بامرأة اسرائيلية فاضافته وأحسنت اليه فلما أراد الانصراف قال لها هل لك من حاجة ؟ فقالت المرأة يانبي الله ان على زوجي ديناً قد فدحه فان رأيت ان تدعو الله لنا بقضاء ديننا فافعل . فقال لها اليسع اجمعي كل ماعندك من الآنية واستعيري من جيرانك جميع ماقدرت عليه من آنيتهم ففعلت ثم أمرها فملأت الآنية كلها ماء فقال اتركيه ليلتك هذه ومضى من عندها فاصبحت المرأة وقد صار ذلك الماء كله زيتاً فباعوه فقضوا دينهم . وتحويل الماء زيتاً أبدع من تحويله خمراً ولم يكن اليسع بذلك الهاً وأما قولكم المسيح عليه السلام كثر القليل حتى أكل خلق كثير من أرغفة يسيرة فان كتاب سفر الملوك يخبر بان الياس نزل بأمرأة ارملة وكان القحط قد عم الناس وأجدبت البلاد ومات الخلق ضراً وهزلا وكان الناس فى ضيق فقال للارملة هل عندك من طعام ؛ فقالت والله ما عندى الا كف من دقيق في قلة أردت ان أخبزه لطفل لى وقد إيقنا بالهلاك لما الناس فيه من القحط . فقال لها احضريه فلا عليك فأتته به فبارك عليه فمكث عندها ثلاث سنين وستة أشهر تأكل هى

وأهلها وجيرانها منه حتى فرج الله عن الناس فقد فعل الياس في ذلك أكثر مما فعل المسيح لان الياس كثر القليل وادامه والمسيح كثر القليل في وقت واحد ولم يكن الياس بعمله هذا الها . قال فان قلتم ان هولآء الانبياء ليس لهم صنع في هذه الافعال وان الصنع فيها والقدرة لله عز وجل اذ كان هو الذى أجراها على أيديهم فقد صدقتم ونقول لكم أيضاً كذلك المسيح ليس له صنع فيما ظهر على يديه من هذه الاعاجيب اذ كان الله هو الذي أظهرها على يديه فما الفرق بين المسيح وسائر الانبياء وما الحجة في ذلك . قال وان قلتم ان الانبياء كانت اذا أرادت ان يظهر الله على أيديهم آية تضرعت الى الله ودعته وأقرت له بالربوبية وشهدت على انفسها بالعبودية . قيل لكم وكذلك سبيل المسيح سبيل سائر الانبياء قد كان يدعو ويتضرع ويعترف بربوبية الله ويقر له بالعبودية فمن ذلك ان الانجيل يخبر بان المسيح أراد ان يحيي رجلا يقال له العازر فقال يا أبى أدعوك كما كنت أدعوك من قبل فتجيبنى تستجيب لي وانا ادعوك من أجل هؤلآء القيام ليعلموا وقال بزعمكم وهو على الخشبة الهي الهي لم تركتني وقال يا أبي اغفر لليهود مايعملون فانهم لايدرون مايصنعون . وقال في انجيل متى يا أبى احمدك وقال يا ابى ان كان بد ان يتعدانى هذا الكاس ولكن ليس كما أريد انا فلتكن مشيئتك . وقال أيضاً انا أذهب الى الهي الذى هو أعظم مني . وقال لا أستطيع ان أصنع شيئاً ولا اتفكر فيه الا باسم الهي . وقال يعني نفسه لاينبغي للعبد ان يكون أعظم من سيده ولا للرسول ان يكون أعظم ممن أرسله . وقال ان الله لم يلد ولم يولد ولم يا كل ولم يشرب ولم ينم ولم

يره أحد من خلقه ولا يراه أحد الا مات . والمسيح قد اكل وشرب وولد ورآه الناس فما ماتوا من رؤيته ولا مات أحد منهم وقد لبث فيهم ثلاثا وثلاثين سنة ، قلت وعامة ما ذكره هذا عن الكتب تعترف به النصارى لكن بعضهم ينازعه فى يسير من الالفاظ فنازعه هنا في قوله لا ينبغي للعبد ان يكون أعظم من سيده وقال هذا انما قاله المسيح للحواريين وذكر انه لايعرف عنه لفظ لم يلد ولم يولد ولم ياكل ولم يشرب قال وقال في انجيل يوحنا انكم متى رفعتم ابن البشر فحينئذ تعلمون انى انا هو وشيء من قبل نفسي لاافعل ولكن كل شيء كالذى علمني ابى . وقال في موضع آخر من عند الله أرسلت معلماً وقال لأصحابه اخرجوا بنا من هذه المدينة فان النبي لايجل في مدينته واخبر الانجيل ان امراة رات المسيح فقالت انك لذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه فقال لها المسيح صدقت طوبي لك ، وقال لتلامذته كما بعثنى أبي كذلك ابعث بكم قال فاعترف بانه نبي وانه مألوه ومربوب ومبعوث وقال لتلامذته ان من قبلكم وآواكم فقد قبلني ومن قبلني فانما يقبل من ارسلني ومن قبل نبياً باسم نبي فانما يفوز باجر من قبل النبي ، فبين ههنا وفى غير موضع انه نبي مرسل وان سبيله مع الله سبيلهم معهم . وقال متى التلميذ في انجيله يستشهد على المسيح بنبوة أشعيا عن الله عز وجل هذا عبدى الذى اصطفيته وحبيى الذى ارتاحت اليه نفسي انا واضع روحي عليه ويدعو الامم الى الحق فلن يحتاج الى حجة أوضح من هذا القول الذي جعلتموه حجة لكم فقد أوضح الله أمره وسماه عبداً واعلم انه يضع عليه روحه ويؤيده بها كما أيد سائر الانبياء بالروح فاطهروا الآيات

المذكورة عنهم وهذا القول يوافق مابشر به جبريل الملك مريم حين ظهر لها وقال القول الذي سقناه في صدر كتابنا قال وقال يوحنا التلميذ في الانجيل عن المسيح عليه السلام ان كلامي الذي تسمعون هو كلام من أرسلني وقال في موضع آخر ان أبي أجل وأعظم مني وقال أيضاً كما أمرني أبي كذلك افعل انا انا الكرم وأبي هو الفلاح وقال يوحنا كما للاب حياة في جوهره فكذلك أعطي الابن ان تكون له حياة في قنومه قال فالمعطي خلاف المعطى لامحالة والفاعل خلاف المفعول قال وقال المسيح في انجيل يوحنا اني لوكنت أنا الشاهد لنفسي على صحة دعواي لكانت شهادتي باطلة لكن غيري يشهد لي فانا أشهد لنفسي ويشهد لي أبي الذي أرسلني وقال المسيح لبني اسرائيل تريدون قتلي وأنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله قال وقال في الرجل الذي أقامه من الموتى ياأبي أشكرك على استجابتك دعائي واعترف لك بذلك واعلم انك كل وقت تجيب دعوتي لكن أسألك من أجل هذه الجماعة ليؤمنوا بانك أنت أرسلتني قال فاي تضرع واقرار بالرسالة والمسألة والطلب للاجابة من الله عز وجل أشد من هذا أو أكثر قال وقال في بعض مخاطبته لليهود وقد نسبوه الى الجنون أنا لست بمجنون ولكن أكرم أبي ولا أحب مدح نفسي بل مدح أبي لاني أعرفه ولو قلت اني لاأعرفه لكنت كذابا مثلكم بل أعرفه واتمسك بأمره قال وقال داود في مزمور مائة وعشرة قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لرجليك • عصا العظمة تبعث الرب من صهيون وتبسط على اعدائك شعبك يامسيح يوم الرعب في بهاء القدس من

البدى ٠اليوم ولدتك يا صبي عهـد الرب ولا تكذب انك أنت الكاهن المؤيد يشبه ملكيزداق(١) قال فهذه مخاطبة ينسبونها الى اللاهوت وقد ابان داود في مخاطبته ان لربه الذى ذكره ربا هو اعظم منه واعلى اعطاه ما حكيناه ومنحه ذلك وشهد عليه ان عصا العظمة تبعث ربه هذا من صهيون وسماه صبياً محققاً لقوله الأول اليوم ولدتك ونسقاً على اول كلامه وهو ربه ووصف انه الكاهن المؤيد الذى يشبه ملكيزداق قلت قالوا وهـذا الكاهن هو الذى ذكره فى التوراة ان الخليل اعطاه القربان واذا كان المسيح مشبها به مع تسميته كاهنا كان ذلك من اعظم الادلة على انه مخلوق قال فاما قوله من البدى٠ ولدتك فهو يشبه قول داود تبنى على نفسه من البدى ذكرتك وهديت كل اعمالك وبعضهم يقول لفظ النص ان الرب يبعث عصاه من صهيون قال وقال شمعون الصفا رئيس الحواريين في الفصل الثانى من قصصهم يا رجال بنى اسرائيل اسمعوا مقالتى ان يسوع النصرى رجل ظهر لكم من عند الله بالقوة والايدى والعجائب التى اجراها على يديه وانكم اسلمتموه وقتلتموه فاقام الله يسوع هذا من بين الاموات. قال فأى شهادة ابين واوضح من هذا القول وهو اوثق التلاميذ عندكم يخبر كما ترون ان المسيح رجل وانه من عند الله وان الآيات التي ظهرت منه بأمر الله اجراها على يديه وان الذى بعثه من بين الموتى هو الله عز وجل قال وقال ايضاً في هذا الموضع اعلموا ان الله جعل يسوع الذى قتلتموه ربا ومسيحاً قال فهذا القول يزيل تأويل من لعله ان يتاول في الفصل

(١) قال ابو نصر ملكيزداق وهو حبر عظيم من احبار بنى اسرائيل

الاول انه اراد بقوله الناسوت لانه يقول ان الله جعله ربا ومسيحاً والمجعول مخلوق مفعول قال ابو نصر وانما سمي ناصرى لان امه كانت من قرية يقال لها ناصره في الاردن وبها سميت النصرانية ٠ قال وقد سمى الله جل ثناؤه يوسف ربا قال داود فى مزمور مائة وخمسة وللعبودية بيع يوسف وشدوا بالكبول رجليه وبالحديد دخلت نفسه حتى صدقت كلمته قول الرب جربه بعث الملك نخلاه وصيره مسلطاً على شعبه ورباً على بنيه ومسلطاً على فتيانه وقال لوقا فى آخر انجيله ان المسيح عرض لمملوقا ولوقا تلميذه جبريل فى الطريق وهما محزونان فقال لهما وهما لا يعرفانه ما بالكما محزونين ؟ فقالا كانك انت وحدك غريب ببيت المقدس اذ كنت لاتعلم ماحدث فيها فى هذه الايام من امر يسوع الناصرى فانه كان رجلا نبيا قويا في قوله وفعله عند الله وعند الامة أخذوه وقتلوه ٠ على قولهم فيه ٠ قال فهذا قوله واقوال تلاميذه قد تركتموها وعقدتم على بدع ابتدعها لكم اولوكم تؤدى الى الضلالة والشرك بالله جل ثناؤه ٠ وقال داود في المزمور الثاني في زبوره مخاطبا لله ومثنيا على المسيح من الرجل الذى ذكرته والانسان الذى امرته وجعلته دون الملائكة قليلا والبسته المجد والكرامات؟ وقال فى المزمور الثانى قال لى الرب انت ابنى وانا اليوم ولدتك سلنى فاعطيك فقوله ولدتك دليل على انه حديث غير قديم وكل حادث فهو مخلوق ثم اكد ذلك بقوله اليوم حد باليوم حداً لولادته أزال به الشك في انه ما كان قبل اليوم ودل بقوله سلنى فاعطيك على انه محتاج الى المسالة غير مستغن عن العطية قال فهذا ماحضرنا من الآيات فى تصحيح خلق المسيح

وعبوديته وبطلان مايدعونه من ربوبيته ومثله كثير فى الانجيل لايحصى فاذا كانت الشهادات منه على نفسه ومن الأنبياء عليه ومن تلاميذه بمثل ماقد بيناه في هذا الكتاب وانما اقتصرنا على الاحتجاج عليكم من كتبكم فما الحجة فيما تدعونه له ومن اى جهة اخذتم ذلك واخترتم الكلام الشنيع الذى يخرج عن المعقول وتنكره النفوس وتنفر منه القلوب الذى لايصح بحجة ولاقياس ولا تاويل على القول الجميل الذى تشهد به العقول وتسكن اليه النفوس وتشاكل عظمة الله وجلاله ٠ قال واذا تاملتم كل مابيناه تامل انصاف من انفسكم واشفاق عليها علمتم انه قول لايحتمل ان يتاول فيه للناسوت شيئا دون اللاهوت ٠ قال فان قلتم انه يثبت للمسيح البنوة بقوله ابى وابيكم ويا ابي وبمثنى ابى ٠ قلنا فان كان الانجيل انزل على هذه الالفاظ لم تبدل ولم تغير فان اللغة قد اجازت ان يسمى الولى ابنا وقد سماكم الله جميعا بنيه وانتم لستم فى مثل حاله ومن ذلك ان الله عز وجل قال لاسرائيل فى التوراة انت ابنى بكرى وقال لداود فى الزبور انت ابنى وحبيبى وقال المسيح في الانجيل للحواريين اريد ان اذهب الى ابى وابيكم والهى والهكم فسمى الحواريين ابناء الله واقربان له الها هو الله ومن كان له إله فليس باله كما تقولون فان زعمتم ان المسيح انما استحق الالهية بان الله سماه ابنا فنلتزم ذلك ونشهد بالالهية لكل من سماه الله ابنا والا فما الفرق؟ قال فان قلتم ان اسرائيل وداود ونظرآءهم انما سموا ابناء لله على جهة الرحمة من الله لهم والمسيح ابن الله على الحقيقة تعالى الله عن ذلك ٠ قلنا يجوز لمعارض ان يعارضكم فيقول لكم ماتنكرون ان يكون اسرائيل وداود

ابنى الله على الحقيقة والمسيح ابن رحمة وما الفرق ؟ فان قلتم ان الفرق بين المسيح وسائر الانبياء من قبل ان المسيح جاء الى مقعد فقال له قم فقد غفرت لك فقام الرجل ولم يدع الله فى ذلك الوقت • قلنا لكم هذا الياس أمر السماء ان تمطر فمطرت ولم يدع الله في ذلك الوقت وكذلك اليسع أمر نعمان الرومى بان يغتمس فى الاردن من غير دعاء ولا تضرع على انا قد وجدناه فى الانجيل قد تضرع وسال مسائل قد تقدم ذكرها وقال في بعض الانجيل يا أبى أشكرت على استجابتك دعائى واعلم انك فى كل وقت تجيب دعوتي لكن أسألك من أجل هذه الجماعة ليؤمنوا بانك أنت أرسلتنى • فان قلتم ان الغفران من الله عز وجل وان المسيح قال لبعض بنى اسرائيل قم فقد غفرت لك والله هو الذى يغفر الذنوب • قلنا فقد قال الله في السفر الخامس من التوراة لموسى أخرج انت وشعبك الذى أخرجت من مصر وانا اجعل معكم ملكا يغفر ذنوبكم • فان زعمتم ان المسيح اله لانه غفر ذنوب المقعد فالملك اذا اله لانه يغفر ذنوب بنى اسرائيل والا فما الفرق • فان قلتم ان الفرق بين المسيح وسائر الانبياء من قبل ان الله سماه رباً فقال ابن البشر رب السبت • قلنا فهذه التوراة تخبر بان لوطاً عليه السلام لما رأى الملكين قد أقبلا من البرية لهلاك قومه قال لهما ياربي ميلا الى منزل عبدكما وقد تقدم لنا الاحتجاج فى هذا الكتاب ذكرنا من سمي فى الكتاب رباً من يوسف وغيره فان كان المسيح الهاً لانه سمي رباً فهؤلاء اذا الهة لانهم سموا بمثل ذلك • فان قلتم ان الانبياء قد تنبت على الهية المسيح فقال اشعيا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه عمانويل وتفسيره

معنا الهنا . قلنا قيل ان هذا اسم يعاره السيد الشريف من الناس وان
كان الله عز وجل المنفرد بمعنى الالهيــة جل ثناؤه فقــد قال الله في
التوراة لموسى عليــه السلام قد جعلتك لهارون إلهاً وجعلته لك نبياً
وقال في موضع آخر قد جعلتك ياموسى إلهــاً لفرعون وقال داود فى
الزبور لمن كانت عنده حكمة كلكم آلهة ومن العلية تدعون . فان قلتم
ان الله عز وجل جعل موسى الهاً لهارون على معنى الرياسة عليه . قلنا
وكذلك قال اشعيا فى المسيح انه اله لامته على هذا المعنى والا فما الفرق
فان قلتم ان المسيح قد قال فى الانجيل من رآنى فقــد رأى أبى وانا
وأبى واحد . قلنا ان قوله اناوأبي واحد انما يريد به ان قبولكم لامرى
هو قبولكم لامر الله كما يقول رسول الرجل انا ومن أرسلني واحد
ويقول الوكيل انا ومن وكلني واحد لانه يقوم فيما يؤديه مقامه ويؤدى
عنــه ما أرسله به ويتكلم بحجته ويطالب له بحقوقه وكذلك قوله من
رآني فقد رأى أبي يريد بذلك ان من رأى هذه الافعال التي أظهرها
فقد رأى افعال ابى . فان قلتم ان المسيح قد قال فى الانجيل انا قبل
ابراهيم فكيف يكون قبل ابراهيم وانما هو من ولده ولكن لما قال قبل
ابراهيم علمنا ما أراد انه قبل ابراهيم من جهة الالهية . قلنا هذا سليمان
ابن داود يقول فى حكمته انا قبــل الدنيا وكنت مع الله حيث بدإ
الارض فما الفرق بينه وبين من قال ان سليمان بن الله وانه انمــا قال
انا قبل الدنيا بالالهية وقد قال داود أيضاً في الزبور ذكرتك من البدء
يارب فى البدء وهديت بكل أعمالك . فان قلتم ان كلام سليمان بن داود
متأول لانهما من ولد اسرائيل وليس يجوز ان يكونا قبل الدنيا . قلنا

وكذلك قول المسيح انا قبل الدنيا متأول لانه من ولد ابراهيم ولايجوز ان يكون كان قبل ابراهيم فان تأولتم تأولنا وان تعلقتم بظاهر الخبر في المسيح تعلقنا بظاهر الخبر في سليمان وداود والا فما الفرق وقد قدمنا هذا الاحتجاج على تأويلكم لتعلموا بطلان ماذهبتم اليه على انه تأويل غير واقع لحقه وانما حقه ان يكون هذا الاسم يعني عمانويل لما وقع على المسيح كان معناه انه أخبر عن نفسه بان الهنا معنا يعني ان الله معه ومع شعبه معيناً وناصراً • ومما يصحح ذلك انكم تتسمون به ولو كان المعنى ماذهبتم اليه لما جاز لاحد ان يتسمى به كما لم يجز ان يتسمى بالمسيح لانه مخصوص بمعناه • فان قلتم ان تلاميذ المسيح كانوا يعملون الآيات باسم المسيح • قلنا لكم فقد قال الله جل ثناؤه ليحيى بن زكريا قد أيدتك بروح القدس وبنوة الياس وهي قوة تفعل الآيات فاضاف القوة الى الياس • فان زعمتم ان المسيح اله لانه فعلت الآيات باسمه فما الفرق بينكم وبين من قال ان الياس اله فانه فعلت بقوته الآيات • فان قلت ان الخشبة التي صلب عليها المسيح على زعمكم الصقت بميت فعاش وان هذا دليل على انه اله قلنا لكم فما الفرق بينكم وبين من قال ان اليسع اله واحتج في ذلك بان كتاب سفر الملوك يخبر بان رجلا مات فحمله اهله الى المقبرة فلما كانوا بين القبور رأوا عدواً يريد انفسهم فطرحوا الميت عن رقابهم وبادروا الى المدينة وكان الموضع الذى القوا عليه الميت قبر اليسع فلما أصاب ذلك الميت تراب قبر اليسع عاش وأقبل يمشي الى المدينة فان زعمتم ان المسيح اله لان الخشبة التى ذكروا انه صلب عليها الصقت

بميت فعاش فاليسع اله لان تراب قبره لصق بميت فعاش فان قلتم ان المسيح كان من غير فحل • قلنا لكم قد كان كذلك وليس أعجوبة الولادة توجب الالهية ولا الربوبية لان القدرة فى ذلك للخالق تبارك وتعالى لا للمخلوق وعلى انه يوجدكم • لان حوا خلقت من فحل بلا انثى وخلق انثى من ذكر بلا انثى أعجب من ذكر من انثى بغير ذكر واعجب من ذلك ان آدم خلقه الله من تراب وخلق بشر من تراب اعجب وابدع من خلق ذكر من انثى بلا فحل فما الفرق • قال وهذه الاسباب التى ذكرناها كلها هى الاسباب التى تتعلقون بها في نحلتكم المسيح الربوبية واضافتكم اليه الالهية وقد وصفناها على حقائقها عندكم وقبلنا فيها قولكم وان كنا لا نشك في ان أهل الكتب قد حرفوا بعض مافيها من الكلام عن مواضعه وأوجدناكم بطول ماتنتحلونه وفساد ما تتأولونه من الكتب التى في أيديكم التوراة والزبور والانبياء والانجيل فما الذى يثبت الحجة بعد ذلك لكم ؟ قال وقد قال السيد المسيح في الانجيل لتلاميذه لما سألوه عن الساعة والقيامة ان ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفه أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن أيضاً ولكن الاب وحده يعرفه قال فهذا اقرار منه بانه منقوص العلم وان الله تبارك وتعالي أعز وأعلم منه وانه خلافه واعلا منه وقد بين بقوله احد عمومه بذلك الخلق جميعاً ثم قال ولا الملائكة وعندهم من علم الله ما ليس عند أهل الارض ثم قال ولا الابن وله من القوة ماليس لغيره وشهد قوله هذا شهادة واضحة عليه بانه لا يعلم كل مايعلمه الله بل ماعلمه الله إياه وأطلعه على معرفته وجعله له وانه لقصور معرفته بكل

الاشياء ليس بحيث يصفونه من الربوبية وانه هو الله ومن جوهر أبيه تعالى الخالق لكل شيء علواً كبيراً ولو كان الهاً كما يقولون اعلم مايعلمه الله من سائر الاشياء وسرائر الامور وعلانيتها اذ كان هذا المعنى ليس من الكلام الذي اذا سئلتم عنه تعافتم بانه قيل للناسوت دون اللاهوت قلت مقصوده بذلك انه صرح بانه لايعلمه أحد ثم خص الملائكة بالذكر لئلا يظن ان أحداً منهم يعلمه فقال ولا الملائكة الذين في السماء ثم قال ولا الابن يعرفه وان الاب وحده يعرفه فنفى معرفة الابن واثبت ان الاب وحده يعرفه ومراده بالابن المسيح فعرف ان المسيح لايعرفه واثبت ان الرب يعرفه دون الابن ودل ذلك على ان لفظ الابن عند المسيح انما يراد بها الناسوت وحده اذ كان لايجوز نفى العلم عن اللاهوت فان اللاهوت يعلم كل شيء وقد دل ذلك على ان قوله عمدوا الناس باسم الاب والابن المراد به الناسوت وحده كما اريد بلفظ الابن في سائر كلامه وكلام غيره لم يرد قط أحد منهم بلفظ الابن اللاهوت بل اطلاق الابن على اللاهوت مما ابتدعته النصارى وحملوا عليه كلام المسيح فابتدعوا لصفات الله اسماء ما انزل الله بها من سلطان وحملوا عليها كلام المسيح وانما يحمل كلام الانبياء عليهم السلام وغيرهم على معنى لغتهم التي جرت عادتهم بالتكليم بها لا على لغة يحدثها من بعدهم ويحمل كلامهم عليها ٠ قلت فان هذا الذى فعلته النصارى واشباههم يفتح باب الالحاد في كتب الله المنزلة، وقد قال تعالى (ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيامة) وذلك ان كل من اعتقد معاني برأيه يمكنه ان يعبر

عنها بالفاظ تناسبها بنوع مناسبة وتلك الالفاظ موجودة في كلام الانبياء عليهم السلام لها معان اخر وتجعل تلك الالفاظ دالة على معانيه التى راها ثم يجعل الالفاظ التى تكلمت بها الانبياء وجاءت بها الكتب الالهية أرادوا بها معانيه هو وهكذا فعل سائر أهل الالحاد في سائر الكتب الالهية كما فعلته النصارى مثل ماعمدت الملاحدة المتبعون لفلاسفة اليونان القائلون بان هذه الافلاك قديمة أزلية لم تزل ولا تزال وان الله لم يتكلم بالتوراة ولا غيرها من الكتب الالهية ولا هو عالم بالجزئيات لا بموسى بن عمران ولا بغيره ولا هو قادر أن يفعل بمشيئة ولا يقيم الناس من قبورهم فقالوا خلق واحدث وفعل وصنع ونحو ذلك يقال على الاحداث الذاتي والاحداث الزماني فالاول هو ايجاب العلة لمعلولها المقارن لها فى الزمان والثاني ايجاد الشيء بعد ان لم يكن ثم قالوا ونحن نقول ان الله خلق السموات والارض وما بينهما واحدث ذلك وابدعه وصنعه كما اخبرت بذلك الانبياء عليهم السلام لكن مرادهم بذلك الاحداث الذاتى وهو ان ذلك معلول له لم يزل معه فيقال لهم لم يستعمل احد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل ولا أحد من سائر الامم لفظ الخلق والاحداث الا فيما كان بعد عدمه وهو ما كان مسبوقاً بعدمه ووجود غيره ومعنى هذا اللفظ معلوم بالاضطرار في جميع لغات الأمم وأيضاً فاللفظ المستعمل في لغة العامة والخاصة لا يجوز ان يكون معناه مالا يعرفه الا بعض الناس وهذا المعنى الذى يدعونه لو كان حقاً لم يتصوره الا بعض الناس فلا يجوز ان يكون اللفظ العام الذي تداوله العامة والخاصة موضوعا له اذ كان هذا يبطل مقصود اللغات ويبطل

تعريف الانبياء للناس فكيف وهو باطل في صريح المعقول كما هو باطل في صحيح المنقول فانه لم يعرف ان أحداً قط عبر عن القديم الازلي الذي لم يزل موجوداً ولا يزال بانه محدث أو مخلوق أو مصنوع أو مفعول فهذا الذي ذكرتموه كذب صريح على الانبياء عليهم السلام لتوهموا الناس انكم موافقون لهم والكتب الالهيه كالتوراة والقرآن مصرحة بأن الله خالق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام والقديم الازلي لايكون مخلوقا فى ستة أيام وكذلك الكتب الالهية كالتوراة والقرآن قد أخبرت بتكليم الله لموسى وبندائه اياه من الطور من الشجرة وفي التوراة انها شجرة العليق وأخبرت بأن موسى عليه السلام كان يلقى عصاه فتصير حية تسعى ويخبر بان الله فلق له البحر فقال الملاحدة ان الشيء الثابت يسمى طوراً فانه ثابت كالجبل والقلوب تسمى أودية واظهار العلوم بتفجير ينابيع العلم والحجة المبتلعة كلام أهل الباطل هى عصا معنوية فراد الكتب بالطور العقل الفعال الذى فاض منه العلم على قلب موسى عليه السلام والوادي قلب موسى والكلام الذي سمعه موسى سمعه من سماء عقله وتلك الاصوات كانت فى نفسه لافي الخارج والملائكة التي رآها كانت اشخاصاً نورانية تمثلت فى نفسه لافي الخارج والبحر الذى فلقه هو بحر العلم والعصا كانت حجته غلب على السحرة بحجته العامية فابتلعت حجته شبههم التي جعلوها حبالا يتوسلون بها الى نيل أغراضهم وعصياً يقهرون بها من يجادلونه افليس من قال مثل هذا الكلام يعلم بالاضطرار انه يكذب على الكتب الالهية التي أخبرت بقصة موسى كالتوراة والقرآن.

وانه ليس مراد الرسل بما أخبروا به من قصة موسى هذا بل صرحوا بأن موسى سمع نداء الله له وانه كلمه من الطور طور سينا الذي هو الجبل وقلب عصاه التي كان يهش بها على غنمه ثعباناً عظيما وفلق له البحر وغرق فيه آل فرعون فغرقوا وماتوا فيه وهلكوا وأمثال هذا من تحريفات الملاحدة كثير فهكذا النصارى حرفوا كتب الله وسموا صفة الله القديمة الازلية التي هي علمه أو حكمته ابناً وسموها أيضاً كلمة وسموا صفته القديمة الازلية التي هي حياته روح القدس وتسمية هذه الصفات بهذه الاسماء لاتوجد في شيء من كلام الانبياء ولا غيرهم ولا يعرف ان أحداً قط لامن الانبياء ولا غيرهم سمى علم الله القائم به ابنه بل ولا سمى علم أحد من العالمين القائم به ابنه ولكن لفظ الابن يعبر به عمن ولد الولادة المعروفة ويعبر به عمن كان هو سبباً في وجوده كما يقال ابن السبيل لمن ولدته الطريق فانه لما جاء من جهة الطريق جعل كانه ولده ويقال لبعض الطير ابن الماء لانه يجيء من جهة الماء ويقال كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان الابن ينتسب الى ابيه ويحبه ويضاف اليه اى كونوا ممن ينتسب الى الآخرة ويحبها ويضاف اليها وهذا اللفظ موجود في الكتب التي بأيدي اهل الكتاب فى حق الصالحين الذين يحبهم الله ويربيهم كما ذكروه ان المسيح قال أبي وأبيكم والهي والهكم وفى التوراة ان الله قال ليعقوب انت ابني بكرى ونحو ذلك مما يراد به اذا كان صحيحاً له معنى صحيح وهو المحبة له والاصطفاء والرحمة له وكان المعنى مفهوما عند الانبياء عليهم السلام ومن يخاطبونه وهو من الالفاظ المتشابهة فصار كثير من اتباعهم يريدون

به المعنى الباطل وزعم كثير من الكفار ان لله سبحانه وتعالى بنين وبنات وان الملائكة بناته وبعض من يقول بقدم العالم من المتفلسفة يقولون العقول العشرة هي بنوه والنفوس الفلكية هي بناته وهي متولدة عنه لازمة لذاته فجاء القرآن الذي هو افضل الكتب واكملها بابطال هذه المعاني ومنع استعمال هذا اللفظ في حق الله تعالى فنزه الله عن ان يتخذ ولدا كما نزهه عن ان يكون له ولد والاول من باب تنزيهه عن الافعال المذمومة وهذا على قول جماهير المسلمين وغيرهم الذين ينزهون الله ويقدسونه عن الافعال القبيحة التي لا تليق به بل تنافي ما وجب له من الكمالات في افعاله كما وجب له الكمال في ذاته وصفاته واما من كان من المسلمين وغيرهم لا ينزه الله عن فعل من الافعال الا ما كان ممتنعا لذاته فاما الممكن المقدور فيقول لا يعلم انتفاؤه الا بالخبر او بالعادة المطردة التي يمكن انتقاضها فهذا لا يبقى معه ما ينفى به عن الله الأفعال المذمومة القبيحة والكتب الالهية قد نزهت الرب عز وجل عن الافعال المذمومة كما نزهته عن صفات النقص كقوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وقال تعالى (انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) كما قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) وقال تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) وقال تعالى (عن المؤمنين ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا

ماخلقت هذا باطلا) وقال تعالى (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا) وقال تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) وقال تعالى (الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) وقال تعالى (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد) فكما نزه نفسه عن الولادة نزه نفسه عن اتخاذ الولد وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئاً ادا تكاد السموات يتفطرون منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) وقال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى كذبنى ابن آدم وما ينبغى له ذلك وشتمنى ابن آدم وما ينبغي له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدنى كما بدانى وليس اول الخلق باهون على من اعادته واما شتمه اياى فقوله انى اتخذت ولداً وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أحد اصبر على اذى يسمعه من الله انهم ليجعلون له ولداً

وشريكا وهو يرزقهم ويعافيهم ولهذا كان معاذ بن جبل يقول لا ترحموا النصارى فانهم سبوا الله مسبة ماسبه اياها احد من البشر فجاءت هذه الشريعة الحنيفية القرآنية حرمت ان يتكلم فى حق الله باسم ابن او ولد سداً للذريعة كما منعت ان يسجد أحد لغير الله وان كان على وجه التحية كما منعت ان يصلى أحد عند طلوع الشمس وغروبها لئلا يشبه عباد الشمس والقمر فكانت بسدها للابواب التي تجعل لله فيها الشريك والولد أكمل من غيرها من الشرائع كما سدت غير ذلك من الذرائع مثل تحريمها قليل المسكر لانه يجر الى كثيره فان أصول المحرمات التي قال فيها (قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن منها والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون) مما اتفقت عليه شرائع الانبياء بخلاف تحريم الطيبات عقوبة فان هذا جاء في شرع التوراة دون شرع القرآن فان الله احل لامة محمد الطيبات وحرم عليهم الخبائث وكذلك تكميل التوحيد من كل الوجوه وسد ابواب الشرك من كل الوجوه جاءت به هذه الشريعة مع اتفاق الانبياء على ايجاب التوحيد وتحريم ان يجعل لله شريك او ولد فاذا كان مراد المسيح عليه السلام بالابن هو الناسوت وهو لم يسم اللاهوت ابنا وقد ذكر ان الابن لا يعلم الساعة تبين بذلك ان المسيح هو الناسوت وحده وانه لا يعلم الساعة وهذا هو الحق وان قالوا مراده بالابن اللاهوت أو اللاهوت والناسوت لزم من ذلك ان اللاهوت او اللاهوت والناسوت لا يعلم الساعة وهذا باطل وكذب وهو أيضاً مناقض لقولهم فدل هذا النص من المسيح مع سائر نصوصه

ونصوص الانبياء على ان مسمى الابن هو الناسوت وحده وانه لايعلم مايعلمه الله وذلك صريح في انه مخلوق ليس بخالق ولايجوز ان يكون هذا خطابا للناسوت المتحد باللاهوت دون اللاهوت كما يتاوله عليه بعض النصارى لان كل ماعلمه اللاهوت المتحد بالمسيح علمه الناسوت ولان الناسوت ليس هو الابن عندهم دون اللاهوت المتحد به بل اسم الابن عندهم هو اللاهوت ولاجل الاتحاد دخل فيه الناسوت ولانه لم يثبت الا علم الاب وحده لم يستثن علم الابن الازلى عندهم بل نفى علم ماسوى الاب به وهذا مناقض بقولهم من كل وجه

(فصل) قال الحسن بن ايوب ومثل هذا انه لما خاطبه الرجل على ما كتب في الانجيل فقال له ايها الخير فقال ليس الخير الا الله وحده قلت وبعضهم يترجمه أيها الصالح فقال ليس الصالح الا الله وحده قال ومثله قوله في الانجيل انى لم آت لاعمل بمشيئتى لكن بمشيئة من ارسلنى قال ولو كانت له مشيئة لاهوتية كما يقولون لما قال هذا القول فقد ابطل به ماتدعونه في ذلك قال ثم أنتم مع ذلك تدعون ان المسيح كلمة الله ومن قوة الله غير بائنة ولا منفصلة عنه وتشهدون عليه في الانجيل بقوله انه يصعد السماء ويجلس عن يمين ابيه ويدين الناس يوم الدين ويجازيهم باعمالهم ويتولى الحكم بينهم وان الله عز وجل منحه ذلك اذ كان لايراه احد من خلقه فى الدنيا ولا في الآخرة فان كان هذا الجالس للحكومة بين العالمين يوم الدين والقاعد عن يمين ابيه هو شخص قائم بذاته لايشك فيه هو الجسد الذى كان في الارض المتوحد به الربوبية فقد فصلتم بين الله تبارك وتعالى وبينه وفضتموه باجتماعهما في السماء شخصين

متباينين احدهما عن يمين صاحبه وهــذا كفر وشرك بالله عز وجل وان كان جسداً خالياً من الالهيــة وهي الكلمة وقد عادت الى الله كما بدأت منه فقد زال عنه حكم الربوبيــة التي تنحلونه اياها. قال ونسألكم عن واحدة نحب ان تخبرونا بها اصل ماوضعتموه من عبادة الثــلاثة الأقانيم التي ترجع بزعمكم الى جوهر واحد وهو اللاهوت ماهو ومن أين أخذتموه ومن أمركم به وفي أي كتاب نزل وأي نبي تنبأ به او اي قول للمسيح تدعونه فيه وهل بنيتم أمركم في ذلك الا على قول متى التلميذ عن المسيح عليه السلام انه قال لتلاميذه حيث أراد ان يفارقهم اذهبوا فعمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس. قال وهــذا كلام يحتمل معناه ان كان صحيحاً ان يكون ذهب فيه بان يجمع هذه الالفاظ الى أن تجتمع لهم بركات الله وبركة نبيه المسيح وروح القدس التي يؤيد بها الانبياء والرسل وقد نراكم اذا اردتم الدعاء بعضكم لبعض قلتم صــلاة فلان القديس تكون معك ومعنى الصلاة الدعاء واسم فلان النبي يعينك على أمورك وكما قال الله تبارك وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) يقرن طاعته بطاعة نبيه واولى الامر من المسلمين افنقول لذلك انهــم جميعاً آلهة قال وقد يجوز ان يكون له معنى يدق عن الوقوف عليه بغير التأويل ان لم يكن معناه ماقلناه او يكون المسيح عليه السلام ذهب فيه الى ماهو أعلم به فلم حكم بانه ذهب الى ان هــذه الاسماء لما اضافها الى الله صارت آلهة وجعلتم لها اقانيم لكل اسم اقنوم بعينه وهو شخص وكيف استجزتم ماأشركتموه مع الله بالتأويل الذى لايصح. واذا قلتم بثلاثة اقانيم

كل اقنوم بذاته فلا بد من ان تعترفوا ضرورة بان كل اقنوم منها سميع حي بصير عالم حكيم منفرد بذاته كما يقولون في المسيح انه جالس عن يمين أبيه فنراكم أخذتم الاقنومين اللذين احدثتموهما مع الله من جهة ان الله حكيم حي فحكمته الكلمة وهي المسيح وروحه روح القدس وهذه صفة من صفات الله مثلها كثير لأنه يقال حكيم عليم سميع بصير حي قدير وكذلك ربنا تعالى وان كانت صفاتنا اياه لا تلحق صفاته ولا تبلغ كنه مجده إلا بالتمثيل لعظمته وعزته وجلاله وعلوه فنحلتم صفاته التي هي معناه وليست سواه غيره وجعلتموه أقانيم لكل واحد من الحياة والحكمة وسائر الصفات مثل الذى له وما فيها اقنوم له صفة إلا ويحتمل على قياس قولكم ان تكون صفته مثله فاذا كانت هذه الاقانيم الهة وكل صفة اله وهي من جوهره فيجب ان تكون كل صفة لكل واحد من الثلاثة الاقانيم الهاً مثله اذ كان من جوهره فيتسع الامر في ذلك حتى لايكون له غاية ولا نهاية . قال واذا قلتم بثلاثة اقانيم هي في السماء من جوهر قديم افليس يلزمكم الاقرار بثلاثة الهة لان الاقانيم اشخاص يومأ اليها ويقع الحد عليها والا فما الحجة وانتم تذكرون في بعض احتجاجكم انها ثلاثة ترجع الى واحد غير متبعضة ولا منفصلة وتشبهونها في اجتماعها وظهور ما يظهر منها بالشمس وقد نراكم عقدتم شريعة ايمانكم على ان المسيح اله وانسان متحدين وانه يصعد الى السماء ويجلس عن يمين أبيه والجالس عن يمين صاحبه اليس هو منفصلاً عنه مفروزاً عنه فكيف يصح على هذا القول قياس أو يصح به عقد دين تقولون مرة مجتمع ومرة منفصل وما شبهتموه به

من الشمس فقد تقدم شرحنا لبطلان الحجة فيـه وانه لايكون قياسه القياس الذي تعلقتم به • على انا وجـدناكم تقولون في معنى التثليث ان الذى دعاكم اليه ماذكرتم ان متى التلميذ حكاه في الانجيل عن المسيح عليه السلام اذ قال لتلاميذه سيروا فى البلاد وعمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس وانكم فكرتم فى هذا القول بعقولكم فعلمتم ان المراد بذلك انه لما ان ثبت حدوث العالم علمتم ان له محدثا فتوهمتموه شيئاً موجوداً ثم توهمتموه حياً ناطقا لان الشيء ينقسم الحى ولا حى والحى ينقسم الناطق ولا ناطق واكم علمتم بذلك انه شيء حي ناطق فاثبتم له حياة ونطقا غيره في الشخص وهما هو فى الجوهرية • فنقول لكم في ذلك اذا كان الحى له حياة ونطق فاخبرونا عنه اتقولون انه قادر عزيز أم عاجز ذليل • فان قلتم لا بل هو قادر عزيز • قلنا فاثبتوا له قدرة وعزة كما اثبتم له حياة وحكمة • فان قلتم لايلزمنا ذلك لانه قادر بنفسه عزيز بنفسه • قلنا لكم وكذلك فقولوا انه حي بنفسه وناطق بنفسه ولا بد لكم مع ذلك من ابطال التثليث أو اثبات التخميس وإلا فما الفرق وهيهات من فرق • وقال الحسن بن ايوب ايضاً انا كلما تأملنا معكم في نسبة المسيح عليه السلام الى الالهية وعبادتكم له مع الله على الجهة التي تذهبون اليها وطلبنا لكم الحجة في ذلك من كتبكم ازددنا بصيرة فى استحالة ذلك ووضعكم له من القول مالا يثبت لكم به حجة ولا يشهد به لكم شيء من كتبكم ووجدنا ابين ماجاء فى المسيح وصحة أمره فيما اتي به ما قال متى التلميذ انه لما جاء يسوع الى ارض قيسارية سأل تلاميذه فقال ماذا يقول الناس في اني ابن البشر • فقالوا منهم من

يقول انك يوحنا المعمداني وآخرون يقولون انك ارميا أو احـد الانبياء • فقال لهم يسوع فانتم ماذا تقولون فاجابه سمعان الصفا وهو رئيسهم فقال انت المسيح ابن الله الحق فاجابه المسيح وقال طوبى لك ياسمعان بن يونان انه لم يطلعك على هذا لحم ولا دم ولكن ابي الذى في السماء • وحكي لوقا في انجيله هـذا الخبر فقال ان سمعان اجابه فقال انت مسيح الله ولم يقل ابن الله فهذا كلام تلميذه الرئيس فيه وارضاه ما قال • وقوله انه لم ينطق بذلك الا ما اوحاه الله فى قلبه ولم ندفعكم قط عن انه مسيح الله ولا عن انه كما تقولون فى لغتكم انه ابن الله بالرحمة والصفوة مع الاختلاف الواقع فى ذلك في الانجيلين وقد قال مثل ذلك فيكم جميعاً ان الله الهي والهكم وابي وابوكم فنحمل على احتجاجكم بانه ليس مثالكم في معنى النبوة ونجعله مثل من سمي في الكتب ابنا على جهة الاصطفاء والمحبة مثل اسرائيل وغيره بل قد خص اسرائيل بان قال عز وجل انت ابني بكري وهذا كلام له مذهب في اللغة القديمة التي جاءت بها الكتب وليست بموجبة الالهيـة اذ كان قد شاركه في هذا الاسم غيره فلم لا جعلتموه كما جعل نفسه؟ ومما يؤكد المعنى في ذلك ويزيل تأويل من يتأول له مالم يدعه ولم يرض به قوله فى علم الساعة ان ذلك شيء لا يعلمه أحـد من الخلق ولا الملائكة المقربون ولا الابن يعني نفسه الا الله وحده ثم قال للرجل الذي اتاه فقال له أيها العالم الصالح أى الاعمال خير لي الذي تكون لي حياة الى يوم الدين • فقال له لم تقل لي صالحاً ليس الصالح الا الله وحده فاعترف لله بانه واحد لا شريك له ونفي عن نفسه فلم يجعلها ولا احدا من الخلق

أهـلا لذلك وقوله للمرأة التي جاءته فقالت انت ذلك النبي الذى كنا ننتظر مجيئه • فقال لها المسيح صدقت طوبى لك ثم قال للشيطان حين اختبره فسامه ان يلقي نفسه من رأس الهيكل .فقال أمرنا ان لانجرب الرب ثم سامه ان يسجد له فقال امرنا ان لاسجد الا لله وحده ولا نعبد سواه ثم صلاته في غير وقت لله واخرها الليلة التي اخذته اليهود فيها فاذا كان الهاً كما زعمتم فلمن كان يصـلي ويسجد؟ ثم قول الجموع الذين كانوا معه حين دخل اورشليم وهى مدينة بيت المقدس على الاتان لمن كان يسأله عن امره لما رجت المدينة به هذا هو يسوع الناصري النبي الذي من الناصرة ثم قوله في بعض الانجيل أخرجوا بنا من هـذه المدينة فان النبي لايجل في مدينته وفي موضع آخر انه قال لايهان نبي الا في مدينته وفي بيته واقاربه • وقوله فى بعض خطبه ان هـذا الجيل السوء يريد آية وانه لايعطي الا آية يونس كما كان يونس لاهل نينوى كذلك يكون ابن البشر لهـذا الجيل رجال نينوى يقدمون فى الدين مع هذا الجيل فيخصمونهم لانهم تابوا على قول يونس النبي وان ههنا افضل من يونس •ثم قول داود فى نبوته عليه من هذا الرجل الذى ذكرته وجعلته دون الملائكة قليلا .ثم قول تلاميذه فيه ماشرحناه فى صدر كتابنا هـذا ماتقدم ووصفهم انه رجل أتى من عندالله بالايدى والقوة • ومما يشبه ذلك انه لمـا قدم تلامذته فركبوا السفينة وقال لهـم امضوا فانى الحق بكم فاتاهم يمشي على البحر فلما رأوه في تلك الحال قالوا ماهذا الحال ويح ومن الغرق صاحوا .فقال لهم يسوع اطمأنوا ولا تخافوا انا هو فاجابه شمعون الصفا وقال له يارب ان كنت انت

هو فاذن لي آتيك على الماء . فقال له تعال فنزل سمعان الى الماء ليمشي عليه فلم يستطع وجعل يغرق فصاح وقال يارب اغثني فبسط يده يسوع فاخذه وقال له لم تشككت ياقليل الامانة ؟ قال فبان بذلك عجز المسيح عن اتمام ماسأله شمعون الصفا ومثله امر الرجل الذى قال ليسوع خبر ابنته وما ينالها من الشيطان وانه قد قدمها الى تلاميذه فلم يستطيعوا ان يخرجوه وقد كان جعل لهم ذلك وغيره فاخرجه هو منها . وقال فى الانجيل وهو يذكر الامثال التي ضربها لرؤساء الكهنة انهم لما سمعوها منه علموا انها في شأنهم فهموا ان يأخذوه ثم فرقوا من الجموع لانهم كانوا ينزلونه مثل النبي . وقال فى الانجيل لما جاءته ام ابنى زبدا وكانت من تلامذته مع ابنيها . فقال لها ماتريدين قالت اريد ان تجلس ابناي احدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فى ملكوتك . فقال ليس الى ذلك سبيل لانه ليس لي ان اعطيه ولكن من وعد له ابي. قال الحسن بن أيوب فما يكون ياهؤلاء افصح او ابين واوضح من اجتماع هذه الشواهد لكم فى كتبكم مارضيتم بقوله في نفسه ولا بقول تلامذته فيه ولا بقول من تنبأ عليه من الانبياء ولا قول جموعه الذين تولوه لمن سألهم من مخالفيهم عنه وتركتم ذلك كله واخذتم باراء قوم تأولوا لكم على علمكم فانهم قد اختلفوا أيضاً فى الرأى فقال كل قوم في المسيح ما اختاروا واتبع كلامهم طائفة قالوا بقولهم ثم سلك من بعدهم سبيل الآباء فى الاقتداء بهم فبينوا لنا حجتكم فى ذلك وهيهات من حجة ونحن نستوهب الله العصمة والتوفيق منه . قال ومما يشبه ماتقدم قوله لتلاميذه فى انجيل لوقا فاما انتم الذين صبرتم معي فى بلائى

ومخازى فانى اعدكم كما وعدنى ابى الملكوت لتأكلوا وتشربوا معى على مائدتى فى ملكوتى فبين ان الله جل ثناؤه وعده ان يجعله فى ملكوت السماء يأكل ويشرب مع تلاميذه على مائدته وهذا مالا شك لكم فيه وهو مخالف لقولكم فيما يصير اليه وفى الاكل والشرب والنعيم هناك ثم قوله لشمعون حين اتته الجموع فاخذوه ام يظن انى لست قادراً ان طلب الى ابي فيقيم لي اثنى عشر جنداً من ملائكته او اكثر ولكن كيف يتم الكتب انه هكذا ينبغي ان يكون ولم يقل انى قادر ان ادفعهم عن نفسى ولا انى آمر الملائكة ان يمنعوا عنى كما يقول من له القدرة والامر. قال ونجدكم تقولون فى المسيح عليه السلام انه مولود من أبيه أزلى ويجب على المدعى القول ان يثبت الحجة فيه ويعلم انه مطالب بايضاحها لاسيما فى مثل هذا الخطب الجليل الذي لايقع التلاعب به ولا تجترئ النفوس على ركوب الشبهات فيه والويل الطويل لمن تأول فى ذلك تأويلا لاحقيقة له فانه يهلك نفسه ومن كان من الناس معه ممن يتبع قوله ان كان هذا الابن ازلياً على مافى شريعة ايمانكم فليس بمولود وان كان مولوداً فليس بازلى لان اسم الازلية انما يقع على من لا أول له ولا آخر ومعنى المولود انه حادث مفعول وكل مفعول فله اول فكيف ما أردتم القول فيه كان فيه بطلان الشريعة قال ونسألكم ايضاً عن واحدة لم سميتم الاب أباً والابن ابناً فانه ان كان وجب للاب اسم الابوة لقدمه فالابن ايضاً يستحق هذا الاسم بعينه اذ كان قديماً مثله. وان كان الاب عالماً عزيزاً فهو ايضاً عالم عزيز فشهد له شريعة الايمان له بذلك فى قولها انه خالق الخلائق كلها

واتقنت على يده وانه نزل لخلاصكم ومن قدر على ذلك لم يكن الاعالماً عزيزاً فهذه المعاني التي ذكرناها تبطل اسم الابوة والبنوة وفى ابطالها بطلان الشريعة التي تقول ولد من أبيــه والا فان كان الاب والابن متكافئين في القدم والقدرة فبأى فضل وسلطان للاب عليه أمره ونهاه فصار الاب باعثاً والابن مبعوثاً والاب متبوعاً مطاعاً والابن تابعاً مطيعاً ومما يشهد بصحة قولنا وبطلان ما تأوله اولوكم فى عبودية المسيح ان متى التلميذ حين بنى كتابه الانجيل اول ما ابتدأ به ان قال كتاب مولد يسوع المسيح بن داود بن ابراهيم فنسبه الى من كان منه على الصحة ولم يقل انه ابن الله ولا انه اله من اله كما يقولون. فان قلتم ان تسمية يسوع للناسوت الذى قد جعلتموه حجة بينكم وبين كل من التمس الحجة منكم عند الانقطاع فيما يعترف به المسيح من العبودية فقد نسق متى على اسم يسوع الذى هو عندكم اسم للناسوت المسيح الذي هو جامع الناسوت واللاهوت فاى حجة في ابطال هذا التأويل اوضح من هذا؛ ومما يصحح قولنا ويؤكده قول جبريل الملك لمريم عند مخاطبته اياها انه ابن داود على ماثبت من ذلك في الانجيل قال ووجدناكم قد ذكرتم فى شريعة الايمان ان يسوع المسيح بكر الخلائق • فان كنتم ذهبتم في ذلك الى انه على نحو ما يسمى اول ولد الرجل وكبيرهم فجائز وهو محقق لقولنا في عبوديته • وان كنتم اردتم بذكر البكر انه أول قديم • فلسنا نعرف للبكر معنى فى لغة من اللغات الا الاكبر من الاخوة والاول من الولد وبكر الخلائق لايكون الا من الخلائق كما ان بكر الرجل والمرأة لايكون الا من جنسهما وباكورة الثمار لايكون الا ثمرة ولان من المحال ان يقول قائل بكر ولد آدم ملك

من الملائكة وكذلك من المحال ان يكون بكر المصنوعات ليس بمصنوع وبكر المخلوقات ليس بمخلوق • وقد قال الله في التوراة ياابني بكرى اي اسرائيل وقال في موضع آخر انه نظر بنو الله الى بنات الناس نشغفوا بهن فهل يوجب لآل اسرائيل الالهية بهذا القول . قال وقلتم ان المسيح ولد من أبيه قبل العوالم وليس بمصنوع فليس يخلو الاب من ان يكون أولد شيئاً موجوداً أو غير موجود • فان كان لم يزل موجودا فان الاب لم يلد شيئاً • وان كان غير موجود وانما هو حادث لم يكن فهو مخلوق كما قلنا • قال ومما يبين قولنا في خاق المسيح ان هذا الاسم انما وقع له لانه مسح للنبوة والخير وما مسحه الله تبارك وتعالى وقد قال داود في زبوره قولا يشهد على ذلك بعينه من أجل هذا البر مسحك الله الهك أكثر مما مسح به نظراءك فابان داود بهذه الآية معنى المسيح بالجيله وان ماسحه الله الهه وانه مصطفى مكرم بزيادة على نظرائه وقال داود أيضاً في مزمور احدى وثلاثين يخاطب الله من أجل داود عبدك لايغلب وجه مسيحك عهد الرب لداود بالحق ولا يرجع عنه يعني بمسيحه نفسه لان الله مسحه للنبوة والملك وقد قال في مثل هذا في غير موضع من زبوره فسمي نفسه مسيح الله واذا نظر في الانجيل وكتب بولص وغيره ممن يحتج به النصارى وجد نحوا من عشرين الف آية مما فيه اسم المسيح وكلها تنطق بعبودية المسيح وانه مبعوث مربوب وان الله اختصه بالكرامات ماخلا آيات يسيرة مشكلات قد تأولها كل فريق من أولئك الذين وضعوا الشريعة باختيارهم على هواهم فاخذوا بذلك التأويل الفاسد وتركوا المعظم الذى ينطق بعبوديته فلو كانوا

قصدوا الحق لردوا تلك المشكلات الشاذة اليسيرة التى يوجد لها من التأويل خلاف مايتأولونه على الواضحات الكثيرة التى قد بانت بغير تأويل لانه انما يجب ان يقاس الجزء على الكل ويستدل على ماغاب بما حضر وعلى مااشكل بما ظهر فمن تلك الآيات المشكلات ماقد ذكرناه فى كتابنا هذا وبينا معناه والحجة فيه وانه ليس كما تأولوه . ومنها مايحكون عن المسيح انه قال انا بابي وقد فسر المسيح عليه السلام ذلك وكشفه قال يوحنا فى انجيله ان المسيح تضرع الى الله فى تلاميذه وقال ياأيها الرب القدوس أحفظهم باسمك الذى أعطيتنى ليكونوا هم أيضاً شيئاً واحداً كما انا شيء واحد وكما انك أرسلتنى الى العالم وكذلك أرسلهم أنا أيضاً ثم قال بعد هذا أيضاً انى قد منحتهم من المجد الذي اعطيتنى ومنحتنى ليكونوا ايضاً شيئاً واحداً كما انا شيء واحد فانا بهم وأنت بي قال هو معني ذلك انه قال انت معي وأنت لى كما أنا مع تلاميذى ولهم قلت أو أراد انك بى هديت الخلق وعلمتهم وانا أهديهم وأعلمهم والباء للسببية فان الله برسله هدى عباده وعلمهم والرسل علموا الغائبين عنهم فالحاضرين الذين بلغوا عنهم وقوله ليكونوا شيئاً واحداً أراد به اتفاق صدقهم وأمرهم ومرادهم وهذا مفسر وقد قال ليكونواهم شيئاًواحداً كما أنا شيء واحد فقد طلب لهم مثل ماحصل له ولربه وهذا يبين ان قوله كما انا شيء واحد أى أنا موافقك في أمرك ونهيك ومحبتك ورضاك لم يرد بذلك اتحاد ذاته به كما لم يرد ان تتحد ذوات بعضهم ببعض فانه طلب لهم مثل ماحصل له من الموافقة لامر الله ونهيه ومحبته ورضاه قال أو يكون ذهب فيه الى معنى دقيق لا يعرفه الا انه قد بطل

على كل حال بهـذا القول تأويلكم ممازجته عز وجل في اللاهوت بقوله في تلاميذه انه بهم كما ان اباه به لأنه ان تأول متأول في هـذا المعنى انه ذهب في بعض وصفه بأبيه وان اباه به الى مشاركته في اللاهوت فقد قال في تلامذته مثل هـذا القول فيجب ان يكونوا على هذا القياس شركاه في المحل وهذا مالا يكون ولا يجترىء على القول به أحد • قال ومن أعجب العجب ان تكون أمة كتابها ودعوتها ومعبودها واحداً يتمسكون بأمر المسيح عليه السلام وتلامذته وانجيله وسننه وشرائعه وهم مع ذلك مختلفون فيه أشد الاختلاف فمنهم من يقول انه عبد • ومنهم من يقول انه اله • ومنهم من يقول انه ولد • ومنهم من يقول انه أقنوم وطبيعة • ومنهم من يقول انه أقنومان وطبيعتان وكل منهم يكفر صاحبه ويقول ان الحق في يده وكلهم لا يأتي من الكتاب بحجة واضحة يثبت بها دعواه ولا من قياسه لنفسه وتأوله بما يصح له عند المناظرة وانما يرجع في دينه واعتقاده الى ماتأوله له المتأولون بما يخالف انجيلهم وكتبهم بالهوا والعناد من بعضهم فهم يشركون بالله على التأويل ولا شريك له ويدعون له ولداً من جهة ماأحدثوا لأنفسهم سبحانه انى يكون له ولد

﴿ تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث اوله وقال الحسن بن ايوب ﴾

فهرست الجزء الثانى من الجواب الصحيح

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

﴿ بيان الخطاء الواقع في الجزء الثاني ﴾

صحيفة	سطر	صواب	خطاء
٢	٤	عيروه	عيرره
٤٩	٢	العذاوة	العذوأة
٩٠	٤	خنوهم	جوبهم
١٤٥	٨	ابعاضها	عاضها
١٥٤	٢	في امه	في انه
١٥٧	١٩	المتحد	المتجد
١٧٣	٧	بي	اي
٢٤٥	٥	بها	بهاء
٢٤٧	١٤	جعلوه	جعلود



ع١٢١ ج
ج ٢ — ٤٣٣ — ٢٩٤٥٣٦

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

Date	No.	Date	No.

ع١٢١ ج
٤٣٣ — ٢٩٤٥٣٦

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

No.	Date	No.